

كتاب

حسن السلوك * في تاريخ البطارقة والملوك

*(تأليف ابراهيم البرموسي) *

(طبع سنة ١٦١٣ للشهداء الاطهار)

المقدمة

الحمد لله الذي لا أول لوجوده ولا آخر لابديته العالم بجميع المعلومات . الذي لا يغرب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السموات . العالم بما كان وما سيكون وما هو آت . الملهم بروحه القدوس ذوي العقول سلوك سبيل الاعمال الصالحة . والمنعم على أولي الفضل بتميز الهداية الى تحصيل الآمال الناجحة . فاستحقوا أن ينظموا في سلك الآباء القديسين . وتكون أعمالهم وشموس مناقبهم مرآة الزمان للمتأخرين (أما بعد) فلما كان التاريخ أفيد شي، للامة ومعرفته واجبة على كل فرد وكان تاريخ بطاركة طائفنا القبطية يشتمل على حوادث الكنيسة المصرية الداخلية بأجمعها رأيت أنه من أنفع الكتب فعزمت على جمع شتاته وتنظيم متفرقاته وتهذيب كلماته وعباراته فعرضت هذه الخواطر السانحة على غبطة سيدنا البطريرك فسر بها غاية السرور واطهر اليّ انا الحقير من التشجيع ما سهل أمامي الصعاب وذلك المشاكل والشعاب وأشار اليّ وإشارته حكم ان اوجز فيه على قدر الامكان بشرط ان لا اترك حادثة كبيرة او صغيرة الا واذكرها بأجلى بيان وأذكر من حوادث باباوات رومية وبطاركة القسطنطينية وانطاكية مما له علاقة مع كنيستنا واسرد مع تراجم بطاركة كل جيل ما جرى من الحوادث السياسية الشهيرة في مدة حكم الملوك المعاصرين لهم حتى يكون تاريخنا القبطي بمثابة كتاب جامع لتاريخ الكنيسة المسيحية والمملكة على وجه العموم والكنيسة القبطية على وجه الخصوص فقوى هذا التشجيع همتي وبعد ان كنت اقدم رجلا وأؤخر اخرى شحذت غرار عزيمتي وشرعت في العمل بعد الاتكال على العزيز الحكيم الذي علمه فوق كل ذي علم عليم

ومما يجب عليّ أن انبه الاذهان اليه هو اني جمعت هذا الكتاب من مصنفات الكنيسة القبطية غاية الامر انني كما قلت هذبت عباراته واضفت عليه ما سبقت الاشارة اليه ولم أولف فيه حرفاً واحداً الا ترجمة غبطة بطريركنا الحالي اذ لا يخفى ان التاريخ عبارة عن حوادث حقيقية تراها العين فيسطرها اليراع على القرطاس وأنى لي ان

أرى ما جرى في تسعة عشر جيلا مضت الا في مرآة مصنفات الاقدمين فبناء عليه أرجو من القارى انه اذا رأى مسألة مذكورة في هذا الكتاب لا تروق لعينه ولا تقاس على معيار عقله ولا توافق ذوقه لا ينسب ذلك الا الى عدل أولئك الحكامتين وعدم محاباتهم وكذلك اذا رأى شيئاً يسره ذكره فلا يعطي الفضل في تدوينه بل يعطى الكرامة للذي سجل الامور اولا بعد ان شاهدها بعينه وخلاصة القول اني لا ادعى مؤلفاً لهذا الكتاب الا من باب ألف بمعنى اوقع الالفه والاصلاح ما بين شيئين وبعبارة أصرح بمعنى اتى جمعت مسائله المتفرقة ووفقت ما بينها فجاءت متناسقة المباني للقاصي والداني سهلة المأخذ عذبة المورد شائقة المطالب لكل طالب وقد سميت به . حسن السلوك * في تاريخ البطارقة والملوك . فأسأل الله ان يجعل هذا التاريخ مفيداً لكل قارى ويمتدنا بطول بقاء غبطة بطريركنا المفضل أنبا كيرلس الخامس لا زال قرير العين ومنشرح الصدر بسلامة أبناء طائفته وسعادة رجال شعبه المستظلين بظل حكومتنا السنية الخديوية المغمورين بفضل أمير بلادنا المصرية المشمولين بحسن توجهات ولي نعمتنا الخديوي المعظم (عباس باشا حلمي الثاني) أطال الله لنا بقاءه وأدام علينا رضاه وأحمد زمانه بالهدوء والتأييد والاقبال والجهويد وأحسن بهصره السعيد نهايتنا كما أحسن بدايتنا آمين .

ترجمة مارمرقس الرسول البطريرك الاول ٦١ — ٦٨

(١) مرقس الرسول قبل دعوته للرسالة (٢) دعوته للرسالة واهم اعماله فيها (٣) تشييده مركز البطريركية في الاسكندرية (٤) شهادته فيها (١) مرقس الرسول هو يوحنا الذي ذكر اسمه لوقا الانجيلي في كتاب أعمال الرسل (ا ع ١٢ : ١٢ و ٢٥) وهو الذي أشار اليه المسيح بقوله للرسولين (اذهبوا الى المدينة فيلاقيكما انسان حامل جرة ماء اتبعاه (مر ١٤ : ١٣) فكان بيته محط رحال المسيح ورسله قبل الصلب وبعده ومن أمره أن أباه ارسطوبولس ووالدته مريم كانا من مدينة ابرياتولوس من أعمال الخمس مدن الغربية من قارة أفريقيا من بني اسرائيل وكانا شديدي التمسك بديانة اليهود متمسكين بشريعة موسى وقائمين بفروضها حتى القيام مواظبين على عبادة الله ليلهما ونهارهما وكانا على جانب عظيم من الثروة والمال لكنهما افقرا بعد حين فان قبيلة من الاناس المتوحشين أغارت على المدينة حيث كانا مستوطنين وأضرت بأهلها ونهبهم وسببت منهم خلقاً كثيراً فذهب مال والذي القديس مرقس ضمن من نهب ماله وخطفت ثروتها الجزيلة فاقدمتهما هذه النكبة على بساط الفقر المدقع حتى أحوجهما الحال واضطرها أن ينزحوا من تلك البلاد الافريقية بالاصالة ويأتيا الى بلاد اليهودية ويسكنا في اورشليم ففعلوا ذلك وهجرا وطنهما وكل أقاربهما وجاؤا الى وطن أجدادهم العزيز الذي ظالموا عنى على اليهود فراقه سيما المنغربون منهم وكان حينئذ صاحب الدعوة المسيحية قد بدأ يظهر الى عالم الوجود فاقبلت أخبار ولادته العجيبة أفكار كل من طنت أذنه بها وانتظر ما ذا عسى أن يكون من أمره وعلى نوع أخص كبار قوم اليهود والمثقلين فيهم وأصحاب المراكز والمناصب المالية .

فان هيرودس ملك اليهود أخذته الدهشة والحيرة وامتلاً من الرعب والخوف حين سمع من المجوس خبر ولادة المسيح التي كانت في عهد اغسطس قيصر أمبراطور الرومانيين في سنة ٤٢ من ملكه وعقيب تأسيس عاصمة تلك المملكة التي هي رومية بنحو

٧٥٢ سنة وعقيب خلقه العالم بنحو ٥٥٠١ سنة على مقتضى حسابنا و ٥٥٠٨ سنين على مقتضى حساب الروم و ٤٠٠٤ سنين على مقتضى حساب اللاتين وكذلك سكان أورشليم اضطربوا حين سمعوا بولادة المسيح (مت ٢ : ٣)

(٢) من الذين تبعوا آثار المسيح وتلمذوا له وقبلوا تعليمه وآمنوا بدعوته وانتظموا في سلك دعائه الذين دعاهم الى أن يشهدوا للعالم على صدق الدعوة المسيحية ويدعوا الأنام طراً الى التدين بدينه الاقدس الصحيح هو سمعان الذي دعاه دعوة شرعية الى التلمذة قبل غيره ولقب بطرس . هذا الرسول كان تزوج بابنة برنابس أخي ارستوبولس فلذلك كان القديس مرقس يتردد كثيراً الى بيت بطرس فلما آمن هذا بالمسيح وصار تلميذاً له انتهج القديس مرقس منهجه وحذا حذوه وقال بقوله وأمن بإيمانه ولم يستمر مدة قليلة حتى جذب أباه أيضاً الى ايمان المسيح بمعجزة أظهرها له على يديه وذلك أنه فيما كان يسير الى ناحية الاردن هو وأبوه أقبل عليهما أسد ولبوة يزجران ويزتران فتأكد أبوه أنهما بنيان الشر وأيقن بالهلاك لا محالة فأشفق على ابنه مرقس وتوسل اليه بحرقه أن يهرب من امام هذين الوحشين الكاسرين ويخج بنفسه باذلا ذاته لهما بدلا عنه فرثي القديس لحال أبيه وطمأن خاطره وقال له (ان أيقن فان المسيح الذي بيده نعمة كل منا لا يدعهما يقعان بنا ثم نجي قليلا عن أبيه وجنا على ركبته ورفع يديه ونظره الى السماء وصاح داعياً المسيح بحرقه ودموع غزيرة وصارخا بصوت تنشق له القلوب بقوله) أيها المسيح ابن الله الحي الذي تؤمن به نجنا من هذه الشدة وكف عنا شر هذين الوحشين الضارين واردد شرهما على رأسهما وأقطع أرجل نوعهما من هذه البرية أصلاً قال ذلك والتفت الى الاسد ولبوة فرآهما قد استلقيا على الارض وماتا لوقتهما فحمد الله وشكر فضله العظيم . أما أبوه فذ سمع ان ابنه يستمين بالمسيح ويستفيد به من شر هذين الوحشين ورأى هذا الخلاص العجيب بداخله الرعب والخوف وانزع الرب من قلبه بدعوة المسيح فأمن به . وانتخب المسيح اثني عشر تلميذاً واثنين وسبعين مبشراً فكان القديس مرقس واحداً من هذه المدة الاخيرة وقد لقب بالتاوفورس أي حامل الاله ومن بعد صعود الرب الى السماء اصطحب مع برنابا ابن عمه وشاركه في مهام الكرازة وشاطره

في اتعاب النداء والآنذار باسم المسيح وكان شاول الذي هو بولس ثالثهما (١ ع ١٢ : ٢٥ و ١٣ : ٥) لكن تخلف مرقس عن رفيقيه وتركهما في برجة بمفليا من أعمال آسيا الصغرى وعاد الى اورشليم (١ ع ١٣ : ١٣) فشق ذلك على بولس واعتاظ من تركه لهما ولما رام أن يشترك معهما مرة أخرى في عمل البشرى لم يمكنه بولس من ذلك وقدرضي برنابا بأخذه معهما وحث بولس على قبول دعوة ابن عمه كثيراً وهو يتمتع وينفر فوق الزعاج واشتد الخصام بينهما ولم تنته المشاجرة والمنافرة من بينهما الا بفتراق أحدهما من الآخر فأخذ برنابا ابن عمه وسافر في البحر الى قبرس وأما بولس فأخذ سيلا وتوجه الى بلاد سورية

فالانجيل اذاً يشهد صريحاً باشتراك القديس مرقس مع برنابا وشاول في البشارة ولم يتهد نظير ذلك على أنه رافق بطرس الرسول وقاسمه اتعاب الكرازة المسيحية كما قال بهذا القول قوم ما عدا اذا كانت بابل التي ذكرها بطرس بقوله تسلم عليكم التي في بابل المختارة ممكم ومرقس اني (١ بط ٥ : ١٣) هي رومية كما يحاول اثبات ذلك اللاتين اقرأ وجه ٨٠٢ من كتاب تيسير الوسائل * في تفسير الرسائل تأليف الخوري يوسف العلم فاذا كانت بابل هي رومية على حد ما يدعيه هؤلاء القوم فيكون جميع ما قاله أخصامهم بخصوص رومية وصاحبها البابا الروماني مطابقاً لما كشفه عنها الروح القدس للرسول يوحنا في (رؤ ١٨)

والذين ذهبوا الى أن مرقس الرسول ذهب الى رومية قالوا ان بطرس رسمه أسقفاً وأرسله للتبشير في اكويلاسا من أعمال البندقية ولما عاد الى رومية لم يجد فيها بطرس فطلب اليه أهلها أن يكتب لهم ما بشرهم به هو والقديس بطرس فلبى طلبهم وكتب لهم انجيله باللغة اللاتينية سنة ٤٥ م وظل يدبر الكنيسة الرومانية فيها مدة من الزمان الى ان عاد اليها بطرس فأطلمه على انجيله فأعجبه ومدحه كثيراً ثم كتبه باللغة اليونانية وأخذه معه حين توجه الى بلاد افريقيا سنة ٥٨

(٢) والجميع اتفقوا على كتابة مرقس للانجيل باللغتين الموما اليهما في ذلك التاريخين عنهما وانه توجه الى بلاد افريقيا من بعد صعود المسيح بخمسة وعشرين سنة وانه بشر في بلاد الحبش مدن من هذه القارة أولاً وأذاع في مسقط رأسه قبل

غيره بشارة الخلاص وجذب كثيرين من أهل تلك الأنحاء القريبة الى الايمان بالمسيح بواسطة قدوته الصالحة وأعماله الفاضلة وبواسطة ما كان يجترحه من المعجزات الباهرة ثم انتقل الى بلاد ليبيا ثم بلاد الصعيد فاذاغ فيها كلمة الخلاص وهدى جماعة ليست بقليلة الى طريق النجاة وفي سنة ٦١ قصد الاسكندرية التي كانت يومئذ قسبة ولاية بلاد مصر وما يليها وقد أراد أن يجعل مركز اسقفية فيها دون غيرها خوفاً على عادة الرسل الذين كانوا يخشون لمراكزهم المدن الأكثر أهمية قاصدين بذلك أن يجذبوا الرؤوس أولاً ليسهل عليهم جذب الاطراف فان الرأس اذا استقامت استقام معها غيرها واذا التوت التوى باقي ما يتعلق بها ولهذا السبب وجد التفاوت بين كل مركز أسقفية وآخر فانه كلما كان المركز بحسب وضعه الطبيعي المدني ذا أهمية وخطارة كان مركز الاسقفية الذي فيه كذلك فان رومية التي وقتئذ كانت قسبة المملكة الحاكمة على أغلب الارض المصورة نالت الحظ الأكبر والأهمية العليا بالنظر الى مركز أسقفيتها ولكن ما لبث هذا المركز العظيم مدة حتى تساوى به غيره حين انتقل تحت المملكة الى البرنطية ودعيت لذلك رومية الجديدة كما سنين . ثم توجه القديس مرقس الى الاسكندرية ليزيد فيها بشارة ابن الله وقبلها يصل اليها رفع يديه الى السماء وصلى صلوة طويلة لانه كان مزمماً أن ينزل الى ميدان الوغى ويكافح العبادة الوثنية فكان أعظم سلاح ينبغي أن يتقلده كل جندي للمسيح هو الصلوة . فعلى الرسول الى الله وطلب منه الامداد والمعون ودخل شوارع المدينة ووقف على جرف بحرها الوقي وألقى فيه شبكته فكان أول من اقتنصه هو انيانوس الذي كان في صناعته اسكافاً وكيفية ذلك أن القديس كان لابساً في رجليه حذاء احتاج الى التصليح فقال أثناء سيره في شوارع المدينة عند هذا الاسكاف وطلب اليه ان يصلحه له وجلس ينتظر ذلك فحدث ان الاسكاف بينما كان يشغل بترميم هذا الحذاء أن انحرز دخل بيده فأدماها حالا فصرخ لوقته من ألمه قائلاً يا الله الواحد فبادر القديس وأخذ طيناً من الارض وطللى به الجرح فارتفع عنه الألم بسرعة غريبة وشفي الجرح حالا فأدهش الاسكاف من هذا العلاج السريع الشفاء وأخذ منه العجب كل مأخذ . كما أن القديس تعجب ايضاً حين سمع الرجل يتأوه من وجعه ويستعين بالاله الواحد فقال له ماذا حملك

على ان تبد آلهة لا عدد لها اذا كنت تيقن ان الاله هو واحد لا شريك له فلم يقدر ان يجيب على هذا السؤال الا بالهجز مسلماً باحتجاج رجل الله ورسوله فاستدعى الاسكاف القديس الى منزله ليعمل له ضيافة مقابل معروفه فقبل هذه الدعوة مسروراً وتوجه معه الى منزله فلما دخل بيته دعا الاسكاف آل منزله وأقاربه وجيرانه ليرحبوا بضيفهم الجديد فانهز الرسول هذه الفرصة وانتصب في وسطهم خطيباً واخذ يشرح لهم التعليم المسيحي ويدعوهم الى الايمان بمرسله المسيح وكان الجميع اثناء هذا الخطاب الالهي ينهضون له بمزيد الالتفات ويتأثرون من سماع تلك الوقائع والحوادث المسيحية فحمل انيانوس هذا الخطاب من جهة ومن أخرى المعجزة الحارقة التي حس بها بذاته ورآها بنفسه رؤيا العين ان يصرخ في بهرة الجمع قائلاً قد قلت الايمان بمسيحك أيها الرجل اطلب اليك ان تمنحني نعمة هذا الايمان وتصدقني من ضمن ذويه فقال بقوله جميع من كانوا حاضرين طالين الانتظام في سلك الديانة المسيحية فلبى طلبهم وعهدهم باسم الثالوث المقدس

لم يمض على تشييد هذه الكنيسة الجديدة مدة حتى ذاع امرها وشاع خبرها في انحاء المدينة والسبب في ذلك ان هؤلاء المؤمنين الذين دخلوا في الدين المسيحي شرعوا يتميزون عن غيرهم في الطعام والشراب واللباس والقيام والقعود خشية من أن يتدنسوا بامر من أمور الوثنيين المفضضة فكان ذلك داعياً الى انكشاف امرهم والوقوف على حاطم فقص ذوو الشأن في الوثنية ان يعاقبوا الرسول مرقس الذي افرزهم من بينهم وجعلهم يعتزلون عنهم وبادروا الى ان يتلافوا ضررهم الجسيم هذا وصاروا يتعقبون خطوات القديس واخذوا يحنثون عنه ويفتشون عليه في كل مكان . فلما شعر القديس بهذا العزم الوخيم احتفل برفع السرائر المقدسة وجمع اعضاء رعيته للصلاة ورسم سبعة شماسة وثلاثة قسوس وكرز انيانوس اسقفاً وسلم الى عهدة الاعناء بهذه الرعية ورعايتها وكان ذلك سنة ٦٤ ميلادية فانظم من ثم امر الكنيسة ولما سلم قيادتها الى اسقفها والاكليروس الذين معه بارح المدينة وفي نيته ان يفقد رعيته في الاماكن الاخرى وهي بلاد الخمس مدن الغربية وليبيا والصعيد ويشدد كنائسها ويثبت اعضاءها على صخرة الايمان المسيحي . اننا لا يمكن ان نصدق ان الدين

المسيحي لم يدخل النهر الاسكندري الا بعد ثمانية وعشرين سنة لصعود المسيح على يد كاروز ديارنا المصرية مار مرقس فقط فان هذا النهر اقرب كثيراً الى اليهودية من المدن والاقاليم الاخرى التي امتد اليها نور الايمان واستنارت به سينا وان مدينة الاسكندرية كانت في ذلك الوقت ملائمة من اليهود الذين كانت علاقاتهم مستمرة بغير انقطاع مع يهود فلسطين وارض الموعد الذين استنار بعضهم قبل غيرهم بالايمان المسيحي وعندنا خبر يحتمل الصدق وهو ان مترجمي الانجيل اقرؤا ان هذا القديس كتب بشارته في مدينة الاسكندرية بعد الصعود بعشرين سنة كذا قال الشيخ الاسعد بن العسال الذي ترجم الانجيل الى اللغة العربية فاما ان يكون الدين المسيحي دخل الاسكندرية بين اليهود فقط ولم يتعد الى غيرهم او ان المسيحيين لم ينتظم لهم امر قبل مجيء القديس مرقس

ثم طاف القديس مرقس في الاقاليم التي التي فيها بذار كلمة الله وافقد تلك الغروس التي نبتت على مجاري المياه المسيحية فوجدها غضة قوية الاصل متينة الفروع ثم عاد الى مركز اسقفية وهو ييقن انه مزعم ان يقبل الشهادة على اسم معلمه الاقدس وكانت حينئذ الكنيسة في الاسكندرية اشدد ساعدها وقوى جانبها ونمت اعضاؤها واتخذ اسقفها مقراً مشتهراً لسكناء في جانب البحر كان مرفوفاً بمكان مرعي البهاائم خصص منه جانباً لتأدية شعائر العبادة والباقي جعله مواضع للسكن فكان يجتمع الى هذا المكان جميع اعضاء كنيسة المسيح كل يوم احد فلما رأى القديس هذا النجاح السريع سر سروراً زائداً وارتاحت نفسه منه . وكان حينئذ اسم الجليلي ممقوتاً من الشعب الوثني ومن الحكومة بنوع خصوصي لان الهيثة الملكية كانت تتوهم انه اذا نقضت العبادة الوثنية من العالم وزالت تزول معها الحكومة ايضاً وثقوم بدلها حكومة جديدة للجليليين فكان هذا الوهم يدعوهم ويحملهم على اسعار نيران الفتن ضد رؤوس المسيحيين في كل مكان سيما في المدن الشهيرة حيث يكون للحكومة النفوذ الاكبر . فلما انتشر امر مرقس الرسول في نوادي المدينة وسمع الاعيان ان احد تلاميذ الجليلي يسمى ويجتهد في تعطيل شعائر العبادة الوثنية اشتعلت نيران الغضب في رؤوس

الكثيرين وحرض كبارهم راع الشعب واوباشهم على قبض القديس انما وجد .
ولما كان القديس يحتفل برفع القرايين المقدسة يوم عيد الفصح المجيد ٢٩ برمودة
واعضاء كنيسة مجوعين وافق ذلك كان عيد سيرافيم احد الالهة هجمت عصابة
كبيرة وشنت المسيحيين الحاضرين واقت القبض عليه ووضعوا في عنقه حبلاً
وبدأوا يسحبونه في الطرق وساحات المدينة وظلوا يفعلون كذلك الى المساء حتى انتثر
لحمه وسالت الدماء من جسمه الرسولي مجاري وكانوا يقولون اثناء هذا العمل الفظيع
(لنجس التين في دار البقر) يعنون بذلك انهم وجدوا القديس في المكان الذي يدعى
بمرعى البهائم ثم ألقوا القبض عليه ووضعوه في سجن مظلم وفي نصف الليل
اضاء السجن وظهر له ملائكة الله وطيب خاطره ووعدوه باكمل الجهاد وفي الصباح
اخرجوه الوثنيون وطفقوا يصنعون نظير المرة الاولى الى ان اسلم الروح بيد السيد
المسيح وكان ذلك ثاني يوم عيد الفصح المجيد ٣٠ برمودة سنة ٢٨٠ م ولم يكتف
سافكوا هذا الدم البريء وهؤلاء الظالمون بذلك بل انهم جمعوا كومة عظيمة من الحطب
وطرحوا جسد القديس فيها واشعلوا النار فوجتحتهم الطبيعة شاهدة على ظلمهم وبرائة
المسائل شهيداً فان بروقاً حدثت ورعوداً قصفت وامطاراً غزيرة هطلت فأطفأت
تلك النار حتى استطاع المؤمنون ان يأخذوا الجسد ويكفوه بما يليق له من الاكرام
والاحلال ويضعوه بتابوت ففعلوا كذلك وابتوا على اسمه كنيسة في دار البهائم .
قال الشيخ الفاضل شمس الرئاسة الاب ابو البركات ابن كبر في كتاب مصباح الظلمة
(ان جسده لم يزل مدفوناً بالبيعة الشرقية التي على شط البحر بالاسكندرية الى ان
تحمل بعض الافرنج وسرقوا الجسد وتركوا الرأس وتوجهوا بالجسد الى البندقية
وهو بها الآن ونقل الرأس الى دار بالاسكندرية تعرف بدار أولاد السكري وهي
بها الى يومنا هذا)

ترجمة انيانوس البطريك الثاني سنة ٦٤ — ٨٦ م

ان هذا القديس كان في صناعته اسكافاً يصعد غير الاله الحقيقي وقد
استنار بنور هداية الرسول مرقس حين لجأ الى دكانه ليصلح حذاءه كما قد ذكرنا

سابقاً فقد اهتدى الى طريق الخلاص ترك مهامه العالمية وأشغاله الحالية وأخذ يسعى في سبيل الكمال المسيحي صاراً تلميذاً خصباً بمار عرقس ولما قضت مهام الكرازة على الرسول أن يترك الاسكندرية (سنة ٦٤ ب ٠ م) قدم تلميذه هذا أسقفاً على الاسكندرية في شهر بشنس وأتابه على كافة أعمال الكنيسة وقد أقام له ثلاثة كهنة وسبعة شمامسة مساعدين له وأنشأ له مدرسة دينية وجعله متولياً لإدارتها وقد مدح المؤرخون تلامذة هذه المدرسة وشهدوا بأنهم أحرزوا قصب السبق في العلوم الدينية

فإن خليفة الرسول اهتم بالمدرسة المذكورة اهتماماً عظيماً اذ كان يرى أن تلامذتها اذا تهذبوا وتأدبوا يصيرون بمثابة الخيرة الصغيرة التي تخمر الصبيان كله ولم يقتصر على أن يعلمهم قواعد الدين المسيحي واحتياجاته ضد الوثنيين بل اجتهد بالاحرى أن يقلد جيدهم بسقود الفضيلة وعودهم على أن يبغضوا العالم ويتركوا خطاهم وأن يعيشوا بالعفاف والتسك فقد جعل انيانوس هذه المبادئ هي الاصول والقواعد الاساسية للمدرسة وأما باقي العلوم فكانت أموراً ثانوية . قال المؤرخون ان تلامذة هذه المدرسة كانوا زاهدين في الدنيا لا يكثرثون بشيء منها وكانوا يعبدون الله بروح المحبة والتواضع ولم يكن بينهم من هو فقير أو غني لانهم كانوا متساوين في أمور المعيشة وكانوا ناسكين يتناولون الطعام في النهار مرة واحدة فقط بعد غروب الشمس وكان بعضهم يصوم ثلاثة أيام وما كانوا يأكلون الا الخبز ولا يشربون غير الماء . ومن أعمال انيانوس الكنيسة التي اشتهار بها في الثغر على شط البحر في المكان الذي كان يعرف في ذلك الوقت بدار البهائم

وقد مكث على الكرسي ٢٢ سنة وتوفي سنة ٨٦ ميلادية في ٢٠ من شهر هاتور وكان في زمان بطريكته وباسيانوس قيصر

ترجمة الاب ميلانو البطريرك الثالث سنة ٨٦ — ١٠٩٨ م

ولما توفي الاب البار انيانوس اجتمع شعب الاسكندرية وفي مقدمتهم الاساقفة الذين كان رسمهم هذا القديس لبعض الديار المصرية وعقدوا اجتماعاً بحثوا

فيه عمن اجتمعت فيه الصفات التي تؤهلها أن يرقى كاندوا أنكراسة المرقسية فوجدوا
مليانوس فقدموه رئيس أساقفة سنة ٥٨٦ م في شهر كيهك فلما استوى على
كرسيه بدأ يسعى في نجاح التعليم المسيحي فنجحت مساعيه واعتنق بها من مصر
والخمس مدن وافريقية الايمان المسيحي جماعة لا يحصى عددها وقد كانت هدأت
حروب اليهودية وانتشر الامن في انحاء المملكة فكانت الكنيسة في سلامة وبعد مضي
اثنتي عشر سنة وتسعة أشهر وستة عشر يوماً توفي هذا الاب في اليوم الاول من توت
الخامس عشر سنة خلت من ملك دمتيانوس

﴿ ترجمة الاب كرددونو البطريك الرابع سنة ٩٩ — ١٠٨ م ﴾

فاشعر الآباء الاساقفة والاعيان والوجوه في النغر والانحاء المصرية
حتى مرعوا الى اسكندرية والحزن ملأ قلوبهم فمقدوا مجلس شورى وبعد الاخذ
والرد اتفقت آراؤهم على تقديم كرددونو الرجل الذي كان شهيراً في ذلك الوقت
بعفته وصيانيته وعلمه وفضله وحكمته ورزاقته فقدمه الاساقفة رئيساً عليهم في سنة
٩٩ م في شهر توت فاستمر يرعى الكنيسة ورأسها ويسوسها مدة عشر سنين
وتسعة أشهر وعشرة أيام وتوفي في اليوم الحادي والعشرين من شهر بؤونة

ان المراكز الاسقفية كان يمتاز بعضها عن البعض الآخر فقد كان في
الشرق ثلاثة مراكز امتازت عن سواها وهي اورشليم وانطاكية والاسكندرية فثالت
هذه المراكز أهمية دون غيرها والسبب أمران أحدهما هو أن الرسل أنفسهم نصبوا فيها
كراسيهم فان اورشليم ساس كنيستها من بعد صعود المسيح يعقوب وانطاكية بطرس
واورشليم مرقس والثاني لان مراكزها الطبيعية والمدنية كانت تقضي هذه الخطارة
والاهمية وكرسي اورشليم كان أهم من الكرسيين الآخرين لكونه حاز الاسقفية الاولى
في العالم المسيحي اما من يد الرب كما ذهب كثيرون أو من يد الرسل ولذلك دعيت
كنيستهم أم الكنائس ولكن سقطت أهمية مراكزها قرب ختام هذا الحيل أي من
بعد الحروب اليهودية فان اورشليم خربت خراباً تاماً ونصاراها فروا من قبل أن

تخاصرهما الحيوش الرومانية ولجأوا الى قرية تسمى (بلا) في عبر الاردن سكنوا فيها وأول أسقف صار على أورشليم هو يعقوب البار وكان محبوباً من اليهود ومعتبراً لديهم فاحضروه في يوم عيد فصحهم وسألوه عن يسوع وعن تعليمه فشهد له شهادة الحق وكان على منبر عال فحنقوا عليه وطرحوه الى أسفل ولما بلغ الأرض تساقطوا عليه رجاً بالحجارة وركض واحد منهم فضربه على هامته ضربة كانت القاضية عليه كذا قال يوسفوس المؤرخ اليهودي ثم أقيم القديس ستمان خليفة له فقتله مصلوباً أتيكوس والي سوريا بأمر تراجانوس الامبراطور بعد ما جلده بالسياط وعذبه بأنواع العذاب وأما أسقفية انطاكية فأول من علا كرسيها بطرس الرسول وأخلفه على هذا الكرسي افوديوس ولما توفي رقى الكائندرا اغناطيوس النوراني المتوسخ بالله

البدع بين المسيحيين

من المهرطقة الذين أزعجوا بتعاليمهم الكاذبة مسيحي الجيل الاول سيمون الساحر الذي كان قبل الايمان بالمسيح ومال عن جادة مركزه تابعاً أوهامه الكاذبة ومدعياً أنه هو قوة الله الفارقة وظل يفتو بين النصارى حتى بلغ الى عاصمة الامبراطورية وهي اذ ذاك الحين رومية فتعقب آثاره كما ذكر بعض الآباء بطرس الرسول ليضل تعاليمه ويبطل أقواله (لا لينصب كرسي بطيريكته في تلك المدينة كما يدعي الكاثوليك فان كرسيه كان منصوباً في انطاكية كما هو ثابت بالاجماع العام) أما سيمون فكان أدهش عقول أهل رومية بشعبداته وسبي قلوبهم بسحره حتى احتسبوه الهاً ونصبوا له تمثالاً فقال منهم ومن نيرون ملكهم اكراماً جزيلاً لكن لم تطل مدة تمويهاته عليهم فانه قصد ذات مرة أن يصعد بقوة سحره الى السماء ودعا شياطينه ليساعدوه ويرفعوه من الأرض ويحملوه الى الجو ولما ابتدأ أن يرقى الى السحب اتفق أن بطرس الرسول كان حاضراً ضمن من كان من الجماهير المجتمعة يشاهدوا هذه المعجزة الخيالية فانقد غيرة على الحق وتحركت روحه وحمي وطيس عزمه فرفع

عينه الى السماء وبسط يديه وصلى بحرقه شديدة طالباً من المسيح أن يكشف
لهؤلاء المتخذين خديعة سيمون ولم يلبث قليلاً حتى شاهد الساحر ساقطاً شاملاً
بلغ الارض أنكسر ساقاه وحمل الى بيت قريب فرسى من شدة خجله نفسه من على
سطح ذلك البيت ومات شرمينة

وظهر من بعد خراب أورشليم ابيون الذي علم ان المسيح لم يكن الهاً
بل انه انسان مولود بالطبيعة من يوسف ومريم وقال ان الايمان بدون حفظ
الناموس العتيق كالخثان والسبت لا يفيد شيئاً ثم نقض هذا التعليم وعلم بخلافه ولما
سار الى رومية كان يستعمل فيها سر الانخارستيا بخمر صرف وخبز فطير فلا عجب
اذا رأينا اليوم أهل رومية ومن يجبرى مجراهم يحذون حذو هذا الهرطوقي
ويقدسون نظيره على فطير

وكان معاصراً من الهرطقة لابيون كيرنثوس اليهودي الذي كان يقول انه
توجد قوة سائدة على الكل واسمها الاله الأعظم الذي ليس هو خالقاً لهذا العالم
بل ان الخالق له قوة أخرى تبعد عنه بعداً كثيراً وهو يريد بهذه القوة الاخيرة اله
اليهود وقال ان الاله الاعظم لما علم بخلق العالم أرسل أحد الارواح الخالدة أعني
المسيح واتخذ يسوع الانسان البار ابن يوسف ومريم حين اعتمد من يوحنا ونزل
عليه بصورة حمامة وبعد اعتماده شتم على اله اليهود لينقم منه ولكن هذا الاله
حرض اليهود عليه حتى أمسكوه وقتلوه مسمرأ على الصليب وفي أثناء ذلك طار المسيح
الى السماء وقال يجب أن يعبد الاله الاعظم أو المسيح الذي أرسله فقط والا يعبد
اله اليهود

وكان يعلم بخصوص الاجساد أنها تقوم وتعيش مع المسيح المزمع أن يظهر على
الارض جسدياً ويمكث الف سنة كما يتوهم الآن البليموثية بذلك ويرتاؤون بناسد
فكرهم .



الحوادث المدنية في الحيل الأول

انه لما كان سنة ٧٢٥ تأسيس مدينة رومية تغيرت حكومة الرومانيين الى حكومة ملكية بعد ما كانت جمهورية وصار امبراطوراً عليها اغسطس الذي كان اسمه اقطاوس وأحد قواد المساكر الرومانية الثلاث الذين اقساموا المملكة بينهم واستقل كل واحد بنصيب منها فكان نصيب اقطاوس ايطاليا وأقاليم أوروبا ولييدوس أفريقيا وبلاد القيروان وانطينوس مصر والشرق وقد تلبت كليوبطرة على أفكار هذا الأخير فأفساد جاهلها وحب وعشقه لها وغرامه بها عن أداء واجباته أخيراً تزوج بها وقضى معها باسكندرية مدة من الزمان وفي هذه الاثناء كان اقطاوس يستزناً ويقوى شوكة ويعلو مكانة ويزداد قوة فحارب أولاً لييدوس شريكه وانتصر عليه نصرة هائلة واستولى على حكومته واتهم فرصة غضب الرومانيين على شريكه الثالث فانه كان جزءاً المملكة الشرقية وولى على كل جزء منها واحداً من أولاد كليوبطرة وزد على ذلك أنه طلق امرأته اقطاوة أخت اقطاوس حين تزوج بكليوبطرة فأغضب أخاها هذا الامر وهم بعزله من منصبه فأقام الحججة عليه أمام السناتو وأثبت خيانه فعزله السناتو من رئاسة الجمهورية وأمر اقطاوس بشهارة الحرب ضده وضد كليوبطرة زوجته فزحف بجيوشه فالتقى جيش انطيس وجيش كليوبطرة مع جيش اقطاوس بالقرب من مدينة اكسيوم على ساحل الروم ايلي واشتبك الجيشان ودارت رحى الحرب ولم ينض قليل حتى تكللت جنود اقطاوس بالنصر فان كليوبطرة التي جاءت لمساعدة مشوقها انفصلت سفنها الحربية على حين غفلة وفرت هاربة الى مصر فاخذ نظام عسكر انطونيوس واقفى أثرها هروباً فتعقبه اقطاوس بجيشه المظفر الى الاسكندرية فلما رأى ان الضعف حاق به من كل جانب استل سيفه واتحدر فلما عاد اقطاوس الى رومية قلده السناتو رئاسة الجمهورية ولقبوه أغسطس وظل يسعى الى أن تغلب على الجمهورية وانفرد بالحكم وحده وابتداء حكمه كان منذ أصدر أمراً سنة ٧٢٥ لتأسيس رومية بتغيير الحكومة الى ملكية مطلقة وكانت ولادة المسج بعد ذلك بسبعة وعشرين سنة تقريباً سنة ٣١٩ للاسكندر الكدوني

وقد حكم أغسطس على ولايات حكومته الواسعة الاطراف بالعدل وأزال عنهم المظالم والمغارم ورفع شأن السلم وعزز ذويه وقربهم منه وأعلى مقامهم ثم أخلفه ابنه طيباريوس وكان على جانب عظيم من الحشونة والفظاظة واشتهر بسفك دماء الابرياء وفي السنة الثامنة عشر لملكه قام اليهود على مشرع ديانتا المسيحية وأنكروا تعاليمه وادعوا عليه دعاوي باطلة وحملوا بيلاطس الوالي الروماني اذ ذاك على اليهودية على قتله فحاول أن يتقذه من اغتيالهم فلم ينجح وتغلبوا عليه حتى مكثهم من قتله ثم تولى بعد موت طيباريوس الملك كاليغولا فاستبشر الناس في أول الامر بملكه لانهم كانوا يتوسمون به ليونة الجانب لكنه اعتسف منذ جلس على أريكة الامبراطورية طريق الظلم والجور وجاهر بارتكاب المحارم والمعاصي وسفك دماء كل من لم ينسج على منواله حتى أصبح مكروهاً من كل واحد ومن شدة جهله وحقاقته الزائدة أنه بنى امسبلاً من المرمر لفرس وعمل فيه حوضاً من العاج ورسع طقوم الفرس باللؤلؤ وصار يتبأ عنها أنها ستعير يوماً ما الملكة الحاكمة على الرومانيين وكان يسقيها الحمر في كؤوس من ذهب وهكذا استاء حاله حتى قام واحد من امرأته وقتله وخلص الناس من ظلمه وشره.

وقام بعده اقلاوديوس الاول وكان نظير سلفه على غاية من الجهالة والبلاهة والظلم فبهرق دماء خيار الناس وأفاضلهم فقتلته امرأته فانها أسقته كأساً مجهزة بالسم البطيء وبعت اليه بالحكيم زنفون فأدخل ريشة مسمومة في حلقه عجبت في حنقه وفي السنة التاسعة لملكه شرف ديارنا المصرية الرسول مار مرقس كما ذكر ذلك شمس الرئاسة أبو البركات بن كبر فظل يكرز ويبشر ويعلم ويعظ الناس حتى تمكن منه الكفار وقتلوه شهيداً وكان ذلك في ملك نيرون خليفة قلاوديوس وربيه فانه كان ابن امرأته من زوجها الاول وفي آخر ملك نيرون سرى روح الاضطهاد على المسيحيين في كل مكان وسببه أن نيرون خطر على باله حال مدينة ترواة أثناء ما كانت مشتعلة بالنار فرغب أن يمتع نظره بمثل ذلك وأمر باحراق رومية فاشتعلت فيها النار واستمرت ستة أيام وقيل تسعة وأتلفت ثلاثة أرباع المدينة وأهلكت أموالاً حجة ومات خلق لا يقع تحت الحصر وكان نيرون في أثناء ذلك

في برج عال ماسكاً بيديه آلة طرب وهو يغني الاغاني التي قيلت على احراق مدينة
 تروادة ويسر من هذا المنظر المهول وقيل أن الذي حمله على احراق رومية
 هو لكي يحدد بناءها وقد أتم ذلك فانه لما افاق من سكره ~~كفر~~ عن ذنبه
 ببناء ما هدم من المدينة من مآلته الحصوية وزينها بأبواب شاهقة وأعاد المدينة
 الى رونقها الاول بل أجل لكن بما ان الاشاعات كدرت عيشته وما برحت تزداد
 يوماً فيوماً والتعيرات تكومت على هامته من كل جانب وأصبح مرذولاً من الشعب
 الروماني فلما يحول عنه هذه السمعة التي شوهت وجهه وجعلته ممقوتاً وعديم
 الاعتبار ألقى التهمة على المسيحيين الذين كان يبغضهم قبلاً وكان الشعب يحسبونهم
 أعداء لهم لمغايرتهم أمور ديانهم فزعم أن هؤلاء هم الذين أحرقوا رومية ولاثبات
 هذه التهمة سن سنة لآبادة المسيحيين وذلك سنة ٦٤ ب . م . وقيل ٦٦ فأصبح
 هؤلاء عرضة لانتقام الملك والجمهور فشرعوا يعذبون منهم ويقتلون بطرق مختلفة
 وقد صبا كل جهدهم في استعمال كل ما يمكنهم من ضروب العذاب والموت كما
 أخبرنا تاسيتوس المؤرخ الوثني الذي كان معاصراً . فقال من ذلك أن بعض المسيحيين كانوا
 يلبسون بجلود وحوش ضارية ثم يعارضون للكذاب فيمزقهم والبعض كانوا يلبسون
 أردية مسمومة زفت ويلقون بمشائق وتضرم النار تحتم فعلى هذه الحالة يمسون
 كمشاعيل مضيئة بالليل والملك نفسه عمل مثل هذا المشهد الفظيع في جنائنه وكان يمر
 بعبرته على ضوء هذه النيران مسروراً وأعظم تلك المشاهد كانت تصوير في الآعاب
 والاعباد للفرجة والفحك . والمرجح أنه حضر في هذا الوقت بولس وبطرس التعزية
 المؤمنين وثباتهم على احتمال العذاب والموت حباً بالمسيح فشرى هذه الكاس نينها
 فبولس قتل بخر الرقبة وبطرس صلب منكس الرأس

ثم ان الامة الرومانية تقمت على هذا الملك وكرهته أشد الكره ولما رأى
 نفسه مكروهاً سئم من حياته فقتل نفسه فقام بعده (غلبا) وكان شديد البخل سيما على
 العساكر فاغناظوا منه وقاموا عليه وقتلوه وأقاموا بدله (مرقس اوتون) لانه كان
 مشهوراً بالكرم والسخاء والجود لكن جوداً مالياً اختلفوا عنهم وبايعوا (ويطيلوس)
 فاندشم فنام الحرب بينهم سجالاً ولما أحس اوتون الكسار جأسته قتل نفسه بعده

ثلاثة أشهر من ملكه . فاستقل ويطيوس بالملك لكنه تهاون بمصالحه وترك واجباته واشغل عنها بالملاذ والملاهي والآكل والمشارب فانقسمت الحيوش الرومانية على ذاتها فان معظم الجيش والهيئة الحاكمة في الجهات تأمرؤا معاً وبايعوا وسباسيانوس قائد الحيوش الشامية وكان حينذاك مشهوراً سيف الحرب على الالة اليهودية التي كانت رفعت راية العصيان طالبة الاستقلال فاستقدموه حالاً وسلموه قيادة الجيش جميعاً فهجم بجيشه على جنود الامبراطور هجمة الاسد الضارية فكسروهم شر كسرة ودخل رومية عنوة وقبض على ويطيوس وقتله بعد أن حكم ثمانية أشهر وقد أنفق في هذه المدة الوجيزة على مطبخه الخصوصي ما ينوف عن مائتي مليون فرنك نفلاً الجو لوسباسيانوس فلما استقل بالاحكام جميعها أخذ يسمى باصلاح خلل المملكة وسار فيها سيراً حسناً فأحبته الرعية وطاعته طاعة الولد لوالده ولكنه ما عثم ان زاد الخراج وضاعف المكوس في آخر حياته وكان معاصراً له انيانوس البطريك الاسكندري خليفة مار مرقس . وكانت الاهالي تتوقع أن يكون ابته الذي جلس بعد وفاته على سرير المملكة غشوماً ظالماً نظراً لما ظهر منه من شدة البطش في مواقفه الحربية مع اليهود لكنه سلك سبيل العدل وحكم بالرفق واللين فأحبه الناس جميعاً ولقبوه مسرة البشر ومن جملة مناقبه أنه مضى عليه يوم لم يفعل فيه شيئاً من الخير لرعاياه فينما هو يراجع نفسه في المساء هتف صارخاً (آه يا أصحابي قد ضيعت يوماً)

وفي أيامه هاج بركان جبل يزوف بقرب نابولي في ايطاليا فخرب ثلاثة مسدن واحترق جانب عظيم من رومية ومات في يوم واحد عشرة آلاف نفس من جراء مقتدوفاته الجهرية والرمادية وكان في ذلك الوقت الفيلسوف والطبائي الشهير بليناس فدنا من البركان حال ثورته ليقف على أسباب ذلك فمات شهيد مجازفته

ولما مات تيطس أخلفه على تخت المملكة أخوه دومتيانوس الذي تولى الملك في آخر هذا القرن وكان كريم الاخلاق وحسن السيرة ولكن بعد تملكه فسدت أخلاقه وساءت حاله وجارى نيرون بأعماله الاثيمة فأكثر من ارتكاب الفواحش وسفك الدماء ومن شدة توغله في محبة قتل الناس كان

يسلي نفسه اذا لم يجد من يقتله بقتل الذبان حتى لا يخلو دقيقة واحدة من الاذية والضرر وسئل أحد خدامه يوماً هل عند الملك أحد فأجاب قائلاً ولا ذبابة ولشدة تعظمه وتكبره دعى نفسه الهاً وسيداً ومن غريب أعماله أنه استدعى ذات يوم أرباب المجلس الى وليمة أعدها لهم وعند حضورهم دخل بهم الى مخدع مظلم كان وضع فيه عدة ثوابيت كتب على كل واحد منها اسم واحد منهم وبعد أن تهددهم بالقتل أطلقهم ودعاهم غير مرة وأمرهم أن يتذكروا عن الذب الاظمة وأحسن الاواني المناسبة لطبخ جنس من أحناس السمك وقد قتل جماعة كبيرة من الاعيان وقتل أقرباء منهم الوالي فلافيوس ابن عمه ونفى زوجته دوميتيلا بسبب كونها صارت مسيحية وساء استمهاله مع النصارى فأحضر منهم يوحنا الرسول الذي كان لا يزال الى ذلك الوقت حياً فوضعه في قدر زيت يغلي فلبث فيه ساعات بغير أن يناله أدنى ضرر فغضب الملك منه ونفاه الى جزيرة بطمس حيث اكتشفت له الغوامض الالهية فسطرها بفر وأرسلها الى الكنائس بأسيا الصغرى - والذي حمل هذا الملك على اضطهاد النصارى هو توهمه بأن المسيح مزع أن ملك على كل العالم وهي العبارة البسيطة التي كان المسيحيون يرددونها على أفواههم نخشي أن يكون هذا الملك ملكاً حسياً ويتم ذلك في أيامه فتتزع المملكة من يده ولكن اتفق أنه سأل ذات مرة النصارى عن معنى ملك المسيح فأجابوه بأن ملكه ملك روحي وسموي يظهر في آخر الدهور فازدري بالامر ومن ثم كف عن قتلهم وهرق دماهم ولما ازدادت أموره شناعة أغر الرومانيون أحد الامراء على قتله فقتله وأراح العباد من شره ثم أخلفه (نرفا) وكان شيخاً متقدماً في السن لا يستطيع أن يدير حركة الاعمال كلها فاستدعى راجانوس حاكم دار جرمانيا وأشركه في الملك وأخلفه من بعد وفاته وكان حليماً فظناً شديداً البأس تخفف المكوس واهتم براحة رعاياه وسلك طريق الاصلاح فأنشأ القناطر وأصلح الطرق وجدد المواني البحرية وفتح أبواب التجارة والمعاملة ونجى في رومية ملعباً لسباق الخيل وجدد مكتبة عظيمة وأقام العمود الرخامي الابيض المسمى الترجيان ورسم حروب الرومانيين وانتصاراتهم التي حدثت في زمانه وهو الذي أمر بقتل القديس سمعان بن اكلاوبا اسقف اورشليم وامر بطريرك انطاكيوس أسقف انطاكية الى الاسد

الضارية فسات كل منهما شهيداً وفي أثناء تملك هذا الامبراطور كان (بايتني)
والياً على أقاليم بيتينيا وقد وصلت إلينا رسالة له بعث بها الى الامبراطور يشرح
له فيها حال مسيحي أقاليمه ومما قال فيها بعد خطاب طويل (ان عادة هؤلاء المسيحيين
أن يجتمعوا قبل النهار في يوم معلوم ليرتلوا جميعاً نشيدة للمسيح كما لاله ويعاهدوا
أنفسهم بقسم عظيم أن لا يرتكبوا معصية بل بالعكس أن يمتنعوا عن السرقة
والزنى وأيضاً أن لا يخالفوا وعدهم أو ينكروا رهناً تسلموه وبعد ذلك كانوا
ينصرفون ثم يجتمعون على طعام بالهدوء والوقار . ثم توفي تراجانوس فأخلفه
ادريانوس

﴿ اتمام نبوة المسيح على اليهود ﴾

أن المسيح تنبأ على أربعة أمور جوهرية كانت مزمعة أن تجري على اليهود
فجرت عليهم من بعد الصلب بأربعين سنة وذلك أنه أنبأ أولاً عن حصار أورشليم
(ثانياً) عن الضيق الذي يحصل لمن هو داخل المدينة قبل أخذها (ثالثاً) عن خراب
القدس والمدينة معاً (رابعاً) عن تشتت اليهود بعد ذلك بين سائر الشعوب والامم
وأنبأ أيضاً عن علامات قال عنها أنها تسبق هذه الحوادث وأخبر رسله بما يتكبد
المؤمنون من الضيق بسبب هذه الامور وبيان ذلك بالتفصيل

فأولاً قال المسيح (فانه ستأتي أيام ويحيط بك أعداؤك بمرسة ويحدقون بك
ويحصرونك من كل جهة ويهدمونك وبنيك فيك ولا يتركون حجراً على حجر
(لو ٢١ : ٤٣ و ٤٤) و اتمام ما جرى بهذه النبوة مفصلاً هو كما يأتي ان آخر
من تملك على اليهود هو اغريباس ابن اغريباس بن ارسطوبولوس بن مريم زوجة
هيرودس التي من نسل المكابيين فهذا الملك لسوء طالع كان اليهود في زمانه في أشقى
حال . وأنكد حظ يقتلون بعضهم بعضاً بالسر والجهر فكان بعضهم يحملون سكاكين
صغاراً ذات حدين ويخفونها في ثيابهم ومن كان ذا عدو ورام أن ينتقم منه يعطي
شيئاً لواحد من أولئك الاشقياء ويستأجره على قتله فيمشي الحامل السكين بجانب
ذلك المسكين حتى يتهنئ فرصة ازدحام فيضربه ويخفي بين الجموع

وحصل أن اغريباس الملك سافر الى رومية ليؤدي واجب السودية لسيرون الذي تخلف عن اقلوديوس قيصر فجار فيلكس القائد الروماني في غيابه على اليهود فخاربه هؤلاء وقتلوا من جيشه جماعة كبيرة واضطروه أن يهرب الى مصر فهرب ولما رجع اغريباس من رومية ذهب الى فيلكس وجاء به الى اورشليم مع قائدين بجيش كبير من الروم ولما دنى منها خرج لاستقباله وجهاؤها الذين اخبروه بما حل بهم من الجور وأظهروا أنهم يرومون الاستقلال وأهم عاصون على الروم فشق ذلك على الملك اغريباس وأجابهم باللطف ان يعدلوا عن رأيهم فلم يسمعوا له وكان بيد القواد هدية من نيرون الملك لبيت الله فأبى اليهود قبولها وقتلوا الذين قدموها وجميع من في اورشليم من الروم وكان الذي تجرأ على هذا الامر المنكر رئيس عصبة يدعى العازر بن خنائي الكاهن فاستعظمه كبار المدينة وانكروا عليه وخافوا من سوء العاقبة فاخبروا اغريباس بذلك والتمسوا منه المساعدة فإرسل لهم قائدين ومعهم ثلاثة آلاف جندي فاستعانوا بهم وحملوا على العازر ومن معه واقتلوا قتلاً شديداً حتى ظفروا بجيشه فانهمز الى القدس ثم استعان عليهم بأصحاب السكاكين الصغار فقتلوا على أعدائه وقتل منهم عدداً لا يقع تحت الحصر وانهمز أصحاب اغريباس وخرجوا من المدينة فاستولى العازر عليها وأحرق قصر الملك وأتلف أموالاً كثيرة فغضب اغريباس الى رومية واخبر نيرون بكل هذه الامور فاستشاط غيظاً وأرسل للوقت الى (كسينا) قائد الجيش الذي كان بالقرب من اليهودية آتياً من حرب العجم وأمره أن يخضع اليهود فعاد اغريباس وجاء الى كسينا فوجده في الشام فأتى به الى اورشليم فحصل بين الروم واليهود حروب كاد ان ينتصر بها الروم لو لم يدخل اليهود المدينة ويستعدوا برجالهم وأبطالهم ويجددوا الحرب التي بها فازوا الفوز العظيم فلما رأى كسينا ثبات اليهود خاف منهم وهرب فتعقبوه وقتلوا من جيشه خلقاً كثيراً فلما وصل الى رومية ومعه اغريباس جهز نيرون جيشاً آخر وسلم قيادته لوسبسيانوس أعظم فرسانه فذهب هذا بجيشه ومعه ابنه تيطوس واغريباس الى اليهودية وأما اليهود فقتلوا جيوشهم ثلاث فرق فرقة منها حلت في جهة طبرية وجبل الجليل تحت قيادة يوسفوس الكاهن بن كربون والثانية في بلاد ادوم تحت رئاسة العازر بن خنائي

الكاهن والثالثة في اورشليم وما يليها يقتادها خاني الكاهن نجاء وسباسيانوس الى طبرية بحيشه وجيش اغريباس وخلق كثير من سائر الامم الذين يفتضون اليهود فلما رأى يوسفوس كثرة عساكر الروم خاف منهم فتمحصن بمحصن في الجليل فبعث القائد اليه يسأله الصلح فأبى أن يقبل بموجب طاعته لاوامر وجهاء اورشليم الذين رفضوا صلح الروم فلما نزلت جيوش الرومانيين على الحصن خرج اليهم يوسفوس بسكره فالتحم الفريقان وكادت الدائرة تدور على جيوش الروم فشجعهم وسباسيانوس والقي بذاته في الخطر فأصيب منه بضربة في ساقه فاستمر الحرب متوالياً بين الفريقين لا ينقطع ليلاً ونهاراً مدة ثمانية وأربعين يوماً التي كان فيها عسكر اليهود ينقص وأما عسكر الروم فيزداد ولما كان اليهود ذات ليلة في غفلة من التعب تسلق قوم من الروم على الحصن وفتحوا بابه فدخل عسكرهم وشرع يقتل من فيه حتى لم يفلت من اليهود الا يوسفوس ومعه أربعون نفرأ ففروا واخبتوا في مغارة فلما علم بهم قائد الروم أرسل ينلطف بحالهم ويأمنهم على حياتهم ان أطاعوه فقال يوسفوس الى ذلك فلما نظره القوم رفقة وبخوه وجبروه على ان يقتل نفسه أو يقتلوه فلاطفهم فلم يذعنوا له فاحتال على خلاص نفسه قائلاً اذا كنتم قد عزمتم على هذا فالصواب ان يقتل كل اثنين منا فن خرجت عليه القرعة بالقتل يقتله صاحبه الى أن لا يبقى منا أحد فقبل القوم رأيه وقتل بعضهم بعضاً حتى لم يبق منهم الا يوسفوس ورجل آخر فاتفق معه على أن يحفظا حياتهما وخرجا الى القائد الروماني وأطاعاه

أما باقي اليهود فمظم التمر بينهم ولعب الشيطان برؤوسهم وذلك أن رئيس عصبة في الجليل جمع حوله أوباش اليهود وقوى أمره بهم نجاء الى اورشليم وفلك بأهلها فقاومه خاني الكاهن ولما تضايق مما حل به وبأهل اورشليم بعث يستنجد وسباسيانوس فرفض طلبه مريداً ان يهلك اليهود بعضهم بعضاً ليسهل عليه أمرهم وأشغل جيوشه بفتح بلاد ادوم فظفر بها ولما عزم على الذهاب الى اورشليم ورد له خبر ينبت بموت نبيرون وقيام ملك بدله من أدنياء الناس فغضب الجيوش من ذلك وبايموا قائدهم بالملك فشطرت العسكر الى اثنين أخذ أحدهما معه وسار به الى رومية لقتال الملك الجديد فغلبه والآخر أبقاه تحت قيادة ابنه تيطوس وأمره بقتال اليهود أما

هؤلاء فسمرت نيران الفتن بينهم وزاد حالهم وبالا وذلك أن رجلاً يقال له شمعون احتشد جيشاً وشرع يفتك بأهل البلاد المجاورة لاورشليم ويتلف زروعها ويقتصب أموالها ولما قوى أمره جاء الى اورشليم وحاصرها فتضايق أهلها وأصبحوا برزية من خارج وداخل فمن خارج كان يهددهم شمعون ومن داخل يفتك بهم يوحانان ولما تضايق بهم الامر سلموا ذواتهم لشمعون ففتحوا له أبواب المدينة واستدعوه لمحاربة يوحانان فلمهم حتى ملكهم نفاقهم وكان العازر غائباً عن اورشليم فجاء اليه بقومه وصار ثالثاً لهما فاخذوا يقتلون مع بعضهم ويهرقون دماء بعضهم وصارت المدينة معرضة لاربع أفات وهي القتل والحرب والحريق والجوع

أما تيطس الروماني فكان في هذه المدة لا يزال في قيصرية يحشد جنوداً واذ كانت غايته الوحيدة أن يفرغ من قتال اليهود ليعود سريعاً الى أبيه زحف بجيشه على اورشليم ونزل في جبل الزيتون وتأهب للقتال فلما رأى رؤساء العصب الثلاث العسكر الروماني صباحاً اصطلحوا معاً وتحالفوا على قتال الروم فخرجوا برجالهم للقاء الروم والتحم الفريقان ببعض فهزم الروم اليهود الى المدينة ثم أخرج هؤلاء فرقة من رجالهم وأمرهم أن يمضوا الى الروم من جهة أخرى حتى يصيروا وراءهم ففعلوا وخرج باقي اليهود من المدينة ولاقوا الروم الذين صاروا في الوسط منهم فكد اليهود أن يهلكهم بأجمعهم ولما عاد الرؤساء الى المدينة وقع الخلاف بينهم وبدأوا يفتكون بعضهم وكانوا اذا ضايقهم الروم يصطلحون واذا استراحوا من قتالهم يقتلون بعضهم واستمروا على هذا الحال مدة وكان ذات مرة أن تيطوس قدم الكباش الحديدي وغيره من الآلات وأذناه من الحصن ليهدمه وعمل أبراجاً عظيمة من خشب توازي السور وتحتها بكرات ترفعها الرجال وتصدر عليها للقتال من فوقها فلما رآها اليهود قلقوا فتألفت قلوبهم وخرجوا للروم فخاربوهم وأحرقوا الكباش والآلات والابراج وأبعدوا الروم عن الحصن ولما رجعوا الى المدينة عادوا الى الشقاق فلما علم تيطوس بذلك دفع الكباش على السور الاول فأوقعه فهرب من كان داخله الى السور الثاني ثم أمر تيطوس بأن تنقل الاحجار بعيداً وتوسع تلك الثمة ليتمكن من القتال ففعل كذلك فلما رأى اليهود انهدام السور جددوا الصلح وفرقوا أبطالهم على

جبهات المدينة فاشتد القتال بينهم فظفر الروم بهم ورفعوا الكباش الى السور الثاني فسقط منه جانب فتراكض اليهود الى تلك الثلة وصعدوا الروم فأثت الى تيطوس نجدة كبيرة اشتد بها قوة وهجم على اليهود ففرق شملهم فدخلوا الى المدينة وأغلقوا الابواب خلفهم حينئذ كنف تيطوس عن حرب اليهود وامر يوسفوس أن يتقدم اليهم ويخطبهم في أمر الصلح فجاءهم هذا وخطبهم بكلام كثير في شأن الصلح فشتسوه وأهانوه فبكى قدامهم وندب قساوتهم التعساء حتى رق قلب تيطوس وأمر باطلاق من بمسكر الروم من اليهود وأحسن اليهم وأما أهل المدينة فرغب أغلبهم الطاعة والصلح ففتحهم السجاة وأمروا البوابين بأن يقتلوا كل من طلب الخروج الى الروم أما تيطوس فلما نظر ان الكلام لا يجع بهم ولا يؤثر آيس من طاعتهم بالتي هي أحسن وعزم على هدم السور الثالث فقسم عسكره أربعة أقسام وأقامهم على أربعة جهات المدينة ونصب الكباش ليهدم بها السور من كل جانب فخرج اليهود اليهم وقاتلوهم وأظهروا بسالة مدهشة ذلك اليوم حتى قتلوا من الروم خلقاً لا يقع تحت الحصر واحرقوا الكباش فكف تيطوس عن حرب اليهود وحاصر المدينة وضبط جميع طرقها حتى لا يدع أحداً يدخل اليها أو يخرج منها فضاقت الامر باليهود مضمون فصل ٦ و ٧ من كتاب يوسفوس بن كريون

ثانياً قال المسيح متنبأ لان هذه أيام انتقام لانه يكون حينئذ ضيق لم يكن مثله منذ ابتداء العالم الى الآن ولن يكون (لو ٢١ : ٢٢) وثمة ذلك انه قد دهم اليهود ضيق لم يره اسلافهم منذ ابتداء العالم وذلك انه لما طال الحصار عليهم وانقطعت المؤونة عنهم تضايقوا وقوى الجوع بهم حتى اكل بعضهم الحيف وديب الارض وكانت المساكن منهم تنهب وتخطف ما في البيوت من الحبوب والدقيق وكانوا اذا سمعوا صوت طاحونة أو شموا رائحة طبخ أو خبز يسرعون وينهبون ما يجدونه بدون رحمة ولما نفذت الاقوات من المدينة واشتد الجوع مات كثير من الناس والقوا بدون دفن في ساحات المدينة ففتت البيوت والطرق وكان كثير من القوم مواليهم في الآبار ويطرحون بأنفسهم من بعدهم ليقتلوا والبعض يحتضرون حطباً ويحبسون فيها الى أن يهلكوا جوعاً - وأما المساكن فلما لم يجدوا ما يقتلون

به بلغ من أمرهم الى أن أكلوا الحب الذي يوجد في زبل الحيوان وجلود البهائم الميتة وما يوجد من الجلود على سروجهم وسيوفهم . فبالعجب أن كل هذه الرزايا التي دهمتهم والمصائب التي حلت بهم لم تجعلهم أن يفتشوا وان يجرؤوا أمراً يكون فيه صالح لهم ولمدنيتهم بل ما زالوا شاقين عصا الوفاق يهزقون دماء بعضهم وبلغ من أمرهم الى أن هجموا ذات يوم على الهيكل وقتلوا الكهنة بينما كانوا يقدمون الذبايح قرباناً فاختلطت دماء الناس بدماء الحيوانات وأحرقوا مخازن الذخائر التي كانت تكفي مؤونة حصار سنين كثيرة وطافوا في المدينة يفتشون كل بيت يظنون فيه ما يؤكل لان الرحمة والرافة زالتا من بينهم وعدم الترتي و بطل النوح وقست القلوب حتى أنه صار الآباء يخطفون من أيدي أبنائهم الحليز والابناء من أفواه آبائهم الطعام . ومن النوادر الغريبة المزعجة أن سيدة ذات نسب شريف وغنى جزيل أتت الى اورشليم على العبد واضطرت بسبب الحصار أن تبقى فيها فأخذ كل ما لها ونهب كل ما خزنته من الطعام ولم يكن لها من البنين سوى طفل صغير فلما زاد ألم جوعها سيما ألم حزنها على ولدها الذي كان يتضرر جوعاً فقدت الصبر وعدمت التسمية فقدمت ولدها لترجحه من ألم الجوع وتسد به جوعها فقبضت على ناحية بينهما الواحدة والسكين بيدها الاخرى وهي مسلوقة العقل وفاقدة الادراك ثم حولت وجهها عنه لئلا تبصره وضربت به بالسكين فمات ثم طبخته وأكلت جزءاً منه وخبأت ما بقي فلما ارتفع قطار اللحم شممه اللصوص فبادروا اليها وتهددوها بالموت أو تكشف لهم ما عندها فلما أجابتهم انها خبأت لهم حصاة من ذلك الطبخ ثم احضرت لهم ما بقي منه واذا هو جزؤ من ولدها فقالت لهم هذا ولدي اكلت نصفه فاندعشوا من هذا الامر ولم يأكلوا فقالت لهم يمكنكم قبيح استعجاب ان تكون امرأة أقوى قلباً منكم فخرجوا من عندها مذعورين وشاع خبرها فقلق الناس وأيقنوا بالهلاك ثم اطلق لهم بالخروج من المدينة فخرج منها خلق كثير فالذين لم يستأنسوا منهم للاروم بل رغبوا الهروب عوملوا معاملة رديئة اذ أمسكهم العسكر وصلبوهم وسخروا بهم والذين ذهبوا الى المعسكر قتلهم عسكر السوريان والعرب وسببه هو ان اليهود لما خرجوا من المدينة ابتلعوا ذهباً وجواهر فلما صاروا في المعسكر جلس واحد منهم وأخذ يفتش في برازه ويخرج منه ما كان

ابتلمه فرآه عسكري وأخبر رفقته الذين لم يعلموا بذلك شرعوا يقتلون اليهود ويستخرجون منهم الجواهر فلما علم تيطوس بهذا الأمر شق عليه وأمر بالاحسان إلى اليهود الذين صاروا تحت ذمته وكان ممن خرج إليهم سبيان جاثعون لم يبصرون الحبز يخطفونه وينهشونه بلا عقل ثم يموتون عقيب ذلك وكان كثيرون منهم لا يتقدرون أن يفتحوا أفواههم فوكل تيطوس بهم يوسفوس فصار يستقيهم اللبن حتى تلين أجوافهم.

(مضمون فصل ٧ من تاريخ يوسفوس)

ثالثاً قال المسيح متنبئاً عن اورشليم ويهدمونها وبنيك فيك ولا يتركون فيك حجراً على حجر (وعن خراب الهيكل مخاطباً رسلاً) أما تنظرون جميع هذه الحق أقول لكم أنه لا يترك هنا حجراً على حجر لا ينفق (متى ٢٤ : ٢) وقوله لليهود (هو ذا بيتكم يترك لكم خراباً) (لوقا ١٣ : ٣٥) واتمام ذلك أنه لما ضاق الأمر باليهود وهلك بعضهم جوعاً أيقن الروم بأخذ المدينة فقدموا الكباش إلى السور الثالث ليهدموا فخرج إليهم اليهود وقتلوا منهم رجالاً ولما كانت أيدي اليهود من الحرب وعادوا إلى المدينة دفع الروم الكباش مساء إلى السور الثالث فهدموا فقام اليهود ليلاً وبنوا قبالة سوراً جديداً فلما طلع النهار رأى الروم هذا السور فذهلوا وارتخت عزائمهم فشجعهم تيطوس وأوراهم ما حل في اليهود من الضعف ووهن القوة فقامت أيديهم ولما كان اليهود في الليلة الثانية نياماً من التعب والجوع صعد على السور عشرون بطلاً ومعهم جماعة فملكوه ودخلوا المدينة صارخين باليهود فاستيقظ هؤلاء ولبثوا في أماكنهم . فلما سمع تيطوس صراخ أصحابه تحقق أنهم ظفروا بالمدينة فجاء بعسكره إلى السور ووقف إلى الغد فالتحم الفريقان فانهزم اليهود إلى سخن القدس وتبعهم الروم واقتلوا معاً فظفر اليهود بالروم واستظهروا عليهم وأخرجوهم من القدس وقتلوا منهم رجالاً كثيرين وكان يمنع الروم عن مقاتلة اليهود حاجز متصل بالقدس ومنت به بالأسوار المهدومة فأمر تيطوس بهدمه ليسهل على جيشه الحرب فهدم وصار المضي إلى القدس سهلاً أما تيطوس فشفق على اليهود وعلى خراب مدينتهم وخراب الهيكل المقدس ورام أن يأمنهم على أنفسهم على شرط أن يطيعوه فخطبهم بشأن ذلك ثم أمر يوسفوس بن كرون أن يخاطبهم فخطبهم فلانت قلوب البعض منهم وبكوا بكاء مراراً وهموا

بالخروج قبادر العصاة الى قتلهم فسارع الروم لخلاصهم وهجموا على اليهود في القدس
فقاتلوهم فضعفت ايدي الروم وانهزموا الى قدس الاقداس والتجأوا فيه فقبضهم
اليهود وقتلوهم فلما شعر تيطوس دعا يوحنا بن الكاهن ووجهه على تجاوزه الشريعة
بدخول اليهود الى قدس الاقداس وقال له ولليهود قد علم الله مني وشهد علي اني
لا أريد أخرب هذا البيت ولكن أعمالكم الرديئة هي التي تخربه واني اريد ان
تطيعونا حتى لا نخرب هذا البيت لكن نصونه ونحسن اليكم ثم نصرف فلم يذعن
اليهود لكلامه فاتحبت ثلاثين ألفاً وعزم ان يكبس اليهود ليلا فعلم هؤلاء بالمكيدة
وربطوا بخبة رجالهم جميع طرق المدينة ساهرين فلم يتم لتيطوس ما عزم عليه
ولما رأى اليهود اسوار المدينة مهدومة واسوار القدس مثلومة وتحت ايدي
الروم دبوا حيلة وقتلوا بها كثيرين منهم وذلك انه كان بقرب القدس قصر عظيم
من بناء سليمان بن داود وزيد علواً بأيدي الملوك وعلي بجوسق رفيع من الخشب
وتغطت حيطانه بالخشب أيضاً فطلى اليهود هذه الاخشاب بالنفط والكبريت والقار
واخفوا فيه رجلاً وأمروه ان يشعل ناراً فيه عند ما يسير الروم في اعلاه ويخرج
من باب كان مخفياً فلما دار القتال بينهم وبين الروم الذين داخل القدس انهزم
اليهود فارين الى ذلك القصر وخرجوا من الباب الآخر المخفي فقبضهم الروم الى
القصر ولما صاروا في اعلاه أشعل ذلك الرجل النار وخرج سراً فلما شاهدوا
النار هموا ليخرجوا فوقف اليهود على باب القصر وسعواهم من الخروج حتى مات
جميعهم فرفع تيطوس من ثم الحرب عن اليهود وأحاط بالمدينة بعسكره من كل جانب
رضايق اهلها فمات من اليهود خلق كثير جوعاً وبعضهم خرجوا الى تيطوس
فقبلهم وأحسن اليهم فلما اشعر تيطوس بوهن قوة اليهود دخل بعسكره بدون مانع
الى القدس فأمر أصحابه مؤكداً عليهم أن لا يحرقوا القدس فاجابوه قائلين ان لم نحرقه
لا يكف اليهود عن مقاومتنا فكرر الامر مؤكداً عليهم وكان الطريق الى
القدس مسدوداً بباب مصفح بالفضة فخرقه بعض الروم وأخذوا الفضة من عليه
ودخلوا الى القدس فمصبوا فيه اسنامهم وقربوا لها القرابين ومدحوا سيدهم تيطوس
فلما رأى اليهود ذلك لم يحمّلوه قبادروا الى الروم وقتلوه ثم جاءهم تيطوس

بمسكره فقتل بعضهم ومن بقي منهم هرب الى جبل صهيون فدخل المسكر الى القدس وأشعل النار فيه فلما رآها تيطوس أرسل فرقة فطفتها ثم شبت مرة ثانية فأمر المسكر فطفئوها ورمى جندي ناراً من نافذة في حائط قدس الاقداس فاشتعلت فبادر تيطوس وتبعه رؤساؤه الى ذلك المكان باذلين جهدهم بالصراخ والادوامر الصارمة لردع الجنود عن اتلاف البناء فاعتنم جندي آخر فرصت خروج تيطوس ورمى النار في العتبة على الباب الذهبي فالتهب ونفذ لهيبه الى داخل البيت فجاء تيطوس مسرعاً الى قدس الاقداس لكن لم يستطع هذه المرة أن يمنع جنوده وذكر أنه صاح في ذلك اليوم حتى يح حلقه وأشهد الله على نفسه أنه لم يشأ حرقه

فلما رأى اليهود أن النار أخذت تولع في بيت عزهم وهيبكلهم بادروا بقتالون الروم فانهمزوا من امامهم وزجوا أنفسهم في النار فاحترقوا فأصدر حينذاك تيطوس الاوامر بنقض الهيكل وكل المدينة الى الاساس فاسرع اليهود الى كافة القصور الجميلة والبيوت العظيمة وأحرقوها وما فيها من الذخائر والعدد والاموال (مضمون فصل ٨ من تاريخ يوسفوس) وقيل في (التلمود) أن ضابطاً من جيش تيطس حرث أخيراً أسس الهيكل وزاد (كبن) أنه قد جبر سحراث على الارض المقدسة علامة لعنة الدائمة

رابعاً قال المسيح متنبئاً على سبي اليهود . ويقعون بقم السيف ويسبون الى جميع الامم (لو ٢١ : ٢٤) واتمام هذه النبوة هو أنه قد ذكر رؤساء اليهود الذين استأمنوا للروم قبل أن يأخذوا المدينة انهم أحصوا الموتى الذين أخرجوا من ابواب المدينة فكان عددهم ٦٠٠ ألف غير الذين ألقوا في البوابع والابار والشوارع وليس من يدفنهم وغير الذين طرحوا الى خارج الحصن وأما الذين هلكوا في الحرب وقتلهم أصحاب الثورة فكان عددهم ١٠٠٠١٠٠ نفرأ والذين أخذهم تيطوس سبياً كان عددهم ٩٩ ألفاً غير الذين آمنهم على أنفسهم وقبل أن تؤخذ المدينة وقع منهم كثيرون بأيدي الروم فباعوهم ونساءهم وأولادهم معهم وارسل منهم الى نيرون ٦ آلاف شاب مختار وبيع ٣٠ ألفاً من القرى الاخرى وأخذ من أسرى اورشليم طوال القامة وحسان الصورة الى رومية للاحتفال بدخول تيطوس ظافراً وسبي

بعضهم الى مصر والقي غيرهم للسباع في أما كن مختلفة ومن بقى في اورشليم تفرق
طوعاً وجبراً الى كافة الولايات ولا يزال يشهد تاريخ شعوب أوروبا وآسيا وأفريقيا
بحجة نبوة المسيح وتماها على سبي اليهود لانه في كل قسم من أقسام الارض وجدت
فرقة من اليهود مضوكة من الاضطهاد ومغوضة من كافة الاجناس وذلك علامة
لرحمة الله واعتنه الدائمة عليهم وعلى نسلهم . وقد بذل اليهود جهدهم في أزمنة مختلفة
ليعودوا الى اورشليم وبينوها فلم يستطيعوا ذلك في الجيل الثالث حينما جدد بناءها
ادريانوس القيصر وجعلها كولونية رومانية رغب اليهود أن يسكنوها فمنعهم من
الدخول اليها وهددهم بقصاص الموت فحنقوا عليه وشقوا عصا الطاعة وهموا على استرجاع
مدينتهم من يد الروم فحاربهم الملك وقتل منهم خلقاً كثيراً وقاموا مرة ثانية في
زمان قسطنطين الكبير فأخضعهم قهراً وألقاهم في ذل مشوم وسيأتي ذكر تمام
نبوة المسيح في ترجمة يوليانوس الكافر وذلك في الجيل الرابع

تقول ما ذا صار للمسيحيين الذين كانوا في اورشليم فأجيب أنه لم يصيبهم أدنى
ضرر وذلك انه قبل مايدهم المدينة جيوش الروم وقبل ما تنقسم الامة الى احزاب
ويصبح كل واحد يعادي الآخر خرج المسيحيون من المدينة وذهبوا الى مدينة صغيرة
في عبر الاردن تدعى (بلا) سكنوا فيها واستمروا الى أن انتهت القلاقل وعاد بناء
اورشليم فرجعوا اليها وأما الذي نبههم الى الهروب فهو أمران أحدهما أنذار المسيح
بعلامة ظاهرة بقوله فتي نظرت رجسة الخراب التي قال عنها دانيال النبي قائمة في
المكان المقدس ليفهم القارى فحينئذ يهرب الذين في اليهودية الى الحبال (متى ٢٤ :
٥ و ٦) فقال المفسرون ان رجسة الخراب هي رايات الجيوش الرومانية التي كان
عليها تمائيل يقدمون لها عبادة وكان اليهود يحتسبونها رجسة وحين نصب الجيش
الروماني راياته حول المدينة المقدسة قامت حرفياً رجسة الخراب في الارض المقدسة
او المكان المقدس ونسبت للخراب لكونها كانت تتقدم أي جيش يحل في مدينة ليدمرها
ويحرقها . وثانيهما هو انه قبل ما يحل بأورشليم وأهلها هذه الشرور ظهرت علامات
أخرى في القدس أنذرهم بقرب الخراب وذلك ان كوكباً عظيماً ظهر قبل مجيء
وسبسيانوس بنور ساطع وكان القدس يضيء به كما يضيء بنور الشمس واستمر على ذلك

سبعة أيام عيد الفصح وقدم أناس بقرة قربانا فلما طرحوها للذبح ولدت خروفاً وباب القدس الشرقي الذي كان عظيماً جداً وكان لا يفتح أو يفتح إلا بقوة جماعة من الرجال كان اليهود يحسدونه مفتوحاً كل يوم وظهر فوق القدس في الهواء صورة وجه انسان بديع في الحسن وظهر أيضاً في تلك الأيام صور ركبان من نار على خيل من نار يطيرون في الهواء قريباً من الارض وليلة عيدالغصيرة سمع الكهنة في القدس حس جماعة يذهبون ويحيثون من غير ان يروا احداً منهم وسمع صوتاً عظيماً يقول (امض بنا حتى نرحل من هذا البيت) وقبل خراب البيت بأربع سنين ظهر في المدينة انسان من بعض العوام وكان يمشي بين الناس كالمجنون ويصرخ قائلاً (صوت من المشرق صوت من المغرب صوت من أربع جهات العالم صوت على اورشليم صوت على الهيكل صوت على الحصن صوت على العروس والعريس صوت على جميع الناس) فلم يفتر من ذلك وما زال يصرخ حتى أحاط الروم بالمدينة وكان ذات مرة يصرخ كهاده فرمى بحجر ومات لوقته (مضمون فصل ٨ من تاريخ يوسفوس)



الحيل الثاني

ترجمة الاب ابريموس البطريك الخامس سنة ١١١٢ م — ١١٢٤ م

وفي سنة ١١١٢ م في شهر أيب منها كرس ابريموس بطريكا على الكرازة المرقسية وكان مضي على الكرسي وهو خال بمن يشغله سنتان فان المؤمنين لم يتمكنوا بسبب الاضطهاد الشديد في خلال هذه المدة من اقامة بطريك لهم ولكن لما حدث بيران الاضطهاد بادروا على عجلة وانتخب الاساقفة منهم هذا الرجل المختار وكان مشهوراً بالافعال الصالحة والعفة والنشاط والاجتهاد والحكمة وسائر المناقب المسيحية فلما صار بطريكا ازداد نشاطه وصار كاملاً في علمه وعمله وظل يشغل في توسيع نطاق الكنيسة مدة اثني عشر سنة لا يفتقر في خلالها من الوعظ والارشاد ثم توفي سنة ١١٢٤ م في ٣ من شهر مسرى

ترجمة الاب يسطس البطريك السادس سنة ١١٢٤ م — ١١٣٥ م

وفي ذلك الشهر عينه من تلك السنة نفسها عقد الاساقفة مجمعاً في الاسكندرية وتداولوا معاً على من يليق أن يرسم رئيساً عليهم فأجمعت آراؤهم على تقديم هذا القديس فقدم واستلم زمام الكرازة وأحسن فيها وأجاد وقوم وعلم ودرب وهدب المؤمنين وهدى كثيرين الى عبادة ابن الله الواحد وأرشد من الوثنيين عسداً ليس بقليل وقد لبث على هذه الحال محققاً الآمال مدة عشر سنين وعشرة أشهر وخمسة عشر يوماً وفي ١٢ بؤونة من سنة ١١٣٥ م توفي بالرب

ترجمة الاب أومانيوس البطريك السابع سنة ١١٣٥ م — ١١٤٦ م

وماشاع خبر وفاة الاب يسطس في الاصقاع المصرية حتى أقبل على الثغر الاسكندري الاساقفة من كل صتاع واجتمعوا معاً فوق اختيارهم على أومانيوس أحد فضلاء مسيحي الاسكندرية

وصاموا وصلوا ورستوه رئيس أساقفة وأهم أعمال هذا البطريك تعيين الاساقفة للكراسة المرقسية فانه رسم عدة كبيرة منهم وبعث بهم الى الديار المصرية والنوبة والخمس مدن الغربية وبعد ما قضى بالخدمة البطريكية احدى عشر سنة وثلاثة أشهر توفي في اليوم العاشر من بابه سنة ١٤٦ م

ترجمة الاب مريكانوس البطريك الثامن سنة ١٤٦ م — ١٥٥ م

وفي هذا الشهر عينه والسنة نفسها اجتمع الاساقفة وكبار المسيحيين في البطريكنة واتحدوا قلباً وقالباً على انتخاب مريكانوس الذي كان صيت محبته لله وتواضعه وعلمه وعمله شائعاً في كل مكان فلما صار بطريكاً أقفى آثار اسلافه وسار على منهاجهم القويم وواظب على ارشاد الشعب وتعليمه وتهذيبه وتقويمه وكان لا يفتقر في الليل ولا في النهار من المساعي المؤدية الى نجاح الدين المسيحي وظل سائراً على هذه الخطة الحميدة تسع سنين وشهرين و ٢٦ يوماً وتوفي بسيرة مرضية وحيدة في اليوم السادس من شهر طوبة

ترجمة الاب كالوتيانوس البطريك التاسع سنة ١٥٥ م — ١٦٩ م

وما طار خبر وفاة الاب مريكانوس حتى اجتمع رؤساء الكهنة وأعيان الشعب المسيحي في الدار البطريكية وتداولوا في ما بينهم مدة وبحشوا على من يستحق ان يرقى كائذرا الرسول مرقس فوق اختيارهم على رجل عفيف حكيم فاضل في علمه بمحمود في سيرته ممدوح في قيامه وقعوده اسمه كالوتيانوس فصاموا حسب المعتاد وصلوا وسلموا عدا الرئاسة فقبض على زمامها وبدأ يفلح في كرم الرب ويزرع البذار الحلي في ارض القلوب الحية ويقتطف منها ثمار البر والتقوى والقداسة واستمر على هذه الخطة الحميدة مدة اربعة عشر سنة وستة أشهر وثلاثة أيام وتوفي قديساً في اليوم التاسع أو السادس من شهر ابيب سنة ١٦٩ م

ترجمة الاب اغريغوريوس البطريرك العاشر سنة ١٦٩ م — ١٨١ م

فأخلف كالونيانوس على كرسي البطريركية اغريغوريوس بمقتضى الشريعة الكنائسية فلم ينفك عن السعي من نحو نفسه ومن نحو الله في طريق الكمال المسيحي في العبادة السرية والعلنية في الصوم والنسك والعفاف والامانة والتقشف ومن نحو شعبه الذي ائتمن عليه في ارشاده وتعليمه وتقوية شأنه وتعزيز جانبه ورفع منار الايمان المسيحي في الداخل والخارج وأقام على هذه الحال المرضية احدى عشر سنة وسبعة أشهر وتوفي في اليوم الخامس من امشير سنة ١٨١ م

ترجمة الاب يوليانوس البطريرك الحادي عشر سنة ١٨١ م — ١٩١ م

وفي هذا الشهر وهذه السنة عقد الاساقفة مجمعا وقرروا فيه رسامة يوليانوس وكان كما يظن كثيرون أحد تلامذة مدرسة بتيوس الفيلسوف التي سنأتي على ذكرها وقد أنعم الله على هذا الفاضل بروح النبوة ومن ذلك أنه لما قربت وفاته ظهر له اعلان من السماء وأعلمه عمن يستحق أن يرقى كائذرا البطريركية وأعطى له العلامة لذلك وهي ان يجسد ذلك الذي رشحه الروح القدس لهذه الوظيفة عنقود غنب بغير أوانه ويحضره للبطريرك وكان ذلك فان فلاحا مسيحيا عاميا لا يعرف من القراءة والكتابة شيئا بينما كان يشتغل في كرمه لحظ عنقود غنب في حقنة بغير الاران ففرح به جداً واستحسن ان يقدمه هدية للبطريرك الذي كان وقتئذ مريضاً فأخذه واسرع به اليه فلما شاهد القديس هذا الرجل العامي تذكر اعلان الله له فقبل الهدية كأنها من يد ملاك سموي واستحضر زعماء المسيحيين ورؤساءهم وقص عليهم حيلة الامر وأمرهم ان يختاروا من اخذاره الروح القدس بطريركا لهم من بعد وفاته فرفضوا لامره وفعلوا بحسب اشارته

وفي هذا الاوان كان الفيلسوف بتيوس استاذ المدرسة الدينية في الاسكندرية ومن مآثره انه هذب اللغة القبطية ومما عفاها في قالب مقبول وذلك ان اللغة الهيروغليفية

كانت تنقسم الى قسمين القسم الاول عبارة عن اشكال وصور مضمونة كل شكل أو صورة منها يدل على معنى مستقل وهذه اللغة كانت تنقش على الآثار وتستعمل في المواضيع الدينية والقسم الثاني عبارة عن اشارات كل اشارة منها يدل على حرف وهذه اللغة كانت تكتب على ورق البردي ولما لم تكن هذه ولا تلك تصلح لان تترجم اليها الاسفار المقدسة لما فيها من صعوبة الاستعمال اخترع بتيوس طريقة جديدة للابجدية القبطية وهي انه استعار الحروف اليونانية ولما كانت بعض اصوات لا يمكن ان يتلفظ بها بواسطة الحروف اليونانية استبقى لاجل ذلك ستة حروف من الابجدية الهيروغليفية فأصبحت من ثم الابجدية الجديدة صالحة لترجمة الاسفار ومن ذلك الحين قل استعمال الابجدية القديمة وحلت محلها الجديدة وشرع بتيوس وتلاميذه بترجمة الكتاب المقدس الى اللغة القبطية . ومن مآثره انه ذهب الى الهند والحبشة والعربية فبشر فيها بايمان المسيح ولم تذهب اجتهاداته بدون فائدة تعود على المسيحيين بالنفع الدائم فانه وجد أثناء مروره في بلاد اليمن انجيل متى مكتوباً باللغة العبرية ومخطوطة بيد الرسول نفسه فحملة معه الى الاسكندرية

ومن تلامذة هذا الفيلسوف الكننضوس الاسكندري الذي رقى رتبة استاذ ديني في تلك المدرسة وكان علاوة على الدروس الدينية يعلم الطلبة اصول الفلسفة وقد ألف جملة كتب دينية منها كتاب المجموعات وكتاب نصالح وكتاب الربوبي يختص بهذيب الشبان وقد تلمذ لهذا الاستاذ كثيرون منهم اوريجانوس العلامة الذي سنأتي على ذكره في ترجمة الاب ديمتريوس ومنهم اغريغوريوس الصجائي

ومن سوء الحظ ان هذه المدرسة لم يمض عليها الحيل الثاني والثالث حتى تغيرت أوضاعها وانقلبت الدروس تعطى فيها وتلقى على الطلبة بحال يخالف الايمان المسيحي فأبى الاله الا اضحلالها وابادتها واعدامها من عالم الوجود قيل ان نهاية أمرها كانت بهذه الكيفية وهي ان سيدة شهيرة وعالمة كانت استاذة هذه المدرسة فبلغ منها الى ان تجاسرت على أن تلقي على الطلبة دروساً تخالف

قواعد الايمان المسيحي بحضرة راهب كان غير متمكن في العلم فلما لم يكن في وسع هذا الراهب البسيط أن يفند أدلتها بما هو أقوى منها من الحجج والبراهين استخدم غيظاً وهجماً عليها كليث ومزقها ارباً وطرده تلاميذها

ترجمة الاب ديمتريوس البطريك الثاني عشر سنة ١٩١ م — ٢٢٤ م

(١) عفة هذا الاب (٢) النزاع بسبب عيد الفصح وترتيب ديمتريوس لحساب الاقباطي (٣) عقد المجمع في الاسكندرية وحرم اوريجانوس بسبب هرطقته (٤) ذكر بعض بدع

(١) رقى الاب ديمتريوس كاندرا البطريكية سنة ١٩١ م في اليوم الثامن من شهر برمهاث ومن أمره انه كان عامياً لا يعرف شيئاً من الكتابة والقراءة لكنه كان على جانب عظيم من الفضيلة فكان نقياً وعفيفاً بهذا المقدار حتى انه لم يباشر زوجته مباشرة زواج البتة وقد كانت العادة جرت على ان كل من يصير بطريكة ينبغي ان يكون بتولاً وقد كان من دأب هذا البطريك أن يكثّر من توبخ الخطاة وتبكيّت المذنبين الذين كان يطلع باطمام الروح على اعمالهم القبيحة وكانوا يعلمون ان له زوجة فئذمروا كثيراً وأخذ الواحد منهم يشاغب وينازع ويفاضب الآخر ووقعت الخصومة بينهم وانقسموا على أنفسهم بسبب ككون البطريك له زوجة الى أن شعر بهذه الامور المحزنة بواسطة اعلان من السماء اضطره أن يرفع النقاب عن محياء أمره مع امرأته لشعبه فأنهز الفرصة في يوم حافل وأدى خدمة القداس الالهى ولما انتهى منه استحضر زوجته ووضع في مئزرها قليلاً من جمر نار المجرة وفعل كذلك في حبيته وطاف على هذه الحال هو وهي بين الشعب وقدامهما نفر من الشماسة يرتلون ويرنمون وينشدون الاناشيد الروحية الى ان انتهوا من الدورة فنظر الشعب الى المئزر والحية واذاها صيححان لم يحدث بهما أقل تأثير من النار ثم وقف البطريك وبدأ يشرح حال تصرفه الملائكي مع زوجته العفيفة الى ان اقنع الشعب بذلك بواسطة ما شاهدوه من عظم الاعجوبة فوجدوا الله

وطلب المتدمرون عليه الصبح والفقران منه فصبح لهم وأسر زوجته من ذلك الحين أن تعيش مع العذارى اللواتي كن يندرن العفة ويعشن عابدات الله بالصوم والصلوة

(٢) قد جرى اختلاف بين المسيحيين بسبب تمييز عيد الفصح فان نصارى آسيا الصغرى وكيلىكيا وبين النهرين وسوريا كانوا يعيدون اليوم الرابع عشر من شهر نيسان العبري تذكاراً للصلب والسادس عشر تذكاراً للقيامة في أي يوم من الاسبوع انفقوا وفوق ذلك انهم كانوا مذنبون من تذكار الآلام في اليوم الرابع عشر يحلون الصوم والحزن مع معتقدين ان هذا اليوم يوم تحرير من العبودية وخلاص فكان هذا اليوم عندهم يوم حزن أثناء تذكار آلام الرب ثم يكون من بعد ذلك يوم فرح وكانوا يزعمون ان هذه العادة اتخذوها عن يوحنا وفيلبس الرسولين أما نصارى بلاد اليونان ومصر والبنطس وفلسطين وبلاد العرب فلم يجعلوا العدد الشهر أهمية بل راعوا اليوم الذي تألم فيه الرب واليوم الذي قام فيه من الاموات فكانوا يجعلون يوم الجمعة تذكاراً لموت المسيح ويوم الاحد تذكاراً لقيامته ولا يحلون الصوم قبل هذا اليوم واستشهدوا على ذلك بآسنيهم بطرس وبولس الرسولين

وقد استمر هذا النزاع بين الفريقين وقتاً طويلاً ولكن بدون أن يؤثر على سلام الكنيسة أو يقطع ربط المحبة وعلائق الاتحاد من أعضائها ولما سافر القديس بوليكر بوس أسقف ازميز الشيخ الرسولي نحو ١٦٠ م لرومية لنهي بعض مسائل من جعلتها مسألة الفصح أملاً بان يقنع انيكطس أسقف رومية حينئذ بقبول عوائد كنائس آسيا فلم يستطع الى ذلك سبيلاً وقام النزاع بينهما على قدم وساق وكان كل منهما يؤيد حجته بتسليم الرسل ومع هذا كله فلم تقدر عوامل هذا الخلاف ان تحدث تغيراً في الاتحاد الكنائسي ومن جملة مظاهر هذا الاتحاد ان انيكطس العاشر من عدد أساقفة رومية اشترك مع بوليكر بوس في خدمة القداس الالهي في محفل حافل وعند تقديس القرايين تنازل أسقف رومية لاسقف ازميز ليقدها لانه كان شيخاً طاعناً في السن وأقرب منه للرسول . واستمرت الحال على هذا المتوال الى ان كان فيكتور أسقفاً على رومية وبوليكر اتس أسقفاً على ازميز وديمتر بوس أسقفاً على اسكندرية وسراييون على انطاكية وذلك قرب ختام هذا الحيل فعقدت مجامع اقليمية في عدة

اما كن جميعها حكمت حكماً واحداً وهو ان يعيد المسيحيون عيد القيامة يوم الاحد وان لا يحل الصوم قبله وارسلت قراراتها الى جميع الكنائس . لكن كنائس آسيا لم ترض بهذا الحكم وبقيت مراعية عاداتها فقام فيكتور أسقف رومية وكتب رسالة الى بوليكراتيس أسقف أزمير ينصحه أن يترك عادته ويهدده بقطع العلاقة معه ان أبى قبول النصيحة فعقد بوليكراتيس مجمعا مؤلفا من خمسين أسقفاً آسيوياً كانت نتيجة مذاكراته رفض طلب فيكتور واعتبار عمله وقاحة وكتب أسقف أزمير رسالة الى فيكتور ضمنها مذاكرات مجمعه وذكر له فيها فيلبس الرسول وابنتيه ويوحنا حبيب الرب ورجالاً رسوليين جميعهم رقدوا في آسيا وكانوا محافظين على هذه العادة ثم صرح له أخيراً بأنه غير مبال براحيفه استناداً على حكم مجمعه الذي قال (انه يجب الخضوع لله أكثر من البشر)

فلم يقتنع الأسقف الروماني بذلك بل اندفع بغيط ودار بخلد ان يشوه وجه الاتحاد الكنائسي ويقطع علاقته مع الكنائس الآسيوية ويسمها هرطوقية ومبتدعة ولم يبرز فكره الى حيز العمل حتى قام ضده الاساقفة من كل جانب واعتبروه مستبداً ووجوه ونحوه ان يعدل من رأيه فرفض لقولهم وهكذا عدل عما عمل ومن هؤلاء الاساقفة الذين لاموا (فيكتور) ايريناوس أسقف ليون في فرنسا وقد احتج على غلط أسقف رومية بأن مسألة الخلاف في التعيد كانت في مدة اسلافه الذين لم يروا من الصواب أن يكذبوا سلام المسيحيين بسببه بل حافظوا على رباط الاتحاد الى هذه الايام وهكذا بقيت العادتان جارتين عادة مسيحي آسيا وعادة غيرهم في تعيد عيد الفصح الى أن انحلت المسألة بصوت الكنيسة العام في المجمع الاول المسكوني وهذه الاسباب هي التي حملت الانبا ديمتريوس البطريرك الاسكندري على أن يضع قواعد وأصولاً يضبط بها اليوم الذي ينبغي أن يعيد المسيحيون فيه عيد القيامة المجيد وقد كانت هذه القواعد والاصول موضع اعتبار لدى المسيحيين الاول وساروا بموجبها أجيالاً كثيرة ولا تزال الامة القبطية متمسكة بهذه المسألة وتجري بحسبها الى يومنا هذا

(٣) على أن هذه القلائل والاختلافات لم تحسب شيئاً بالقياس الى القلائل

والمنازعات التي سببها أوريجانوس معلم مدرسة الدين في الاسكندرية فان في نحو سنة ٢٣٥ م عقد القديس ديمتريوس في كرسي حبوريته مجماً حكام على هذا العلامة بالخروج عن حد الاعتدال في تعليمه وبلروق من الدين والسقوط في اثم الهرطقة وتفصيل ذلك أن أوريجانوس اليوناني الجنس لما توفي (لاونيدس) والده المسيحي شهيداً بعد ولادته له بسبعة عشر سنة تلذ لاكليمندس الاسكندري وقرأ عليه علوم الفلاسفة الافلاطونية وأدرك شيئاً بكثرة من علم اللاهوت وأحرز قوة بليغة في المعرفة والفصاحة حتى أصبح فريداً بعلمه وفصاحته بين آباء ذلك الحيل الامر الذي حمل البطريرك الموما اليه أن يسينه أستاذاً في مدرسة الاسكندرية الدينية ويعهد الى نشاطه تهذيب عقول أبناء كنيسته سيما الذين يترشحون للوظائف الكهنوتية ولم يعض على هذا السلامة وقت كبير وهو يؤدي وظيفته حتى أقام عقله البشري الخاضع للضلالة مقام أحكام الله وجعله مصدر كل قضايا الدين فطوح به الى مهاوي التيه والشroud عن محجة الحق وبدأ يث أفكاره ووساوسه على الطالبة وما بلغ الى مسع الاب ديمتريوس هذه الامور المحزنة حتى استدعاه بصفة غير رسمية وأخذ يلقي عليه النصائح والارشادات التي لما تأت بنفع ولا بفائدة اضطر أن يعقد مجماً في الاسكندرية ففعل وبسط لآباء هذا المجمع المسألة وأوضح لهم آراء أوريجانوس ومبادئه وهواجسه المتنافسة للتعليم المسيحي فحكم المجمع بصوت واحد بطرده من الثغر رأساً . أما هو فترك المدينة وذهب الى فلسطين فرقاه أسقف قيصرية وأسقف أورشليم الى رتبة الكهنوت وعيناه معلما بشرح للمؤمنين التعليم المسيحي ولبت يفعل ذلك مدة ثم رجع الى الاسكندرية نظانا انه يتخذ فرصة بما ناله من الدرجة الكهنوتية ويقوى بها على البطريرك ويعود الى مركزه الذي شغله مدة طرده وغيبه من المدينة أحد تلامذته المدعو ياركلاس الذي أخلف القديس ديمتريوس في كرسي البطريركية بعد ذلك لكن البطريرك لم يطق أن يرى أوريجانوس راقياً لرتبة معلم الدين المسيحي وهو ملطخ بكل وصمة من الهرطقة فعقد مجماً آخر في دار البطريركية وفحص قضيته امام أعضائه فحكم جميعهم بوجوب تجريده من جميع رتبة الكنائسية وهذه هي المبادئ التي شجبه المجمع بموجبها (١) ان الانفس خلقت قبل اجسادها ثم حبست في الاجساد لقصاص عن معاص ارتكبتها (٢) أن

نفس المسيح وجدت واتحدت مع الطبيعة الالهية قبل التجسد (٣) ان الابن مخلوق وغريب من جوهر الاب (٤) انه أخذ جسداً بلا نفس ثم تركه بعد الصلب (٥) ان أجسادنا الهولية تحول في القيامة الى أجساد غير هولية (٦) ان عذاب البشر محدود وان الناس الاشرار والشياطين سيخلصون (٧) انه فسر الآية في متى (١٩ : ١٢) على ظاهرها وبموجب تفسيره لها خصى نفسه (٨) انه نال الشرطونية من غير يد أسقفه (موسيم قرن ٣ ف ٢)

(٤) وظهر من مدرسة الاسكندرية أناس كثيرون أحلوا أو هامهم محل الكتاب المقدس وتفننوا في تعاليمهم الدينية الكاذبة ومن هؤلاء باسيلديس فهذا قال بمبدأ واحد تنشق منه سبعة اشخاص منهم الحكمة والقوة اللتان ولدتا رتبة الملائكة الذين ابتنوا السماء الاولى وولدوا ملائكة آخرين خلقوا سماء ثانية وهؤلاء ولدوا ملائكة آخرين خلقوا سماء ثالثة وهكذا بالتدريج الى أن صارت رتب الملائكة وسماواتها بقدر عدد أيام السنة وقال ان سكان السماء الاخيرة خلقوا هذا العالم وكونوا أناساً استحسنهم الله ومنحهم عقولاً . وقال ان أحد هذه الطغمة الاخيرة اتخذ اليهود شعباً له وسن لهم شريعة والباقي منها تسلط على الائم والقبائل الاخرى وقال ان هؤلاء الملائكة أعدمت على تمادي الزمن معرفة الاله الحقيقي من البشر فانهم تعظموا وفسدوا ورغبوا ان يتخذهم الناس آلهة فحدث بينهم شقاق اذ رغب كل منهم ان يملك على الجزء المهم فلما يخلص الله البشر من عبوديتهم أرسل ابنه نوس (عقل) الذي هو المسيح واتحد يسوع الانسان فلما لحظ هذا الامر رب اليهود حرض شعبه على قبض يسوع فسكوه وقتلوه لكن لم يقدروا أن يمسكوا المسيح

ومهم (كاربوكراتس) الذي كان يقول مثل الاول بالاله الاعظم وبالارواح الخالدة ومخلقة الملائكة للعالم من المادة الحيثة وبحبس الانفس الالهية في الاجساد قصاصاً لها وعلم بالسحر وأنكر قيامة الاجساد واعتقد ان يسوع ولد من مريم ويوسف طبعياً ولذلك لا يفوق عن الناس الا بالبسالة والشهامة وزعم ان كل شهوة طاهرة لان الله منحها الى من رام ان يبلغ الى الخلاص فلا يستطيع ذلك الا بارتكاب أفعج الشهوات ومهم (فالتينوس) الذي قال ان مسكن الله فيه ثلاثون روحاً خالدة نصفهم ذكور

والنصف الآخر أنثى وقال يوجد أربعة أرواحاً خالدة غير هؤلاء منهم أورس الحافظ
لحدود مسكن الاله الاعظم والمسيح والروح القدس ويسوع الذي مع مساعدة الفلسفة
ابنة الحكمة له ولد خالق هذا العالم الذي ادعى الالهية واتخذ اليهود شمعياً له
واستعبدهم فنزل المسيح لكي يبعث قوته ويهدي اليهود والامم الى معرفة الاله الاعظم .
وقال ان المسيح نزل من السماء بجسد واجاز من العذراء كما يجاز الماء من القناة

الحوادث المدنية في هذا الحيل

وجلس ادرينوس امبراطوراً على تخت المملكة الرومانية نحو ١١٧ م وكان سريع
القلب لا يثبت على حال واحدة فكان تارة حليماً وأخرى قاسياً وقد أظهر قساوته
للمسيحيين على نوع خصوصي وقتك بهم فتكاً ذريعاً حتى سالت دماؤهم مجاري
وأراد أن يفهمهم عن آخرهم لولم يثن عنزمه عن ذلك سيرينوس والي آسيا الذي
بعث اليه برسالة حامى بها عنهم قائلاً له فيها (انه لم يكن من الانسانية ولا من العدل
أن تذبح أناساً غير محكوم عليهم بذنوب اكرا لاوباش مهيجين) واتفق انه لما أتى
الى أثينا حضر لديه اثيناغورس وتاتيانوس الفيلسوفان وحاميا عن دينهما المسيحي ودافعا
عن اخوتهم النصارى فالتزم من بعد ذلك أن يعدل عن قتل أي واحد منهم بغير ثبوت
الجناية عليه وكان رمم مدينة القدس وجعلها كولونية رومانية ودعاها باسم المشتري
فهرع الى السكنى فيها اليهود من كل جهة فقام فيهم واحد اسمه بركوب وادعى انه
المسيح وناداهم بالاستقلال والعصيان على الرومان فنارت حمية الغضب في رأس الملك
وحجم على المدينة وقتل اليهود الساكنين فيها وفي ما يجاورها عن بكرة أبيهم ولم يرحم
منهم امرأة ولم يشفق على ولد ولم يوقر شيخاً وبلغ عدد من قتله عدا الذين ماتوا
من الجوع أثناء الحصار ٨٠ هـ ألفاً . ومن أمر هذا الامبراطور انه كان يحب التجول
والسياحة في مملكته الواسعة الارزاء ومن ضمن ذلك انه ساح في بلاد مصر وقيل انه
في أثناء سياحته على النيل فقد ولده انطونيوس فراح عليه نواحاً شديداً
وأخلفه على كرسي الامبراطورية من بعد وفاته انطونيوس نحو سنة ١٣٨ م

فصلت للمسيحيين في أيامه راحة عظيمة لانه كان حليماً ورقيق الطبع وكرم الاخلاق
فألغى أوامر سلفه ضدهم وأحسن معاملته معهم ففتحوا بحرية تامة
ولما تخلف عنه مرقص أوريليوس نحو سنة ١٦١ م وكان متمسكاً بمذهب زينون
الحكيم أحد الفلاسفة ومثابراً على المطالعات والدروس وكان أغلب جيوشه من النصارى
فأحسن معاملتهم وانتصر مراراً كثيرة بهم على قبائل الجرمانيين المتبررين الذين كانوا
هجموا على المملكة ولم تنأ العيشة للمسيحيين في كل أيامه بل زالت طوالع سدهم
في آخرها وتكرر صفائهم فان وباء عظيماً لم يسبق له نظير وخطأً جسيماً دها البلاد
وأهلكا العباد فادعى الكفرة على أن حصول هذه الرزايا إنما كان بسبب تكرار
خاطر الآلهة على وجود المسيحيين فهاجت العامة ونارت الخوة في رؤوسهم
حتى استمالوا الملك الى ان يصدر الاوامر ضدهم ويشدد بطلب اهلاكهم وفي هذا
الحين قام يوستينوس الشهيد والفيلسوف نحاسي ويدافع عن اخوته بأقواله النفيسة
واحتجاجاته القوية . وفي أيام هذا الملك كان الفيلسوف بطليموس صاحب كتاب
المجسطي الشهير يلقي دروسه على الطلبة في مدينة الفرما من أعمال مصر ولما
توفي الملك أثناء الحرب خلفه كومودس نحو سنة ١٨٠ م فصالح أعداء المملكة واشتغل عن
سدهم ومكافحتهم باللهو والتعم وترك أمر الملك فسخط عليه الناس ومقنوه وتقم عليه
جنده وحاولوا قتله حتى تمكن من ذلك ثلاثة منهم فهجموا عليه وهو في داره وأماتوه
وأراحوا العباد من شره ولم يخاف ولي عهد وانقطعت بتوته سلالة العائلة الامبراطورية
فاستصوب أولو الحل والعقد أن يضعوا كرسي المملكة للبيع تحت المزاد ويرقاه من يدفع
فيه مالاً أكثر من غيره ففعلوا ووقعت المزايدة على يوليانوس الذي كان ذا ثروة جزيلة
فبايعوه بالملك بدون مبايعة الجند المتفرقين يومئذ في سائر ولايات المملكة له فخلعوا
الطاعة عند وقوفهم على هذا الامر وبايع جنود كل اقليم واحداً من القواد وجعلوه
ملكاً حتى كادت المملكة تمزق بهذا الانقسام فاختار جنود سواحل ايطاليا قائدهم
سفيروس وبايعوه بالملك وكان على جانب عظيم من الشجاعة وحسن التدبير فاسرع الى
رومية بعساكره وامتلكها بدون حرب وكان المجلس الاعلى أصدر حكماً بعزل
يوليانوس فهجم عليه الجند وقتلوه بعد أن حكم ٢٦ يوماً وظل سافيروس يتقدم في
الانتصار على أخصائه حتى أخضع كل المقاومين له

الحيل الثالث

ترجمة الاب ياركلاس البطريرك الثالث عشر سنة ٢٢٤م — ٢٤٠م

(١) الاضطهاد في الاسكندرية (٢) نفي الاب ديمتريوس ووفاته في مدينة
أوسيم (٣) اقامة خليفة له

(١) قد اشتملت نيران الاضطهاد في قرب ختام الحيل الثاني وبديء الحيل الثالث في العالم المسيحي سيما في مدينة الاسكندرية وكان ابتداء شرارة هذه النيران غضب الملك ساويرس وحفقه على المسيحيين ومن العبارات التي تدلنا على شدة هذا الاضطهاد في القطر المصري ما يأتي . كان في الاسكندرية فتاة بديعة في الجمال تدعى (يوطاميا) قد تأدبت حسب الاصول المسيحية وتربت في حضن الكنيسة وفي حضن أمها (مرسيلية) التي كانت نقيّة جداً فحاول رجل صراراً كثيرة ذو ثروة وغنى جزيل من تلك المدينة ان يزيل بكارها ويلطخ قداسها بالفساد والدنس فلما قاومته البتول بعزم ثابت ورفضت وعده ولم تخف وعيده احتدم غيظاً وشكاها للوالي بأنها مسيحية ورشاه بالمال ملتصاً منه أن يجعلها ترضخ لمطلوبه الوحيم فأحضر الوالي الفتاة واستعمل معها كل وسيلة لثقل ذلك الرجل زوجها فلم يقبل ذلك ولم ترهب ترهيه ولم تجزع الى ترغيه ولم ير منها الا كل عزم ثابت حكم عليها بان توضع في قدر مملوء من الزفت المغلي فشجعها والدتها على قبول هذا الحكم بمزيد الشكر غير أنها طلبت الى الجند أن لا ينزعوا عنها ثيابها فتأثروا منها وأجابوها لذلك وكان من ضمنهم واحد يدعى باسيليدس تأثر أكثر منهم من وداعة البتول ومسكنها فكان وهم يرافقونها الى محل العذاب يمنع المتفرجين عليها عن الاقتراب لها وينتهر الذين يسخرون بها ويزدرون فلما رأت هذا الجليل والمعروف منه وعسدة بالمكافئة وهي أنها سوف تشفع لدى منبر المسيح من أجله وقد فعلت بحسب وعدها فانها بعد ما كابدت الجهاد التام ونالت اكليل عذابها صلت من أجله فست أعمدة الله قلب هذا الخندي فاققلب حالاً مسيحياً وانفق ان واحداً من

رفقائه طلب اليه أن يخاف بالآلهة فاجابه أنه مسيحي وأن شريعته لا تأذن له أن يخلف
بآلهة الوثنيين فظن أنه يمزح في بديء الامر لكن لما تأكد منه ذلك بادر الى الوالي هو
والجنود وشكوه له فأمر القاضي بسجنه فأودع في السجن ولما علم بذلك الانبياء
ديمثريوس أرسل وفداً ليفتقده ويمنحه الصبغة المقدسة فاعتمد وقص على الذين حضروا
معموديته قائلاً (انه بعد وفاة العذراء (بوطاميا) بثلاثة أيام ظهرت لي في المنام وبسهم
اكليل وضعته على رأسي وقالت لي انه بعد قليل تكون معي يا باسيليدس فتيقت حينئذ
ان هذا المنظر كان من أجل دعوتي الى الايمان فأمنت بالمسيح) ثم من بعد سجنه
بعدة أخرج وقطعت رقبته

(٢) وحدث من بعد ذلك ان الوالي سطا على الدار البطريكية ونهب ما
فيها من الامتعة والاواني الكنائسية وقبض على الاب ديمثريوس باهانة واحتقار وغلله
بالقيود وفناه الى مدينة أوسيم حيث أقام مدة يعظ نصاراها ويثبتهم على الايمان
بالمسيح وتوفي ١٢ بابه سنة ٢٢٤ م

(٣) كان الاب ديمثريوس أقام شماساً اسمه ياركلاص معلماً في مدرسة
الاسكندرية من بعد ما طرد منها أوريجانوس العلامة وكان أحد تلامذة هذا الاخير
فأحسن عشرته مع التلامذة وغرس في عقولهم المبادئ المسيحية الحققة وعودهم على
ممارسة الفضيلة وأعمال التقوى وأكتسب بذلك سمعة حميدة وفاق بشهرته الممدوحة
على كثيرين من أقرانه وعشرانه وقد هدى نفراً يسيراً قليل من شبان الوثنيين الى
معرفة الاله الحقيقي خصوصاً لما رقا البطريك منبر واعظ الكرسي المرقسي فانه
أصبح قدوة للفضيلة ومثالاً صالحاً بالقول والعمل والسيرة والسريرة فلما توفي ابا
ديمثريوس وقع اختيار عموم الاساقفة على رسامة هذا الواعظ المومنا اليه بطريكا ورسموه
في شهر بابه سنة ٢٢٤ م ومن شدة اعتبار الكهنة والشعب ومحبتهم له دعوه (بابا) أي
جد الاسم الذي لم يسم به أحد قبله من بطارقة المسيحيين

وبعد ان خدّم الوظيفة الباباوية مدة ستة عشر سنة وشهراً واحداً وسنة وعشرون
يوماً توفي في (٨ كيهك سنة ٢٤٠)

ترجمه الاب ديوناسيوس البطريك الرابع عشر سنة ٢٤١ م — ٢٦٢ م

(١) كيفية اهتدائه الى الايمان بالمسيح (٢) بطريكيته واضطهاد الوثنيين له ونجاة من أيديهم (٣) رسالته الى بطريك انطاكية بسبب الاضطهاد (٤) علاقته مع بعض الاساقفة والكنائس (٥) مقاومته للهراطقة

(١) كان ديوناسيوس في جنسه يونانياً وفي مذهبه ودينه صائياً وفي موطنه اسكندرانياً فينما هو جالس ذات يوم مرت به عجوز مسيحية فقيرة وبيدها كراس من رسائل القديس بولس الرسول تريد بيعه فعرضت عليه مشترى هذا الكراس فاشتراده ولما قرأه اندهل من دقيق معناه وبلاغة عبارته التي تفوق بلاغة دروسه الفلسفية التي طالعتها في سنين عديدة ثم طلب من تلك العجوز ان تأت به بغير ذلك الكراس لانه رأى ان المعنى فيه ناقص وان أقوالاً أخرى تستلزمه وتعلق به ووعدتها ان يدفع لها قيمة كل ما تحضره اليه وزيادة فانطلقت المرأة وعادت اليه وهي حاملة بيدها جزءاً آخر من تلك العبارات الرسولية فدفع لها ثمنه وأخذ يحرق نظره فيه مندهشاً من رقة مبناء ودقة معناه فلما أحست العجوز ان النعمة الالهية أخذت تمس قلب هذا اليوناني الوتي وبدأت تجلي له الحقائق المسيحية قالت له علانية ان كنت ايها الفيلسوف تروم ان تطلع على نظير هذه الاقوال وارفع منها فينبغي لك ان تذهب الى الكنيسة فانك تجد فيها من يعطيها لك بدون مقابل فذهب من ساعته الى أحد الشماسة وطلب اليه أن يسلمه ذلك الكتاب فدفع له رسائل القديس بولس الرسول بأكملها فطالعتها رسالة بعد الاخرى ثم بدأ يقرأ كتب المسيحيين الى أن وقف على كل ما اشتمل عليه الكتاب المقدس وحوى شذرات معناه في صدره ومن ذلك الحين بدأ يلزم المسيحيين ويعاشرهم حتى تحصل على أن ينتظم في سلك الموعوظين وفي يوم معين احتفل القديس ديمتريوس وعمد ديوناسيوس ضمن الذين عمدهم . ثم بعد مدة تقلد من يد هذا الاب وظيفة الشماسية ولما جلس البابا ياركلاص على الكرسي

الاسكندري رفع منزلة هذا الشماس الى درجة المعلم في المدرسة السيئية وسجن
كان تلميذاً فيها لما شر اغريغورس العجايبى وتلمذ لاوريجانوس الملامة مدة
(٢) ولما توفي البابا ياركلاس عقد الآباء الاساقفة مجمعاً في الاسكندرية ليقبوا
عليهم بطريركا فوقع اختيار جميعهم على هذا الدكتور اللاهوتي ورسموه سنة ٢٤١ م
من شهر كيهك واتفق ان ديسيوس الامبراطور الروماني أصدر أوامره الصارمة ضد
المسيحيين وضد رؤسائهم بنوع خصوصي فصار لاشغل آخر لولاية المملكة سوى
اضطهاد النصارى وتعليمهم وحملهم على التضحية للاوثان وفي هذا الاضطهاد أدى
الشهادة القديس اسكندر أسقف بيت المقدس ومات في السجن وقتل بابيلاس
بطريرك انطاكية مع ثلاثة شمامسة من كنيسة أما البابا ديوناسيوس الاسكندري فقد
شدد الملك في طلبه وحرّض حاكم الاسكندرية على ذلك كثيراً ولكن أبى الله الا
أن يحفظ هذا القديس لخير أولاده وصالحهم وقد بلغت الينا حكاية من هذا القيسل
وذلك ان الكفرة لما شرعوا يقتلون مسيحي الاسكندرية طلبوا هذا البطريرك
وقتشوا عليه بكل اعتناء أما هو فكان لابناً في دار البطريركية لا يتقل مدة أربعة
أيام منتظراً قدوم المفتشين عليه فظن قائد العسكر انه هرب واختفى ولم يخطر بباله انه لا
يزال في مكانه كي يذهب ليقبض عليه بل أخذ يبحث عنه في أماكن أخرى ولمسالم
يجد له أثراً عدل عن التفتيش عليه وبعد مضي مدة الاربعة أيام من عدوله خرج
البطريرك وقت الغروب وذهب مع شمامسة الكنيسة وبعض المسيحيين ليفتقد أحد
أولاده فينما هو سائر مع هذا الجمهور النقا هم العسكر وقبضوا على جميعهم وأودعهم
السجن ولم ينج أحد منهم الا نيموناس أحد تلاميذه وفي أثناء ما كان يعدو هارباً التقى
به أحد معارفه فسأله عن سبب عدوه فأخبره بواقعة الحال واتفق ان ذلك الرجل كان
مدعواً لولية فلما ذهب اليها أخبر من فيها من المسيحيين ان البابا ديوناسيوس اعتقل
وأودع السجن فقام المجتمعون عند سمعهم هذا أخبر وبادروا مسرعين الى السجن
وهم يصرخون ويصخبون أثناء الطريق فلما اقتربوا من ذلك السجن وسمع العسكر
صراخهم وفتحهم اندعروا منهم وخافوا وتركوا أبواب السجن مفتوحة و فروا هاربين أما
المسيحيون فحملوا ديوناسيوس وأنصباه من وثاقهم وأطلقوا سراحهم

(٣) وقد بعث برسالة الى بطريرك انطاكية شرح له فيها شدة ما قاساه المسيحيون من العذاب في هذا الاضطهاد ومما قال له فيها : أن الوثنيين مسكوا رجلاً يقال له (مترا) وطلبوا منه أن ينكر إيمانه فأبى فضربوه بالعصى وقلعوا عينيه ثم رموه بالحجارة حتى مات وقبضوا على امرأة تدعى (كونيثا) وساقوها الى هيكل الاصنام وطلبوا منها أن تجر للآلهة فأبى فربطوها بجبل في رجلها وأخذوا يحرقونها في الاسواق المحجرة وهم يضربونها ويزدرون بها ولما بلغوا الى حيث قتل (مترا) رموها فماتت ثم ذهبوا بعد ذلك الى بيوت المسيحيين ونهبوها وأوقدوا فيها النار وفي أثناء ذلك وجدوا رجلاً مسيحياً يقال له سراييون قبضوا عليه وبعد أن كسروا أطرافه رموه من الشباك من ثالث طبقة وقبضوا على فتاة عذراء تسمى (بلومية) كسروا عظامها وطرحوها في النار وقبضوا على رجل ذي جسم ضخم يقال له يوليانس وساقوه مع اثنين الى منع العذاب فطرحوه في النار ومن شدة ما قاسوا أنكر أحدهم وثبت كونيان مقاسياً العذاب مع يوليانس الى آخر نسمة وقبضوا على رجل آخر يسمى اسكندر مع جماعة فقطعوا رقابهم وأحرقوا كثيرين بالنار وقطعوا رقاب غيرهم بالسيف وتاه عدد وافر في البراري والحيال

(٤) انه في أوائل الحيل الثالث ذاع النزاع والخلاف بين كبريانوس وأساقفة أفريقيا وفرميليانوس وأساقفة آسيا الصغرى من جهة وبين استفانوس أسقف رومية وكنيستته من جهة أخرى وسبب ذلك هو ان الفريق الاول اعتقد ان ليس للمعمودية قوة وصحة الا في الكنيسة الارثوذكسية التي تم فيها الاسرار على وجه الصواب والحق وان معمودية ذوي البدع والهرطقات فاسدة لا صحة لها ولذلك كان يعيد معمودية من يرجع الى حضن الكنيسة من الهرطقة وأما الفريق الثاني فكان يعتبر ان معمودية الهرطقة صحيحة لا يصح اعادةها وكان يكتفي بوضع الايدي والصلوة على من اهتدى منهم الى الكنيسة فعقد فرميليانوس أسقف قيصرية مجمعا سنة ٢٢٠ م قرر فيه عدم صحة المعمودية في غير الكنيسة الارثوذكسية وفعل مثل ذلك كبريانوس أسقف هيو بعقده مجمعا في قرطجة سنة ٢٥٥ م وذلك عقيب ظهور بدعة نوبتيانوس قسيس كنيسة رومية الذي سمى أسقفاً على روميسة في حيوة كرنيليوس أسقفها وكان يعلم بوجوب

رفض توبة من جحد الإيمان بدعواه ان لا خلاص له وبناء على ذلك كان يعيسد
معمودية التائبين ومعمودية من يشترك معهم من الارثوذكسين أو يتساهل في قبولهم
وعقيب ظهور بدعة أخرى عكس هذه كان رئيسها فيليكسيموس الذي كان يعلم هو
وأشياعه بوجوب الصلح عن الساقطين بمجرد الشفاعة التي يحصلون عليها من المعترفين
الذين كانوا في السجن من معين أن ينالوا الشهادة وكان ذوو البدعتين حاضرين في
هذا المجمع فبعد مناظرات طويلة حكم آباءه بوجوب رفض معمودية الهرطقة وبإعادة
عماد من كان معتمداً عندهم ورجع الى الكنيسة وأما الذين كانوا معتمدين في الكنيسة
وسقطوا في كفر أو هرطقة فحكموا بعدم إعادة معمديتهم ضداً لاعتقاد نوبتيانوس
أسقف رومية الهرطوقي ثم انعقد هذا المجمع مرة أخرى سنة ٢٥٦ م حكم بمسا حكم
به قبله وأعلن قراره لاستفانوس الذي كان وقتئذ أسقفاً على رومية ومن جملة ما قاله
له هذا المجمع (اننا نرفع هذه الرسالة اليك أيها الاخ الحبيب لتقف على حقيقة الامور
رعاية لرتبتنا العامة وكرامتنا المتبادلة وبرهاناً للمحبة الخالصة والشركة ولنا الثقة
بنقواك الحقيقي وإيمانك ان كل ما هو تقوي وحقيقي يكون حسناً عندك أيضاً وقد
علمنا أن بعضاً لا يريدون أن يرفضوا ما تعلمونه أول مرة ولا يمكن أن يغيروا عنهم
بسهولة بل انهم مع المحافظة على رباط السلام والاتحاد بين الاخوة يحافظون على
خصوصيات قام استعمالها عندهم من أول مرة فما كان مثل هذه الخصوصيات
نحن أيضاً لا نعصبهم فيه ولا ننس شريعة لاحد لان كل رئيس حرارادته في سياسة
الكنيسة وهو سيقدم للرب حساب أعماله (رسالة ٧٢ لكبريانوس)

أما استفانوس فرفض أحكام هذا المجمع ورد على أعضائه بلهجة شديدة وقاسية
وهددهم بالقطع ان أصروا على رأيهم وبرهن على وجوب اعتبار معمودية الهرطقة
بهذه الالفاظ (يجب عليكم أن لا تحدثوا شيئاً بل ان تجروا على التسليم وتقبلوا بوضع
الأيدي فقط الذي يأتي اليكم من أية هرطقة كانت لان الهرطقة أنفسهم لا يعمدون
الذين ينتقلون من هرطقة الى أخرى بل يقبلونهم قبولاً بسيطاً في شركتهم) فحضر
الاساقفة رسالة وأرسلوها اليه صحيحة مندوبين فرفض الرسالة ولم يسمح للمندوبين

يبيت ولا يماوى وجاوب الاساقفة بعبارة أشد قساوة من الاولى سعى فيها كبريانوس
رسولاً كاذباً وعاملاً غشاماً وحكم فيها بالقطع على من يخالف رأيه منهم
ومن جهة أخرى اجتمع أساقفة آسيا الصغرى بصفة مجمع تحت رئاسة فرميليانوس
أسقف قيصرية في ايقونية وفي سناد نحو سنة (٢٣٠ م) وفي كلا الموضعين قرر المجمع
ما قرره مجمعا أساقفة افريقيا ولما شعر استفانوس اسقف رومية بما فعله فرميليانوس
وأساقفته عقد مجمعا سنة (٢٥٢ م) حكم فيه بالقطع عليهم كما حكم بعد ذلك على أساقفة
افريقيا - فأرسلوا سفارة لتقنعه بدوام السلام والمحبة وتطلب اليه أن يتنازل عن رأيه
فعامل هذه السفارة كما عامل غيرها وفي هذه الاثناء تبادلت المكاتبات بهذا الخصوص
بين كبريانوس وفرميليانوس ومما كتبه هذا الاخير عن اختلاف الرومانيين في بعض
الامور عن المسيحيين قوله (ان الذين في رومية لا يحفظون في كل الامور التسليمات
القدمة وعبثاً يستندون على تثبيت الرسل وهذا الامر يستطيع كل واحد ان يتحققه
من أنهم في تعبيدهم أيام الفصح وعملهم أسراراً الهية وغير ذلك لا يحفظون ولا يجرون
بالهام على كل ما هو جار في اورشليم لكنهم يعملون ذلك على وجه مغاير كما أنهم في
ابرشيات أخرى أيضاً يغيرون أموراً كثيرة بحسب مغايرة الامكنة والاسماء ولكنهم
لم يبتعدوا البتة لهذه العلل من سلام الكنيسة الجامعة والاتحاد معها كما تجاسر
استفانوس الآن أن يفعل بخرقه ضدكم السلام الذي قد أكرمه اسلافه معكم بالكرامة
والحبة المتبادلتين . ثم ان استفانوس قد رشق على الرسولين القديسين بطرس وبولس
لكنه تعييهما بقوله ان هذا التسليم هو تسليمها فيما أنهما قد لنا الهراطقة في رسائلهما
وأمرانا أن نبتعد منهم ومن هنا يتضح أن هذا التسليم الذي يثبت الهراطقة ويقول ان
لهم معمودية مبداء من البشر اذ ليست معمودية في غير الكنيسة وحسناً أجبتم استفانوس
في الرسالة عنها عن قوله (ان الهراطقة أيضاً يوافقوننا في المعمودية ولا يعمدون
الذين يأتون اليهم منا بل يقتصرون على طلب الاشتراك منهم) فمع أننا برهنا بكم ان
اقتفاء أثر الضالين أمر مضحك جداً نريد على ما ذكرتم عبارات يستغنى عنها وهي أنه
لا محجب في ما اذا نحا الهراطقة هذا النحو والفروق فيما بينهم جزئية وهم متفقون جميعاً
في الامر الاعظم أعني اتفاقهم في كيف يحدفون على الخالق مخلقين اسلاماً وأوهاماً

لا اله غير معروف فان الذين اتفقوا في رفض حقيقة اللاهوت يلجج انهم يتفقون في فساد المعمودية أيضاً . . . ان استفانوس والذين يرون رأيه ويدعون ان غفران الخطايا واعادة الولادة يمكن ان يمنحا بمعمودية الهراطقة وهم أنفسهم يعترفون أيضاً بأن الهراطقة ليس لهم الروح القدس نصحتهم أن يفكروا حسناً ويسرفوا ان الولادة الروحية من دون الروح غير ممكنة فان الذين عمدهم يوحنا قبل ان يرسل الروح القدس من الرب قد عمدهم بولس المغبوط مرة ثانية بالمعمودية الروحية ووضع عليهم يده لينالوا الروح القدس فساد بولس عمد تلاميذ يوحنا وقد كانوا معمدين منه كيف نحن نقاوم ان يعمد القادمون من الهراطقات الى الكنيسة بعد تلك المعمودية المحرمة والمخالفة الشريعة ما لم نعتقد ان أساقفة عصرنا أعظم من بولس حتى أنهم يستطيعون أن يمنحوا الروح القدس للقادمين من الهراطقة بوضع اليد فقط فعلياً من ثم ان نسأل مساعد الهراطقة ما قولهم في معمديتهم أجسدية هي أم روحية فانها ان كانت جسدية فلا فرق بينها وبين معمودية اليهود التي يستعملونها بمثابة حمام دارج يصلون به أوساخهم وان كانت روحية فكيف يمكن ان تكون معمودية روحية عند الذين ليس لهم الروح القدس ولذا فالماء الذي يعتمدون به ليس سرّاً بل هو حمام جسدي واذا كانت معمودية الهراطقة كفواً لان تمنح اعادة ولادة الميلاد الثاني فالمعمدون من الهراطقة ليسوا هراطقة بل يجب ان يسعوا أبناء الله لان الولادة الثانية بالمعمودية تلد أبناء لله ولكن اذا كانت عروس المسيح واحدة فمن الواضح ان الكنيسة الجامعة هي وحدها التي تلد أبناء لله لانها ليست عرائس كثيرة للمسيح اذ قال الرسول (اني قد خطبتكم لرجل واحد لاقدم للمسيح بكرّاً نقية (٢ كو ١١ : ٢)) . . . فليست جماعة الهراطقة واحدة معنا لان الزانية والفاسقة ليست عروساً ولا تستطيع ان تلد أبناء لله ما لم يكن استفانوس يعتقد ان الهراطقة تلد وترمي والكنيسة تجمع المرمين وتربي الذين لم تلدهم كما لو كانوا أولادها فانها لا تستطيع أن تكون أمّاً لأولاد غرباء . ولذا قد أوضح المسيح مخلصنا ان عروسه واحدة وأظهر هذا السر فقال في الفصل الحادي عشر من اوقا (من ليس معي فهو علي ومن لا يجمع معي فهو يهدد) فان كان المسيح معنا والهراطقة ليسوا معنا فالهراطقة بلا يد هم ضد المسيح

وان كنا نحن نجمع مع المسيح والهرطقة لا يجمعون معنا فهم بلا شك يبددون ...
 أما أنا فلا أستطيع أن أطبق حقاقة استفانوس الواضحة بهذا الصدد فإنه مع كونه
 يفخر بأسقفية كل هذا الافتخار ويدعي بأنه خليفة بطرس الذي عليه تأسست أساسات
 الكنيسة يدخل صخرات كثيرة ويقيم أبنية جديدة لكنائس كثيرة مقرأ بأن لتلك
 المعمودية بسلطانها الخاص فان الذين يعمدون يولفون بلا شك عدد الكنيسة والذي
 يقبل معمودية أولئك يثبت أن لهم كنيسة يولفها المعمدون عندهم ولا يدري بأنه
 خان الوحدة وسود وجهها ومحا على نوع ما حقيقة الصخرة المسيحية ... فإنه لو
 كانت المعمودية خارجاً باسم المسيح تستطيع أن تطهر الانسان لكان وضع الايدي
 هناك باسم المسيح نفسه يستطيع أيضاً أن يمنح الروح القدس وهكذا يصير كل ما يعمل
 الهرطقة من الامور الباقية حقاً وشرعياً لكونه عمل باسم المسيح فماذا كرتم أتم في
 رسالتكم أن اسم المسيح يفعل في الكنيسة فقط التي محبت لها النعمة السموية من
 المسيح هذا وحده يكفي لرفض العادة التي يظهر أنهم يتشبثون بها ضد الحقيقة فمن
 هو الاحق الى هذه الدرجة حتى يفضل العادة على الحقيقة ومن لا يترك الظلام متى
 ظهر النور ما لم يكن انتفع اليهود من تمسكهم بالعادة القديمة حين جاء المسيح أي
 الحقيقة بكونهم تركوا طريق الحق الجديدة وثبتوا على عتيقهم الامر الذي لكم أتم
 أبناء افريقيا أن تقولوه ضد استفانوس فانكم حين وقفتم على معرفة الحقيقة تركتم
 سلال العادة ()

فهذه الامور الحزنة التي سجت في هذا الوقت بين الكنائس المسيحية القويصة
 الرأي الاسيوية والافريقية وبين استفانوس الروماني أضرمت نار الغيرة في رأس
 القديس ديوناسيوس البطريك الاسكندري ووجد سبباً وداعياً لان يكون الواسطة
 في ضم الكنائس المتنافرة الى الوحدة المسيحية فكتب من ثم الى استفانوس ينصحه
 بقوله له (اعلم الآن أيها الاخ ان جميع الكنائس المنشقة قبلا في الشرق وما بعده قد
 اتحدت وجميع الرؤساء في كل مكان متفقون في الرأي وهم فرحون بالسلام الذي صار
 على غير انتظار منهم ديمتريانوس في انطاكية وتاوكتستوس في قيصرية ومازبان في
 اورشليم وماريثوس في صور بعد رقاد اسكندري وابليودورس في اللاذقية بعد وفاة

ثيودور مدرس وايلينوس في ترسوس وسائر كنائس كيليكية وفرميليانوس وسائر الكبادوكية وقد ذكرت أشهر الاساقفة فقط لكي لا أطيل الرسالة ولا أثقل الكلام أما سورية كلها والعريصة الذين تكفونهم دائماً والذين أرسلتم اليهم الآن وبين النهرين والبنطس وبشينة وبالاجال في كل مكان يتهجون بالاتحاد والمحبة الاخوية بمجدين الله)

على ان استفانوس الذي كان متعطشاً للرئاسة المطلقة على الكنيسة المسيحية نظير باباوات رومية المتأخرين لم يهتد بنصيحة انسان يعادله ويفوقه في الاسقفية نظراً لكثرة قداسه التي اشتهر بها في ذلك الزمان . فلما توفي وأقيم اكسيستوس على كرسي رومية خليفة له كتب له ديوناسيوس رسالة قال فيها (ان استفانوس كان كتب قبلاً في ايلينوس وفرميليانوس وسائر اساقفة كيليكية وغلاطية الشعوب المجاورة لهم قائلاً بأنه لا يشترك معهم لهذه العلة عينها أي لانهم يعيدون على زعمه معمودية الهراطقة وحقاً أنها تقرر كما أعلم في أعظم مجامع الاساقفة عقائد بأن الاثنين من هرطقة يوعظون أولاً ثم يغسلون ويظهرون من ذنب الحميرة العتيقة وقد أرسلت اليه ورجوته في هؤلاء جميعهم)

واتفق ان واحداً من مؤمني الاسكندرية كان نال المعمودية من الهراطقة فلما رجع الى الكنيسة قبله البابا ديوناسيوس الاسكندري وأشركه مع المؤمنين وقربه من جسد الفادي ودمه فبعد ما لبث هذا الرجل زماناً وهو مشترك مع المؤمنين ارتاب في صحة معمديته فنجأ الى البطريرك طالباً بدموع وبكاء وعويل ان يعيد اعتياده أما ديوناسيوس فلم يجب طلبه بل طمأنه وطيب خاطره وفيما كان يكتب رسالة الى اكسيستوس أسقف رومية خطر على باله ان يستشير في أمر هذا الرجل فقال له (فاني بالحقيقة أيها الاخ أطلب النصيحة وأستمد الرأي منك في هذا الامر المهم الذي ورد عليّ خوفاً من أن أكون غاططاً فان مؤمناً من الاخوة المجتمعين يظن أنه قديم أقدم من شرطونيوني وأظن انه مشترك في الكنيسة قبل اقامة المطوب الذكر (ايراكلاس) وقد اتفق ان يكون من الممدين تعميدياً على قفا اليد فلما سمع السؤالات والاجوبة عندنا تقدم اليّ باكياً ونادياً نفسه وكان يقع أمام رجلي مسترفاً ومنكراً باقسام المعمودية التي تعمد بها عند الهراطقة . بأنها ليست مثل هذه ولا شركة

لها معها لانها مملوءة كفرًا وتجديف وقائلاً ان نفسه قد تخلصت الآن تخشعاً عظيماً وليست له دالة ان يرفع عينيه الى الله ما دامت بداعته من تلك الاقوال والاعمال الشريرة ومن ثم طلب ان يحصل على هذا التطهير والقبول والنعمة الصحيحة الخالصة الامر الذي انا لم أجسر ان أعمله قائلاً ان اشتراكه زماناً كثيراً يكفي لذلك فاني لا أستطيع ان أجسر وأعيد بناءه مرة ثانية من الاول بعد ما سمع الشكر وقال معنا أمين وحضر المائدة ومد يديه لتقبل الغذاء المقدس وناله أيضاً واشترك زماناً كافئاً بجسد ودم ربنا يسوع المسيح وقد أمرته ان تشجع ويتقدم بايمان ثابت وضمير صالح الى الاشتراك بالقدسات أما هو فما ينكف نائماً ويجزع ان يتقدم الى المائدة وبالرجاء العظيم يكاد الا يطبق حتى الوقوف معنا في الصلوات)

(٥) وقد قضى ديوناسيوس حياته كلها شغلاً وعملاً واهتماماً في اثبات الايمان المسيحي محتجاً على سلامته ومؤيداً استقامته بالعقل المستقيم والنقل السليم امام الوثنيين والهرطقة ونخص بالذكر من هؤلاء

(أولاً) نوبتوس الذي نبغ من أزمير وانتقل الى رومية وأخذ ينشر تعليمه فيها وكان موضوع بدعته ان الله أعطى الناموس لبني اسرائيل بصفة أب وصار انساناً في المهد الجديد بصفة ابن وحل على الرسل بصفة روح قدس وان الذي اتحد بالانسان يسوع وحل على الرسل جزء انفرز من الاب فقد أقام هذا المبتدع أوائل حياته في رومية وعاصر ابراكسياس رئيس الهرطقة المعروفة بهرطقة مؤلمي الاب الذي جاء أيضاً الى رومية من آسيا الصغرى وجذب كثيرين الى ضلاله بواسطة مدرسته التي أنشأها في هذه المدينة وقدر ان يجذب الى تعليمه الفاسد زفيرينوس أسقف رومية وكاليسطوس خليفته فلما علم القديس ديوناسيوس ان بدعة نوبتوس أخذت تمتد بسرعة في انحاء رومية وكادت تسلط على عقول المسيحيين حرره له رسالة طويلة شرح له فيها التعليم الصحيح وفند كافة اعتراضاته

(ثانياً) سابيليوس وهو من بطوليايس لبيبة ببلاد مصر وهو أحد طلبة مدرسة نوبتوس الازميري أقام بتعليم دروسه مدة أوائل حياته في رومية ولما عاد الى بلاد مصر أخذ يلقي فيها بذار تعليمه في أواسط هذا الجيل حتى قاد كثيرين الى ضلاله ومن

من الاساقفة أنفسهم فكتب القديس ديوناسيوس منشوراً الى أساقفة الكرازة المرقسية واستنهض همه الاساقفة الافريقيين الى الجهاد ضد هذه الهرطقة ثم عقد مجمعاً نحو سنة ٢٦١م حرم سابيلوس فيه وكتب قراراً ضد تعليمه

(ثالثاً) نيبوس وهو أسقف مصري ذهب الى ان المسيح يملك على الارض الف سنة بالجسد ويحظى المؤمنون بملكوته ويأكلون ويشربون ويسرون فقاوم تعليمه ديوناسيوس بالمباحثات الشفاهية وبالرسائل الكتابية زماناً طويلاً

(رابعاً) بولس السيمساطي بطريرك انطاكية ومن أمره انه كان فقيراً ولكنه اكتسب غنى عظيماً وبسماح الهي صار أسقفاً على انطاكية وتقلد الوظيفة المدنية بسفة وال وكان على جانب عظيم من الفخفة والرفاهة وكان مغرماً بحب الغنى حتى انه أبدل تراثيل الكنيسة بنشائد تنشيد لجده وكلف النساء ان ينشدن بها داخل الكنيسة واذا خطب في الكنيسة كان يكلف الناس ان تصفق له آخر كل مرة ثم سقط في الهرطقة وكان موضوع هرطقته انه يوجد اله واحد تسميه الكتب المقدسة بالاب وان حكمته أو كلمته ليست أقنوما بل انها في العقل الالهي بمقام الفهم في العقل الانساني وان المسيح انسان محض ولد من مريم وحلت فيه الحكمة الالهية حتى صار قادراً على عمل العجائب وفارقه هذه الحكمة حين قدم على الآلام فانهقد ضده مجمع في انطاكية تكرر انعقاده مراراً وكان المتقدمون في هذا المجمع فرميليانوس أسقف قيصرية خصم استفانوس أسقف رومية واغريغوريوس أسقف قيصرية الجديدة وأخاه أثينوذورس وايلينوس أسقف طرسوس الذي كان قطعه استفانوس البادي الذكر مع من قطعه من أساقفة آسيا الصغرى وأساقفة أفريقيا . وايمانوس أسقف اورشليم ودعي ديوناسيوس الاسكندري للحضور في هذا المجمع فلم يستطع ان يحضر لبعجزه وانحطاط صحته واكتفى بان يرسل رسالة الى المجمع ورسالة الى بولس السيمساطي حل له بها عشرة سؤالات وكان هذا الهرطوقي حين يحضر جلسة المجمع يخفي مكنوناته ويتظاهر بالارثوذكسية ويتلون بكلامه وكاد ينخل المجمع بلاجدوى لو لم يكشف برقع ضلاله القس ملكيون رئيس مدرسة انطاكية في آخر جلسة فحكم عليه المجمع من أجل ضلاله ومن أجل كونه تقلد وهو أسقف الوظائف العالمية ومن أجل تخلفه وكبريائه وتخطئه

واحتقاره للمساوين له في الدرجة والوظيفة ثم أقام بدله دومنوس أسقفناً على انطاكية وكتب منشوراً وقع عليه كل أعضائه وأرسله الى البابا مكسيموس الاسكندري (لان سلفه ديوناسيوس كان توفي في هذه الاثناء) الى البابا ديوناسيوس الروماني أمر كلا منهما ان يكتب تحرير السلام الى بطريرك انطاكية الجديد فخضع كل منهما لهذا الامر ومدح الجميع في هذا المنشور فرميليانوس أسقف قيسرية

أما بولس فلم يخضع لقرار الجميع واحتمى زينوبيا ملكة تدمر فطلب الجميع اجباره من أوريليان قيصر الرومان فلما بلغت الشكاية الى الملك حكم بان تعطى الاسقفية للذي يرسلها اليه أساقفة ايطاليا ومدينة رومية ولما قهر الملك زينوبيا طرد بولس من انطاكية فقام دومنوس الى كرسي أسقفيتها أما البابا ديوناسيوس الاسكندري فتوفي سنة ٢٦١ م في اليوم الثالث من شهر توت بعد ما أقام على الكرسي البطريركي تسعة عشر سنة وتسعة أشهر واحدى عشر يوماً وقيل ان مدة بطريركيته هي ٢١ سنة

البابا مكسيموس وهو البطريرك الخامس عشر سنة ٢٦٢ — ٢٧٤ م

(١) علاقة البابا مكسيموس مع الكنائس (٢) مقاومته لبدعة ماني (٣) مبادي

هذه البدعة (٤) خاتمة مطاف ماني وموته الشنيع

(١) ولما رقد البابا ديوناسيوس بالرب ولحق بسلفائه انعقد مجمع الاساقفة في الثغر الاسكندري وأجمع رأيهم على تقديم مكسيموس أحد قسوس مدينة الاسكندرية وتكريسه بطريركا وتم ذلك سنة ٢٦٢ م في شهر بابه ولم يمض على بطريركية هذا الاب حتى وردت اليه رسالة جمعية من أعضاء مجمع انطاكية تتضمن الاسباب التي بنى عليها المجمع تنزيل بولس السيساطي واقامة دمнос بدله على الكرسي الانطاكي وتأمر مكسيموس بتحرير رسالة تهنئة الى البطريرك الجديد فعند وصول هذه الرسالة لديه واطلاعه على فحواها بادر حالا بكتابة رسالة من جهة الى المجمع شكر مساعيه واتعابه ورسالة الى دمнос هناك فيها بمنصبه الجديد ومن جهة أخرى حرر منشوراً

الى كراسي الاساقفة حذرهم فيها من تعاليم نولس وشرح لهم التعليم المستقيم الذي ينبغي التمسك به

(٢) وما كادت الكنيسة تستريح من قلاقل بدعة السيساطي حتى وقعت في شر منها فان مبتدعاً اسمه ماني من بلاد فارس رام أن يوفق بين الديانة المسيحية وديانة الفرس فضاعت بذلك مخيلته وصار يخطط خطب عشواء وقد موّه على كثيرين من المسيحيين وجذبهم الى ضلاله وتعليمه الشنيع ولما أخذت تمتد أضياله في العالم المسيحي شمر آباء الكنيسة ساعد الجدد ضد هجماته فشرع البابا مكسيموس يكتب ضد هذه البدعة الى كل مكان ويقاومها مشافهة وكتابة

(٣) ومن مبادي ماني أنه يوجد مبدأان لكل شيء أحدهما مادة رخوة أو براقية والثاني مادة كثيفة مظلمة والسك من هاتين المادتين رب فرب المادة الرخوة أو النور يسمى الله ورب الظلمة يدعى ديمون فالاول سعيد محسن يرغب أن يكون لله ما عنده سعيداً والثاني خبيث شقي يرغب أن يكون كل ما سواء رديئاً وشقياً وقد لبث رب المادة الخبيثة زمناً طويلاً لا يشمر بوجود الله النور ولما علم به بحدوث حرب في مملكته سعى في ان يملك عليه فصادمه رب النور بمجنوده فالتقى الاول عليه وأخذ جانباً عظيماً من النور وخالط بالمادة الخبيثة ثم خلق منها والذي الجنس البشري فكان لكل انسان جسد مادي ونفسان احدهما حساسة وشهوانية من المادة الخبيثة والثانية نورانية من النور فلما يخلص رب النور هذه الانفس من أجسادها صنع هذه الارض وأخرج من ذاتها كائنين الواحد المسيح الذي كان مسكنه الشمس والثاني الروح القدس وهو مادة حيوية براقية منتشرة في كل الجسد المحيط بارضنا فيدفع النفوس ويشر الارض فبعد ما أنذر رب النفوس بواسطة أناس علمهم أرسل لهم المسيح فنزل من مسكنه الى عالمنا هذا لابساً جسداً خيالياً ولما نظره رب الظلمة أهاج اليهود على قتله فسكاه هؤلاء وصلبوه بدون ان يتأذى جسده بمائه خيالي فطار الى مسكنه وكان قبيل مسليه اختار تلاميذه وعلمهم الديانة وأمرهم ان ينشروها في كل العالم وبعدهم ان يرسل لهم رسولا أعظم منه سموا الباراكليت ألا وهو ماني

وينقسم تعليمه عن النفس الى قسمين فالنفس الطاهرة مهما بلغت الى درجة النقاوة لا يمكن أن تنقى بالتمام ولذلك بعد خروجهما من الجسد يعرض عليهما تطهيران أحدهما بالماء المقدسة والثاني بالنار فذهب أولاً الى القمر حيث تمكنت في الماء ١٥ يوماً ثم تنقل الى الشمس فتبقى كاملاً بالنار وترجع الى عنصرها الاصيل والنفس الشريرة التي لم تقاوم النفس الشهوانية تنقسم قسماً لها بعد الموت غير أجسادها أو تسلم لأرواح شريرة يعذبونها زمناً ثم ترجع بعد ذلك الى عالم النور وأخيراً يرسل الله ناراً ويحرق هذا العالم ويسجن رب الظلمة وجنوده وتبعاً لهذه المبادئ قد رفض ما في كتاب العهد القديم زاعماً أنه ليس عمل الله بل عمل رب الظلمة ورفض كتاب العهد الجديد واخترع انجيلاً ملطخاً بأرائه الفاسدة وقد جعلت له عيشته الصارمة وتقواه الرباني قبولاً ونفوذاً في العالم لكن لما رأى ان قوانينه هذه لا يستطيع كل أحد أن يسير بموجبها قسم تابعيه الى نوعين الاول الخنازير وهم الذين فرض عليهم ان يجتنبوا أكل اللحم والبيض والحليب والسمن والخمر والزواج وكل لذة وأمرهم ان يعولوا أجسادهم بالخنزير والحفيرة والحبوب والبطيخ زاعماً ان تلك من صنع رب الظلمة وهذه من عمل رب النور وبكل تأكيد نقول ان هذه التعاليم أنذر بها الوحي من قبل بروزها الى عالم الوجود بثلاثة أجيال فقد قال الرسول بولس . ان الروح يقول صريحاً ان في الازمنة الاخيرة يرتد قوم عن الايمان تابعين أرواحاً مضلة وتعاليم شياطين في رياء أقوال كاذبة موسومة ضمائرهم مانعين عن الزواج وآسرين ان يمنع عن أطعمة قد خلقها الله لتتناول بالشكر من المؤمنين وعارفي الحق (١ تي ٤ : ١ - ٣) والثاني الموعوظين وهم الذين كان مصرحاً لهم أن يعيشوا بنوع الطيف .

(٤) فبعد ما طاف (ماني) امكنة كثيرة زارعاً فيها زوان تعليمه رجع الى بلاد الفرس فقبض عليه ملكها وسلخ جلده وقتله وسببه هو انه لكي يحصل اعتباراً جزيلاً ادعى بعمل العجائب وكان يعلم قليلاً من علم الطب فاتفق ان ابن الملك مريض فدعي لمعالجته فاعطاه دواء ساماً أماته به فغضب الملك عليه والقاء في السجن فسرقه تلامذته وهربوه فذهب الى بلاد فلسطين حيث قاومه أحد الاساقفة وانكر عليه تعليمه وطرده خوفاً من أن يغضب الشعب بضلاله فذهب الى العربية حيث شعر به ملك

الفرس فأرسل قبض عليه وسلخ جلده وقيل أن موته كان خلاف ذلك وهو بسبب جداله مع ضرير امام الملك وذلك ان ماني طلب من ملك الفرس ان يحضر له أسقفاً ليجادله فلما أحضره اليه التى عليه سؤالاً معضلاً فطلب الاسقف ثلثة أيام مهلة ليرد له الجواب فبعد تمام المهلة أحضر له ضريراً محتجاً انه يستطيع أحقر مسيحي أن يرد سؤال ماني وكان ملوك الفرس يتشاءمون من مقابلة أعمى فتنع الضرير من الدخول اليه لكن نال رخصة بواسطة ماني الذي ظن ان جلب الضرير لجدا له امام الملك انما هو حيلة من الاسقف كونه لم يستطيع ان يجيب على سؤاله فلما دخل الضرير مسك يد الملك سائلاً ماني ان كانت خاتمة رب الظلمة أو رب النور فلم يقدر ان يجيب الا بكونها خلقرة رب الظلمة لانه كان يعلم بان الاجساد خلقرة رب الظلمة ففضب الملك من ماني وسلخ جلده والله أعلم .

ثم ان البابا مكسيموس استمر على كرسي حبريته اثني عشر سنة وسبعة أشهر ويوماً واحداً وتوفي سنة ٢٧٣ م

البابا تاونانا البطريرك السادس عشر سنة ٢٧٤ م — ٢٨٤ م

(١) انشاؤه بيعة في الاسكندرية على اسم المذراء (٢) تفرد القديس يولا في البرية للعبادة

(١) ولم يشعر الاساقفة بوفاة البابا مكسيموس حتى اجتمعوا في الدار البطريركية في اقرب وقت لانتخاب خليفة له وبعد الاخذ والرد وقع اختيار جميعهم على القس تاونانا أحد كهنة الاسكندرية ووضعوا عليه الايدي في شهر برمودة سنة ٢٧٤ م وقد ذكر في بعض النسخ ان الاساقفة كرسوا واحداً بطريركاً قبل هذا الاب اسمه بنودة استمر على الكرسي ستة شهور وبعد مضي هذه افدة عقد الاساقفة مجمعاً في الاسكندرية ضده وأسقطوه من درجته بدعوى انه خنس نفسه وأقاموا بدله البابا تاونانا وقد ذكر هذا الامر الاب يوانس مطران دمياط في مجموعته لتاريخ بطارقة الاسكندرية

أما البابا تاونافلما اعتلى كرسي الجبرية اشتهر فرصة سكون القلاقل والاضطهاد وجمع من أغنياء الشعب مبلغاً وافراً صرفه على عمارة كنيسة شهيرة دعاها باسم العذراء صريم وقد كان المسيحيون قبل ذلك يجتمعون للصلاة والعبادة في المغائر والكهوف والاماكن التي تحت الارض من جراء الاضطهاد

(٢) ونحو هذا الزمان كان القديس بولس منفرداً في الجبل الشرقي للعبادة والانكاف على الصلوة لله وقد كتب لنا القديس أنطونيوس قصته وقال مأموداه (انه بعد ما مضى عليّ زمان وأنا في العبادة اختلجني فكر العظيمة وظننت اني أنا أول من سلك طريق الرهبة وانفرد للعبادة والنسك في البرية فقدركتني نعمة الله وأعلنني تعالى بالهام الهي بان في هذه البرية رجلاً أقدم مني زماناً وأفضل قداسة . فأخذت حالاً عكازي الذي أتوكأ عليه وخرجت أطوف في البرية قاصداً مكان عبد الله وبعد ما سرت يوماً بأكمله ولم أجد أثراً يدلني عليه قت مصلياً الليل أجمع مستمداً الارشاد من الباري ثم أخذت أطوف في اليوم الثاني كما في اليوم الاول ولما صار الغروب نظرت ذئبة صاعدة الى جبل فتعقبت أثرها ولم أدها تغيب عن نظري حتى خيم الظلام بيني وبينها فتركها وملت الى مغارة كانت بالقرب مني قاصداً ان أبيت فيها وبينما أنا سائر في الظلام الحالك نظرت فيها من بعيد ضوء سراج فلما دنوت من النور شعريبي القديس بولس فأسرع وأغلق دوني الباب أما أنا فجنوت على الارض وصرخت باكياً وقلت (اني لوائق بأنك تعلم من أنا ومن أين جئت ولماذا أتيت ولا يخفى عليك اني لا أخرج من هنا أو ابصرك فهل يمكنك يا من تقبل الحيوانات ان تطرد الانسان . اني طلبتك وقد وجدتك وقرعت بابك لتفتح لي فان لم تقبل طلبتي فاني أموت ههنا فأقل ما يكون أنك تلحدني بعد موتي) ففتح لي من ثم الباب وعانقني فسلمت عليه باسمه كما سلم عليّ باسمي ثم قال لي (أبصر الآن من فتشت عنه بغناء عظيم فترى أعضائي قد وهنت من الشيخوخة وقد ابيضت لحيتي كلها وجف جلدي فانظر انساناً يرتد الى الرماد سريعاً قد تعبت كثيراً بالاستقصاء عني فاخبرني عن حال العالم من يدبره وهل يوجد فيه بعد من يعبد الشيطان فاجبته على ذلك بالتفصيل ثم سأله عن السبب الذي أحضره الى هذا المكان فاجابني قائلاً أنه بينما كان الملك ديسيوس يفتك بنصاري مصر

والصعيد حيث ولدت مات والدي اذ كان عمري ١٢ سنة فدخلت مدارس الفلاسفة وحزت علومها وافرة فلما اشتدت المصائب على المؤمنين انشردت في منزل كان لي بين مزارعي فعرض لي خطر عظيم وذلك ان زوج أختي (أو أخي) قام علي ورام ان يختلس أموالي أو يشكيني الى الوالي باني مسيحي وكنت سمعت ان هذا الوالي أرسل الى كل مكان رسلاً يفحصون عن المسيحيين ليعذبهم أو ينكروا المسيح فهربت الى هذه البرية وتخلصت من خبث صهري (أو أخي) والتجأت الى هذه المغارة وعشت فيها منفرداً) وبينما كنا نتفاوض طار إلينا غراب حاملاً في منقاره رغيفاً ووضعته بين أيدينا وطار فقال القديس بولس (مبارك الرب الذي أرسل لنا ما كلاً فاعلم يا أخي انه منذ ٦٠ سنة يأتيني هذا الغراب كل يوم بنصف رغيف واليوم أتى برغيف كامل من أجلك فشكراً لله الذي يهتم بقديسيه) ثم صرفنا الليل أجمع بالصلوة وفي الغد استدعاني القديس بولس وقال لي اني عرفت منذ زمان انك مستوطن هذه البرية وقد وعدني الله بانك تزورني وتواريني التراب فقد وافي الزمان الذي أفارق فيه هذا الجسد البالي وانطلق الى الرب فأطلب اليك ان تعود الى ديرك وتأتيني بالراء الذي أعطاه لك أناسيوس لتكفني به فبدأت عند ذلك أذرف الدموع متأسفاً وطلبت الا يفارقني بل يلتصق من المسح ان أنطلق معه فقال لي (انه ينبغي لك ان تمكث مدة من أجل خير اخوتك) ثم أنبأني عن مستقبل مجد الرهبنة وفضلها

فودعته ورجعت الى ديري مسرعاً ولما صادفت اثنين من الرهبان وسألاني عن سبب غيابي فلم أجيبهما بكلمة بل قلت لهما اني رجل خاطيء لا أستحق ان أسمى راهباً . ثم اخذت ذلك الرداء ورجعت مسرعاً الى حيث القديس بولس راحياً ان أعاينه وهو حي فلما لم يبق الا مسافة قليلة لوصولي أبصرت جوقاً من الملائكة يرتلون وبينهم نفس القديس فحزنت وبكيت بكاء مرأً ولما دخلت المغارة وجدت جسده واقفاً كأنه جاث على ركبتيه ورأسه مستقيم ويداء مرتفعتان فظننت انه حي فجنوت أصلي بقربه ولما رأيت انه لم يتهد كعادته في الصلوة تفرست فيه جيداً فتحققت انه توفي فوثبت على جسده وقبائه ذارفا الدموع ثم كفتته بذلك الرداء وفيما أنا متفكر في كيف أدفنه اذا لم يكن معي آلة احفر بها حفرة ساقى الله لي اسدين وبديا يحفران في الارض حتى أ كلاً

قبراً وجثياً امامي كلتهما يطلبان اذنا للانصراف فأشرت لهما بيدي ثم وارىت جسد القديس بالتراب وأخذت ثوبه المنسوج من الخوص وعدت به الى ديرى وكنت ألبسه في الاعياد السيدية)

وقدم ختم هذا الخبر أحد اباء الكنيسة مادحاً نسك القديس بولس بقوله (اني اسأل الآن الاغنياء الذين لا يعرفون كمية ثروتهم لزيادتها والذين يسكنون المنازل الفسيحة المزينة بالزخارف والنقوش ما الذي أعوز هذا الشيخ المتعري من كل غنى قائم تشربون في كؤوس من فضة وذهب وهذا بولا يطفىء عطشه بكف يده اتم تلبسون البرفير وهذا كان متردياً بثوب من النخل غير انه لا يكون الامر هكذا دائماً وهذه الحال ستقلب الى حال أخرى فيها ان السموات انفتحت لبولا المسكين واتم ستهبطون الى جميع كنوزكم وهو قبر في لحد ليقوم للمجد واتم تدفون في قبور من الرخام والمرمر تعرموا الى الابد .

✠ البابا بطرس خاتم الشهداء البطريك السابع عشر سنة ٢٨٥ — ٢٩٥ م ✠

(١) طفولية هذا الاب (٢) ارتقاؤه الى الرتبة البطريكية ومقاومته للملايوس الاسيوطي (٣) مقاومته لاريوس (٤) شهادته في دار البقر

(١) ان البابا بطرس هو ابن أحد كهنة الاسكندرية رزقه أبوه بوعدهللهي بعد ان قطع الامل من ولادة البنين بالمرّة الواحدة وتفصيل ذلك أن والدته حضرت الى البيعة يوم عيد الرسولين بطرس وبولس فلما أبصرت نساء المسيحيين حاملات أولادهن على اكتافهن تنهدت من صميم فؤادها وطلبت الى الله بحرقه قلب وانكسار نفس ان يمن عليها بنسل وتناولت ذلك اليوم من السرائر الربية ورجعت الى بيتها حزينة ومتوجعة النفس وفي ليلة ذلك اليوم رأت أثناء النوم رؤيا واذا بشخصين يقولان لها لا تخافي ايها المرأة فان الله قبل صلاتك واستجاب طلبتك وسترزقين ولداً كما رزقت حنة بصموئيل فاذا انتبهت باكراً اذهبي عند الاب تاونا واخبريه بذلك . قال لها هذان الشخصان ذلك وغابا عن نظرها فلما طلع الفجر أعلمت زوجها برؤياها فأمرها

ان تنطلق الى الاب تاونو لتخبره بما رأت وما سمعت ففعلت أما البطيريك فدعا لها وبارك عليها وصرفها بسلام ولم تمض تلك السنة حتى رزقت ولداً ذكراً وحين قدم لينال الصبغة المقدسة دعاه البابا تاونو بطرس لكونه بشرت والدته بالحبل به يوم عيد الرسول بطرس ولم ينم هذا الطفل قليلاً حتى بدأت علامات النجاسة والذكاء تظهر على وجهه فادخله البطيريك المدرسة الدينية ولما صار قادراً على تأدية وظيفة الوعظ والارشاد في الكنيسة قلده وظيفه الشماسية ثم وظيفه القسيسية ومن ثم صار بطرس يعتمد عليه ويعول في القول والعمل وحل المشكلات العويصة وقد ناظر سابليوس وشيعته تارة بالكلام وأخرى بالكتابة حتى خرج من هذه المناظرة فائزاً منتصراً على أخصامه . وفي أحد الاعياد السيدية بينما كان البابا تاونو مخفلاً مع مصاف اكليروسه برفع السرائر الالهية وقف رجل به شيطان على باب الكنيسة وبدأ يرمي بالحجارة كل من يأتي للصلاة فأمر البطيريك القس بطرس ان يزجر هذا الشيطان ويأمره باسم المسيح ان يخرج من الرجل فاطاعة لامر معلمه أحضر أثناء فيه ماء للبطيريك وطلب اليه ان يرسمه بعلامة الصليب ففعل ثم خرج القس بالاناء ورش منه على ذلك الرجل داعياً باسم الثالوث المقدس فسقط الرجل على الارض مزبداً وخرج منه الشيطان ولما قربت وفاة البابا تاونو أوصى الاساقفة ان يخلفوه باقامة القس بطرس

(٢) وفي سنة ٢٨٥م اجتمع الاساقفة في هاتور بالدار البطيركية ووقعوا على رسامة هذا الاب وكان الاضطهاد شديداً على مسيحي القنطر المصري لم يسبق له نظير فلما رقى البابا بطرس الكرسي المرقسي بعث رسائل الى انحاء الكرازة جميعها يثبت بها ابناء رعيته على الايمان بالمسيح ولم يكتف بذلك بل انه طاف القنطر المصري وافلقد كنائسه قنبت عزم المعترفين ورد الضالين واضعاً عليهم القانون واتفق انه لما بلغ الى مدينة ليكوبولس وجد أسقفها ملاتيوس الاسيوطي من ضمن الذين أنكروا المسيح وضحقوا للآلهة خوفاً من العذاب فأفرغ جهده في أن يرد هذا الجاحد الى الايمان بواسطة التوبة والقيام بالقوانين الكنائسية فأبى ان يقبل ذلك وطفق يشنع على القديس بطرس مفترياً عليه فقال لسمعاع كلامه تفر ليس بقليل وهكذا شق الكنيسة في تلك الجهة وقسم المؤمنين الى جزئين فالبعض تبعوه والبعض ظلموا راسخين على

موالاة باباهم . أما باقي الذين سجدوا الايمان وأثرت بهم نصائح البابا فحاشوا اليه يطلبون منه الحل والقبول في شركة المؤمنين فوضع على كل منهم قانوناً ملائماً لحاله فأمر الذين سجنوا مدة وسقطوا بدون عذاب ان يتموا ذلك القانون سنة كاملة وأما الذين كفروا باختيارهم بدون ان يحتملوا عقوبة فلم يقبل منهم الا الذين ابتدؤا ان يثمروا أثمار التوبة بشرط ان يكملوا القانون الثاني وأما الذين تخلصوا بحيلة بدون ان يسجدوا الايمان علانية وذلك بواسطة سندات طلبوها من الغير تتضمن شهادة بأنهم كفروا بالايمان أو ارسلوا وثنيين يكفرون نيابة عنهم فأمرهم ان يكملوا ذلك القانون سنة أشهر وأمر الذين ارسلوا غيرهم لسجدوا الايمان عنهم ان يصوموا ثلث سنين .

(٣) ولم يستقر له قدم بعد عودته من افتقاد رعيته في مقر كرسيه حتى صدمت كنيسة زواج بدعة أريوس ومن أمر هذا الرجل انه ولد في لبيدة مصر وتربى فيها ونزح من وطنه الى مدينة الاسكندرية ودخل مدرستها الدينية وتقدم في علومها تقدماً باهراً فتداخلته الكبرياء والعظمة وأحب ان يرقى درجات رفيعة بواسطة فصاحته بعد ارتقائه درجة كاهن ووظيفة واعظ في الكنيسة فاعجابه بنفسه وعجبته للرئاسة أثاراً على عقله وجعلاه يتعد أثناء الوعظ عن مركز التعليم المسيحي البسيط وصار يخلط فيه عبارات فلسفية تخالف قواعده الأساسية واتفق انه قال أثناء خطابه في حضرة البابا بطرس وعلى مسمع منه ان ابن الله كائن بعد ان لم يكن ففهم البطريرك هذه العبارة من باديء بديء انه قال ذلك بالنسبة الى الناسوت المحدث من مريم العذراء ولكن لدى تكرار اريوس لهذه العبارة واستفهام القديس منه عنها علم يقيناً ان اريوس سقط من مجد الديانة المسيحية فلما خرج البابا من الكنيسة استدعى اريوس امام بعض الاساقفة ونصحته كثيراً ان يعدل عن رأيه ولما لم ينتفع بذلك كتب قراراً بجرمه وقطعه وفصله من شركة الكنيسة أمضى عليه هو والاساقفة الذين كانوا حاضرين في هذا الجمع وحدث بعد ذلك بقليل ان الملك حضر الى الاسكندرية وأمر بقتل البابا بطرس اذا لم يضح للألهة فاعثقله الوالي ووضعه في السجن فلما علم اريوس بسجن البابا طلب من وجهاء الشعب ان يشفعوا به لدى البطريرك كي يقبله في شركة الكنيسة

وفي نيته ان يتسلق على عرش البطركية بعد موت القديس قنصبرعوا اليه في شأنه فأبى ان يجيب طلبهم ثم أخذ ارشلا واسكندر كاهنيه الموقرين واعلنهما عن حال اريوس بقوله (اني وان كنت خاطئاً فسأموت بنعمة الله شهيداً وستجلسان بعدي على كرسيّ حسباً أنبائيّ بذلك سيدي يسوع المسيح فأقص عليكما رؤيا أنعم بها عليّ في هذه الليلة وذلك انه بينما كنت أصلي ظهر لي رب المجد بشكل غلام له من العمر ١٢ سنة وكان متصفاً بهاء عجيب لابساً ثوباً أبيض ممزقاً من طوقه الى أسفل فسأله قائلاً من هو يارب الذي مزق ثوبك فقال لي هو اريوس ثم أمرني بالأقباله في الاشتراك الكنائسي وأوصاني بأن أقول لكما ذلك فخرجا من عنده .

(٤) ان رسائل هذا البابا التي بعث بها الى انحاء القطر المصري وغيرها وحجا بها العبادة الوثنية أوغرت صدر الملك مكسيانوس غيظاً فحضر الى مصر بذاته لينتقم من البطريك وبعد ما قتل بنصاري القطر المصري ودمر بلادهم ونهب أموالهم وهرق دماءهم وسبي نساءهم وأولادهم وقتل منهم ما يتوف عن ٨٤٠٠٠٠ نفساً بعضهم بالسيف والبعض بالجوع والحبس عاد الى الاسكندرية وأمر بالقبض على البابا بطرس الذي احتسبه عدو آلهته الأكبر نظراً لتشجيعه على عبادتها وقيل ان الذي زاد غضب الملك على هذا القديس علاوة على ما تقدم هو ان امرأة سقراط أحد قواد الجند الذين جحدوا الايمان في انطاكية كان لها ولدان فلما كبرا قليلاً عزمّت على أن تذهب بهما الى الكنيسة لتمجدها فزجرها زوجها وهددها بان تقام الملك ولما ضاق ذرعها وسدت في وجهها المسالك جميعها حملت ابنها وذهبت بهما الى الاسكندرية حيث عمدها البابا بطرس وعادت الى انطاكية وكان القائد الجاحد قص أمرها على مسامع الملك فامرّه ان يحضرها امامه عند عودتها من الاسكندرية فلما رآها القائد استدعاها للحضور امام الامبراطور فحضرت فألها عما حملها على الذهاب الى تلك المدينة فأقرت بكل ما فعلته فانكر عليها ذلك وقال لها انما ذهبت لتزني مع النصاري فانكرت ذلك وبرهنت على أداب المسيحيين وحسن سيرتهم بعبارة قوية أذهلت من سمعها وأغضبت الملك فأمر ان تربط يداها وراء ظهرها ويعتقل ولداها على بطنها وتحرق بنار واشتهت حياتها وحيوة ولديها على هذه الكيفية

وما سمع الملك بان الاب بطرس يحنفل جهرأً بشعائر العبادة المسيحية حتى اتقد بنار البغضة والانتقام فحضر الى ديار مصر وفعل ما فعل ثم تمكن أخيراً من القبض على القديس بطرس وأودعه في السجن فاضطرب لذلك نصارى الاسكندرية واجتمعوا على باب السجن مردين ان ينقذوا راعيهم بالقوة فلما رأى القائد المأمور من القيصر بقتل القديس هذا الجمع الكبير خشى ان يحدث قلق وتعصب فأبقى تنفيذ أمر الملك الى الغد أملاً بان هذا الجمع يعود كل واحد منه الى منزله اذا دخل الليل غير انهم استمروا جميعاً فلم يجسر القائد ان يخرج القديس خوفاً من ان الشعب يختطفه من بين يديه فاستدعاه القديس وأشار عليه ان ينقض قليلاً من حائط السجن من الجهة التي لم يكن المسيحيون بازلها فانذهل القائد من هذه الشهامة ثم فعل كما أمره الاب وأخرجه من السجن سرأً وذهب به الى مكان بقرب قبر مار مرقس الرسول يدعى بدار البقر فلما وصل القديس الى ذلك المكان جثا على ركبتيه وبدأ يطلب من الله ان يجعل دمه خاتمة هرق دماء المسيحيين وتتمام زوال الاضطهاد عن بنيته وكان بالقرب منه بيت مسيحي فيه صبية عذراء كانت تصلي فلما انتهت من صلاتها سمعت صوتاً يقول بطرس أول مصاف الرسل وبطرس آخر شهداء الاسكندرية ولما أتم القديس صلاته تقدم بشهامة الى السيافين فلم يجسر أحد منهم ان يدنو منه لان الخوف اعتراهم فدفع القائد للاحدهم ٢٥ ديناراً فأخذ هذه الكمية وتقدم الى القديس وقطع رقبتة ثم تركه الجند ومضوا أما الشعب فلم يعلموا به الى ان رأوا السجن منقوضاً فأسرعوا الى حيث جسد القديس وألبسوه ثياب الحبرية وأجلسوه على كرسي مار مرقس الذي لم يرض ان يجلس عليه أبداً وهو حي ثم صلوا عليه ودفنوه باكرام جزيل وكان ذلك سنة ٢٩٥ في ٢٩ من شهر هاتور

البابا ارشلا البطريك الثامن عشر سنة ٢٩٥ م

وبعد موت البابا بطرس اجتمع الاساقفة وأقاموا القس ارشلا خليفة له في شهر كيهك من تلك السنة فلم يستمر على الكرسي أكثر من سنة شهود وتوفي في ١٩ بونة

وحدث في أثناء مدته ان اريوس تمكن بواسطة خداعه من استمالة قلوب وجهاء الشعب وجعلهم يتوسطون به لدى البطريك فالتسوا منه ان يشرك اريوس في الخدم الكنائسية ومن كثرة لجأهم عليه قبله

الحوادث المدنية في هذا الحيل

انه لما صفا الجو للامبراطور ساويرس بدأ يشتغل بتنظيم أحوال المملكة ويحسن تديرها ويغير ويبدل ويعزل وينصب فيها وقد اشترى بسفك دماء المسيحيين سيما مسيحي بلاد مصر وأفريقيا وأبلاهم باضطهاداته المريعة حتى خيل لهم ان المسيح الدجال قد ظهر الى عالم الوجود وذلك في مدة بطريركية الاب ديمتريوس ١٢ ومما وصل الينا من أخبار اضطهاده لمؤمني مدينة الاسكندرية القصة الآتية . كان في هذه المدينة فتاة بدیعة في الجمال تدعى بوطاميا تأدبت حسب الاصول المسيحية وتربت في حضن امها القديسة مريليا فحاول رجل ذو ثروة وغنى جزيل ان يلطخ بتوليها بالفساد والدنس مرارا كثيرة فلما قاومته البتول ورفضت وعده ووعدده وترغبه وترهيه سخط عليها وشكاها الى الوالي بانها مسيحية ورشاه بالفضة والتمس منه ان يجبرها على ان تنجس لمطلوبه الوحيم فأحضرها الوالي ولاطفها كثيرا فلم ير منها الا العزم الثابت ولما ضجر من مقاومتها حكم عليها بأن توضع في قسر مملوء من الزفت المغلي فقبلت هذا الحكم بمزيد الشكر باغراء والدتها فلما عمد الجنود ان يعروها توسلت اليهم ألا يفعلوا ذلك فقبلوا سؤالها وكان فيهم رجل يدعى باسيليس قد تأثر من وداعتها فكان وهم يسبرون بها بمنع المتفرجين عن الاقتراب اليها والازدراء بها فلما رأت منه هذا الجميل والمعروف الجليل وعدته بأن تكافئه عن معروفه بالطلب الى الله من أجله لكي يستير بنور الايمان وقد أنجزت هذا الوعد الصالح بعد ما كابدت اتعاب جهادها وتوفيت فانها تضرعت الى المسيح من أجله فست نعمته الالهية قلب الجندي وانقلب للجمال مسيحياً ومات شهيداً وتفصيل ذلك ان جندياً طلب اليه ان يحلف بالآلهة

فقال له اني مسيحي وشريعتي لا تأذن لي بأن أحلف بآلهة الوثنيين فظن رفقائه في
بدى الامر انه يمزح لكن لما تحققوا منه صحة قوله أخذوه الى الوالي واشتكوا عليه
بأنه مسيحي فامر القاضي بسجنه فلما شعر المؤمنون بذلك بادروا اليه ومنحوه الصبغة
المقدسة ثم سألوه عن كيفية اعتناقه الايمان فقال لهم (ان العذراء يوطاميا ظهرت
لي في رؤيا الليل بعد وفاتها بثلاثة أيام وبيدها اكليل وضعت على هامتي وقالت لي
(انك يا باسيلديس عما قليل تكون معي) فتيقنت ان هذا المنتظر كان من أجل
دعوتي الى الايمان) وقد انتهت حياة هذا المجاهد بقطع الرقبة . وقد ابلى هذا الطاغية
مسيحي قرطجنة بالنكبات ففاضل عنهم ترتوليانوس العلامة واحتج على الملك امام ديوان
رومية فاستطاع ان يخفف عن رعايا كنيسته وطأة الاضطهاد وكانت رزايا مؤمني بلاد
أوربا ساءا غالبا أي فرنسا ليست بأقل من رزايا غيرها وسبب ذلك ان هذا الطاغية
عين يوماً لمولده ودعا سائر الناس الى ان يحتفلوا فيه بتقديم القرابين للآلهة فلم يشترك
المسيحيون مع غيرهم بهذا العمل الفظيع فاسمر نيران الاضطهاد فيهم وقتل كل نصارى
مدينة ليون وقتل ايريناوس أسقفها الذي كان تلميذ بوليكرىوس أسقف أزمير وهذا كان
تلميذ يوحنا الرسول كما ذكرنا ذلك في ترجمة الاب ديمتريوس . وقام على تخت الامبراطورية
الرومانية كاركلا نحو سنة ٢١١ م وكان شريراً قتل أخاه وجرح أمه في ذراعيها وقتل
بأكبر الناس وقتل منهم نحو ٢٠٠٠٠ نفس فاستولى عليه القلق والوسواس من جراء
ذلك وصارت الاحلام تربيعة في الليل فكان يلهي ذاته عنها ويشغلها بالولائم والالعب
الخلفة وكانت تقوده جميعها منشوشة فانه جعل دنائره من نحاس مغطاة بالذهب
ومسكوكاته من رصاص مغطاة بفضة وفي آخر حياته كان يتزيا بزي اسكندر المكدوني
ويعمله في اللبس والعوائد وقد اتخذ لنفسه سنة آلاف من الجنود المكدونية ودعا
نفسه اسكندر واستعد للغزو والفتوحات على منوال ذلك الملك فلم ينجح في مسعاه
وقتل وهو في بلاد سوريا بدسية بسيانوس الذي أخلفه على كرسي المملكة
سنة ٢١٨ م

ومن البلايا التي أبلا بها كاركلا اهل الاسكندرية ما هو انه لما دخل هذه المدينة
بدأ أهلها ينددون على عيوبه التي من ضمنها قتله لاختيه ومحاولته للتزوج بأمه فلما بلغ

اليه هذا الازدراء اصدر أمراً الى شبان المدينة ان يخرجوا الى سهل ويصطفوا على قصد ان يتخب منهم فرقة ويقلدهم السلاح ويجعلهم جنوداً له وهو يقصد على وجه الحقيقة ان يقتل بهم فلما خضعوا لهذا الامر اكتشفهم جنوده من كل جانب وحصروهم ضمن دائرة ثم انسحب الامبراطور من الوسط وأشار الى عسكريه بعلامة مخصوصة فوقعوا بأولئك الشبان وقتلوه عن آخرهم

أما خليفته الذي نظراً لصغر سنه وبديع حسنه وجمال منظره دعي بسيانوس أي الشمس فكان في أغلب الاوقات يتزيا بزي النساء فيضع في عنقه قلادة وفي يديه أساور من ذهب وكان ينشر في قصره أنواع الزهور والرياحين والروائح الذكية وكان اذا اجتمع اليه كبار رعاياه يطلق في وسطهم الوحوش الضارية ليرعبهم بها فاستجبوا أفعاله الذميمة وقاموا عليه وقتلوه وأراحوا البلاد والعباد من شره فأخلفه ابن عمه اسكندر نحو سنة ٢٢٢ م وكان ملكاً عادلاً ووديعاً الى الغاية وكانت أمه جوليا مسيحية وغيورة ومحبة لأئمة دينها وقد استدعت عندها أوريجانوس العلامة وكانت تلتذ بسماع خطباته الفصيحة وكان الملك يستشيرها ويعمل برأيها فأبطل جميع الامور المخالفة التي سلك فيها سلفه وطرد من امامه أرباب الملاهي وجعل ندماء من ذوي الاخلاق الكريمة والاذواق السليمة وأبطل عبادة الاوثان وأخرج الاصنام من رومية ودعا الناس الى الديانة المسيحية ووجه جل عنايته نحو اصلاح خلل المملكة ورفع عن عاتق رعاياه المظالم والمغارم وخفف الضرائب وأصلح حال المسكرية واعتنى بافرادها اعثناء الوالد بولده وكان يزور مرضاهم . وكان اردشير ملك العجم حاول أن يستولى على جميع الولايات التي كانت خاضعة لكورش الفارسي فلما أحس اسكندر بهذا العزم زحف بجيشه على بلاد الشرق ولما وصل الى مدينة انطاكية عقت عليه فرقة من عسكريه وقصدت ان تقتله فقادها الى الطاعة بحسن درايته وشجاعته وثبات جاشه ثم تقدم الى محاربة العجم وحاربهم وانتصر عليهم وعاد محفوفاً بالنصر الى رومية واستمر ملكاً الى ان قام عليه بعض العساكر وهو يومئذ يحارب القبائل المتبررة وقتلوه مع أمه بدسياسة مكسيمينوس أكبر قواده وبايعوا هذا القائد بالملك فلما جلس على كرسيه أصدر أوامره لابادة المسيحيين بعكس ما كان يفعل معهم سلفه ومبدأ

هذا الاضطهاد هو انه لما جلس جديداً على تخت الامبراطورية أنعم حسب عادة اسلافه على عسكره فكان كل واحد يتقدم اليه وهو واضع الكليل من غار على رأسه فتقدم عسكري مسيحي ويده الكليله ونال الانعام من الملك ومضى فلما سمع رئيس العسكر دممة ارفاقه عليه وتغيفهم له على عدم وضع الاكليل على رأسه استدعاه وسأله قائلاً (لماذا لا تضع الكليلك على هامتك نظير رفقتك) فقال له . (اني مسيحي وشريعتي لا تأذن لي ان أجعل أكليلكم على رأسي فاني أعتبر ذلك ضرباً من العبادة الوثنية) فعراه من شكاه العسكري وطرحه في السجن وشرع من ثم الملك يصب رجسه على المسيحيين سيما الرؤساء منهم ولكنه لم تطل مدته فان العسكر هاج عليه لشدة ما قاموا من الجوع وقتلوه وهو في مضربه . فأخلفه على تخت المملكة غودريان وكان الفرس قد غزوا أكثر الولايات الرومانية واستولوا عليها فحاربهم هذا الملك وانتصر عليهم واستخلص من أيديهم كل البلاد التي اغتصبوها

وفي سنة ٢٤٤ م تبوأ كرسي الملك رجل عربي الاصل يدعى فيلبس وكان حاذقاً نجيباً فأحسن معاملة المسيحيين وأعطاهم الحرية التامة وقد استمر حاكماً خمس سنين في نهايتها عزله الجند وأقاموا بدله ديسيوس وكان طاغياً وظالماً ومحباً لسفك الدماء فجدد الاضطهاد على المسيحيين وتفنن فيه واخترع طرقاً كثيرة لعذابهم حتى انتصر على ضعاف الايمان وغير الثابتين فيه وجعلهم ينكرون مسيحهم الاقدس وهالك روايتين مؤثرتين فالاولى هي ان أحد المسيحيين بعد ما عذب بتمشيط جسمه بأظفار الحديد ومد على صفائح نحسية ولم ينثن عن عزمه الثابت طلي جسمه بعسل وربطت يداه وراء ظهره وبسط في الشمس المحرقة منكبا على وجهه مقاسياً حر الشمس من جهة ولدغ النحل والزناير من جهة أخرى والثانية وهي ان واحداً كان في ريعان شبابه ونعومة عوده فأوتى به وعذب ولما لم ترسخ قوته نقل الى جنيحة مبهجة وأقيم بين السوسن والورد بالقرب من منهل عذب وموقع لطيف وتحت أشجار مظلة فبسط على سرير مفروش بأنواع الحرير الناعم وربطت يداه بمنديل من حرير أيضاً وترك وحده ثم أرسلت اليه امرأة بني لتستميله الى تدنيس عفته فاصبح الشاب من ثم معرضاً لخطر مهول لا يستطيع قوة بشرية ان تنقذه منه فان الوسائل المؤدية لهلاكه كانت محدقة به من كل جانب

فأضربت نعمة الله نار المحبة الدينية في قلبه وأوغرت العناية العلوية صدره بالغيرة والشهامة فقرر ضلالة بأسنانه وبسقه بوجه تلك العاهرة فهربت منه مذعورة . وقبض في هذا الاضطهاد على اسكندراسقف بيت المقدس وطرح في السجن فمات فيه وقتل بايلاس بطريرك انطاكية مع ثلاثة من شمامسته . ولم تطل مدة ديسوس على كرسي المملكة فان قبائل الغوثيين من الاقاليم الشمالية زحفوا على الولايات الرومانية وحاربوها واستولوا عليها فالتزم الملك ان يصادهمهم بخيوله ورجاله فحاربهم نحو سنتين ثم قتل أثناء الحرب وتغصب ملكاً بدله غالوس قائد جيشه فعقد صلحاً مع أهل الشمال . وأتحفهم بالحبايا والعطايا لكي يهدأوا ويدعوه يتقارب على فراش حفظه ولذاته وكان معه قائد يدعى أميليانوس فأخذ على عهده الحرب معهم وبعد انتصاره عليهم حدثته نفسه بلبس تاج المملكة فلقب نفسه قيصرًا فلما شعر غالوس بذلك حاول أن يقهره ويخضعه فقتل أثناء الحرب وحدث أن طاعونا فشا في زمانه وأهلك اناساً لا يحصهم إلا الله وحده فحال الوثنيون أن الآلهة ساخطة عليهم بسبب وجود الدين المسيحي وسكوتهم عليه فهاجوا على غالوس قيصر وألزموه أن يصدر أمره باضطهاد النصارى أو يقدموا الذبائح للآلهة لترضى عليهم وترفع عنهم هذه الرزايا وفي أثناء هذا الطاعون أظهر المسيحيون كل نوع من الفضيلة فكانوا يثابرون على عمل الخير ومساعدة أصحاب الفاقة واشتهر بهذا العمل أكثر من غيره القديس كبريانوس أسقف قرطبة وصار أنموذجاً للأغنياء والمقتدرين من المسيحيين فساعدوا اخوتهم الذين كانوا يلقون مرضى وأموالاً وجياعاً في الطرق وعاملوا الوثنيين بالمعروف والاحسان وقابلوا شرهم بالخير وكان في رومية رجل شخ اسمه فالريان تسمى قاضياً من طرف المجلس العالي في أيام ديسوس فلما اغتصب أميليانوس القائد المملكة نهض بجيش عظيم لقتاله فمات اليه الجنود وسلموه زمام الملك بدلاً عن ذلك المغتصب وكان سابور الاول ملك الفرس استولى على بلاد سوريا فزحف اليه فالريان ليستخلص منه هذه البلاد وقبل ان يبارح رومية أقام ابنه غلينوس مقامه وكان شاباً عديم المعرفة لا يدري شيئاً من أمور السياسة أما فالريان فانكسر في الحرب وأخذ ملك العجم أسيراً وكان يهينه ويحقره ويلبسه أحسن الثياب الفاخرة للاستهزاء به وكان يستعجه أينما حل وإذا أراد ان يركب فرسه

طرحه على بطنه وداسه برجاء جاعلاً إياه سلم ركوبه ولمامات سلخ جلده ودبغه
وصبغه باللون الأحمر وحشاه بالثين ووضع في هيكل الاوثان .

وكان ابنه غلينوس في هذه الغضون أضرم نار الاضطهاد على النصارى بسبي
ساحر وثي وقتل كبارهم فلما حلت هذه الرزايا بوالده تشاء منها وعلل حدوثها
بسبب ما حل على رؤوس المسيحيين من النكبات . ومن الذين ذهبوا فريسة هذا الاضطهاد
سكستوس أسقف رومية فان الجنود هجمت عليه وهو محتج في السرايب التي كان
يجمع فيها المسيحيون وقت الاضطهاد فقبضوا عليه وساقوه للذبح وفيما كان يسير
شاهده شماسه لورنسيوس فهتف باكياً (الى أين تذهب يا أبتاه تاركاً ابنك) فأجابه
الاسقف (انك ستبني بعد ثلاثة أيام) فتعزى بهذا الكلام وأخذ يتأهب للعذاب موزعاً
ما تحت يده من أموال الكنيسة على الفقراء فلما بلغ الملك ان الكنيسة ذات ثروة
جزيلة ورغب ان يستولى عليها وعلم ان ذلك الشماس هو المؤمن عاينها استحضره
وطلب منه خزينة الكنيسة فأجابه الشماس (أي نعم ان كنيسة غنية وعندها كنوز
ثينة ليس عند الملك نظيرها فامهلني وأنا أريك قسماً كبيراً منها) فأمهله ثلاثة أيام طاف
في غضون الشماس المدينة وجع الفقراء الذين تعولهم وتمتم بهم الكنيسة ثم مضى
للملك وقال له (اتبني وأنا أريك خزان كنيسة فانك ستري أمتعة ذهبية تملأ داراً
واسعة) فقبه الملك ظاناً بأنه يحوز أموالاً وافرة فلما شاهد جمهوراً من العميان
والمقعدين قال له الشماس مشيراً إليهم (هذه هي الخزان التي وعدتك بها وهؤلاء هم
تيجان الكنيسة ورأس مالها فدونك إياها وتصرف بهذه الاموال كيفما شئت)
فاحتدم الملك غيظاً ونظر اليه شذراً فقال له الشماس (مابالك تقتاظ ان الذهب ما هو
سوى مادة حقيرة وهو علة لرزايا كثيرة اما الذهب الحقيقي فهو النور الحقيقي الذي
يضيء على هؤلاء الفقراء) فقال له القيصر أنت تستخر بي بالورنسيوس وأنا أعلم انك لم
تفعل ذلك الا لانك لا تبالي بالموت فلا ترجو ان أميتك سريعاً بل سأطيل عذابك)
فضربه بالسياط حتى تهرى لحمه ثم أحى ساجداً وربطه عليه ليموت محبوزاً فلما احترق
أحد جنبيه التمس ان يحول الى الجنب الآخر فحوّل ورفع عينيه وصلى ثم
أسلم الروح

وفي هذه الآونة استشهد كبريانوس أسقف قرطجنة وكان محبوباً ومعتبراً جداً من المسيحيين والوثنيين أيضاً لكثرة ما فصله مع هؤلاء من الخير وكان اختفى في زمان اضطهاد ديسيوس وظل مخفياً الى ان ملك فالريان فظهر وأخذ يباشر أمور وظيفته وكان يمثه والي المدينة فلم يجسر على ان يضره خوفاً من الناس فطلب اليه ان يترك المدينة ففعل كذلك واستمر بعيداً عنها سنة كاملة ثم عاد اليها بعد ان عزل ذلك الوالي وسكن في بستان قريباً منها وكان الوالي الجديد شر من سلفه فطلب ان يقتله لما رأى من شدة اعتبار الناس له فألح عليه المؤمنون بالطلب أن يحتفى فرفض طلبهم اذ كان رأى حلاً وهو في النفي مؤداه انه مزعم أن يقتل شهيداً فقبض عليه الوالي وسلمه لفرقة من الجند لثقتاده الى متقع العذاب فعمل افراد رعيته بذلك وخرجوا يقفون أناره مريدين أن يشربوا كأسه عن بكرة أبيهم وكان بينهم عدد ليس بقليل من العذارى فاوصى القديس الشعب بهن لئلا يلحقهن ضرر واذا من الجند ولما بلغ الى المكان المعد لقتله خلع عن ذاته ثياب الاسقفية وسلمها لشماس وصلى ثم دفع خمس قطع ذهب للجلاد وربط عينيه بمنديل وقدم عنقه للسياف ففرس المؤمنون ثياباً تحته ليأخذوا دمه بركة فقطعت رأسه وحملت جثته ودفنت باكرام جزيل . وهذا الاب معدود من الآباء الذين تعتمد الكنيسة على أقوالهم وتعاليمهم ومن أمره أنه كان وثيقاً فارتد الى الدين المسيحي بعد بلوغه وزواجه وبعد انهماكه في الملازمة طويلاً وكان يرى في اقلاعه عن آداب الوثنيين صعوبة كبرى فكان يقول (كيف يمكن الاقلاع عن ملكات تعقت وصارت كطبيعة ثانية وكيف يتعلم الامساله من اعتاد على مائدة متفتحة بالاطعمة اللذيذة) ولما اعتنق الايمان واعتمد من يد سيسيليوس كاهن قرطجنة استحال من صفات الحشونة والفظاظة والكبرياء والشراسة في الأكل والشرب الى صفات حمل وديع وانان حكيم تقي ولم يمض على قبوله الايمان مدة حتى رسم كاهناً ثم رقى كرسي رئاسة الكهنوت وكرس أسقفاً على قرطجنة وكان يقول كثيراً ما يرى في الناس اثنا عشر صنفاً ممقوتاً وهي (١) حكيم لا عمل طيب له (٢) شيخ لا دين له (٣) شاب لا طاعة عنده (٤) غني لا يتصدق (٥) امرأة لا تستحي (٦) شيخ خال من السلاح (٧) مسيحي لجوج (٨) فقير متكبر (٩)

ملك غير عادل (١٠) أسقف متغافل (١١) قوم لا نظام لهم (١٢) رعية لا سنة لها

وقد ساء تصرف الامبراطور غلينوس وأهمل صالح رعاياه وترك اعداء المملكة تسلق على الولايات وتستولي عليها بلا مانع ولا رادع فقتله الجند وقاموا عليه وقتلوه واتخبوا مكانه كلوديوس الثاني سنة ٢٧٠ م وكان أحد رؤساء الجيش فسار لقتال النوثيين الذين كانوا شنوا الغارة على سواحل البحر الاسود فقتل أثناء الحرب فبايع العسكر بالملك أورليان في السنة نفسها وكانت بريطانيا وغاليا واسبانيا شقت عصا الطاعة ورفعت راية العصيان فاقتاد جيوشه اليها وحاربها وانتصر عليها وأدخلها تحت طاعته ثم وجه نظره الى ولايات الشرق وبالأخص سوريا فطردها منها الفاصيين فان زنوبيا ملكة تدمر في سحر بلاد الشام أرملة أودنيانوس الذي كان متحالفاً مع المملكة على حرب الفرس وصعد هجماتهم قد كانت قوية شوكتها بعد ان مات زوجها واستفحل أمرها وظلت تتقدم بفتوحاتها حتى مدت يديها الى الديار المصرية واستولت عليها فطردها هذا القيصر من بلاده وانتصر عليها في موقعي انطاكية وحمص وقبض عليها وأخذها أسيرة الى رومية مقيدة بزنجير ذهبية

وقد عزم هذا الملك أن يصب رجزه على رؤوس المسيحيين غير أن حادثاً سمواً منعه عن ذلك فانه بينما كان يريد أن يمضي منشوراً يقضي بهلاكهم انقضت صاعقة على رجليه فارتعد منها ثم مات مقتولاً وفي سنة ٢٧٥ م جلس على تخت المملكة تاسيتوس من ذرية تاسيتوس المؤرخ الوثني في الحيل الاول وكان على جانب عظيم من العقل والذكاء وشيخاً طاعناً في السن فمات من جراء كثرة الهموم والغموم والاعباب التي تراكمت على هامته ولم يستمر ملكاً سوى سنة أشهر فاخلفه أخوه فلوريانوس ودعا نفسه أمبراطوراً قبل أن يقر عليه المجلس فانتهز بروتوس قائد جيوش الشرق هذه الفرصة وقاومه بمساعدة المجلس وتولى مكانه سنة ٢٧٧ م ومن صفاته انه كان يستخدم عساكره وقت البطالة في عمارة القناطر والجسور وتصلح الشوارع والطرق وفتح الترعة فستموا من هذه الخدم وقاموا عليه وقتلوه فأخلفه كادوس الوالي وكان له ابنان أشركهما معه في الحكم وأصبح معه أحدهما نوميريان والآخر كاريانوس

أقامه نائباً في غيابه ولم يصل إلى ما بين النهرين حتى انقضت عليه ساعة ومات سنة ٢٨٢ م وفي أثناء رجوع الجيش من أسيا مات أيضاً ابنه قتيلاً وأما كاريستوس فلطخ سمته بالسيوب واركب ما لم يرتكه يبرون في زمانه ومع ذلك فإنه كان محبوباً من الجميع ما عدا جنود الشرق فإنها أبت أن تؤدي له الطاعة ونادت باسم قائدها ديوكليتيان الذي كان في أول أمره فلاحاً من أهل دلساتيا ثم ارتقى باجتهاده إلى رتبة قائد جيش فوق من ثم النزاع بين عساكر الولايات الشرقية والغربية ودارت رحى الحرب بين الفريقين واقتتلا حتى ظفر الفريق الأول بالثاني فأصبحت من ثم الحكومة بجملة في يد ديوكليتيان ولما كانت الحكومة وسعة الأطراف اشرك هذا الامبراطور معه صديقاً له محلياً يدعى مكسيميانوس وساواه بنفسه وجعل مقر كرسيه في ميلان وسلطه على إيطاليا وأفريقيا وكان هذا على جانب عظيم من الحشونة وفضاضة الطبع فإنه أباد فرقة مسيحية من الجنود تشتمل على ٦٦٦٦ عسكرياً بسبب كونها لم ترض أن تضحي للاصنام وأبت أن تساعد على قتل المسيحيين وجاء بنفسه إلى بلاد مصر وضايق على نصارها وسخط على الأب بطرس البطريرك وأمر بقتله فقتل وفي هذا الاضطهاد الذي أضرم نيرانه في بلاد مصر مات من نصارها نحو ٨٠٠٠٠ واحداً

الحيل الرابع

ترجمة الاب اسكندر البطريك التاسع عشر سنة ٢٩٥ م — ٣١٨ م

(١) ارتقاؤه الى رتبة البطريكية ومكافئته لبدعة اريوس (٢) المجمع المسكوني الاول (٣) أهم أعمال هذا المجمع (٤) قوانينه

(١) ولم يعلم الآباء الاساقفة بوفاة الاب ارشلا البطريك الثامن عشر حتى بادروا الى التضرع الاسكندري وعقدوا مجمعا فالتخبوا للكرسي المرقسي اسكندر أحد كهنة البطريركانة وكان على جانب عظيم من الفضل والعلم والغيرة والنشاط فلما رقى كائندرا رئاسة الاساقفة شرع يصب قصارى جهده ويقوم بشؤون هذه الوظيفة السامية وقد اشتهر في محاربته لبدعة اريوس وتقنيده تعليمه الوخيم فان اريوس لم يلبث بعد ان توفي الاب ارشلا مؤدياً وظيفة كاهن حتى تقدمت الى الاب اسكندر شكاية بحقه من قسيسين انه ينكر بخطاباته الجهرية لاهوت المسيح وكان جماعة من الآباء الاساقفة في الاسكندرية فاستدعاهم البطريك الى مجمع خصوصي وفحص امامهم قضية اريوس فحكموا عليه بأن يكف عن تعليمه الوخيم أما هو فبدلاً من ان يقبل هذا الحكم أصر على عناده وأخذ يكثر من تعليمه وينادي به سراً وعلناً فسخط عليه الاب اسكندر وجمع مجمعا مؤلفاً من مائة أسقف ليبيين ومصريين وحكم على بدعة اريوس حكماً رسمياً فامضى المجمع على هذا الحكم ما عدا أسقفين فقطعهما هما واريوس من الكهنوت غير ان اريوس لما كان رجلاً عالماً ومتظاهراً بالتقوى والعفاف ومحجوباً من كثيرين لم يمتنع عن اقامة الخدم الكنائسية والقاء الخطب ضد التعليم القويم وتحريض الشعب وانغرائهم على قبول مبادئه حتى استمال اليه الكثيرين فاضطر من ثم البطريك ان يطرده من الاسكندرية ويكتب بحقه رسائل الى الكنائس فذهب اريوس الى فلسطين حيث وجد من يقوم بناصره وبدأ من ثم يخاطب الاساقفة في سائر الاماكن

ويستدعهم ان يأخذوا بيده ويساعدوه على تصويب أرائه وتفضيل أراء أخصامه فأول من انتصر لتعليمه أوسابيوس أسقف نيكوميديا واتفق ان الملك قسطنطين انطلق الى هذه المدينة فظل أوسابيوس يسعى ويجتهد حتى استطاع ان يستميل الى اريوس رضى الملك ومن جهة أخرى الف بعض أغاني سردها فيها أنشأه وسلمها العامة الشعب فصاروا يتلونهم ويشربون السم في الدسم واستطاع بهذه الحيلة ان ينشر مبادئه بسهولة بين المسيحيين وكان الملك يعرف من قبل شيخاً جليلاً في رؤساء الاساقفة اسمه أوسيو أسقف قرطبة من اسبانيا الذي كان اعترف بالإيمان في اضطهاد مكسيبيانوس امبراطور القرب فاستدعاه الملك وتذاكر معه ومع أساقفة آخرين فيها كان حصلاً من الاضطراب والنزاع بسبب مقاومة اسكندر لتعليم اريوس فاستقر رأيهم ان يرسل الملك أوسيو نفسه الى الاسكندرية ليتوسط في أمر صلح اريوس والبطيرك فزوده برسالة الى الاب اسكندر ورسالة أخرى الى اريوس حرضهما فيهما على الاتفاق برأي واحد فلما حضر أوسيو الى الاسكندرية وسعى مع بعض الاساقفة في إيجاد الصلح بين المتنازعين ووجد ان الحرق اتسع على الراقع ووقف على حقيقة الحال قفل راجعاً الى الملك بلا جدوى وأخبره بكل شيء ورأى رأيه هو وبعض الاساقفة ان النزاع بين اسكندر واريوس لا ينحسم الا بواسطة العقاد فجمع مسكوني مؤلف من سائر أساقفة الكنيسة فيحكم في هذه المسألة ويقرر مسائل غيرها مختلف فيها كمسألة الفصح والمعمودية

(٢) فأرسل الملك منشوراً الى أساقفة المملكة ليدعوهم بها الى الحضور وعين لهم سفناً على نفقته وقرر مكان انعقاد المجمع بمدينة (نيقيا) فحضر بوقت وجيز ٣١٨ أسقفاً منهم اسكندر بطيرك الاسكندرية ومكارىوس أسقف أورشليم واسطاسيوس بطيرك انطاكية وأوسيو المعترف أسقف قرطبة وبثوثيوس المجاهد أسقف الصعيد الذي كان الملك يدعو مراراً الى بلاطه ويستلذ بسماع المناظرة ويعقوب أسقف نصيبين وأماسياسترس بابا رومية فلم يحضر شخصياً بسبب شيخوخته فأرسل كاهنين بالنيابة عنه وهما (وبتن وويكنديوس) وحضر من حزب اريوس أوسابيوس النيكوميدي وناوغنس أسقف نيقية ومارس أسقف خلكيدون ومعهم عشرة فلاسفة وحضر عدا هؤلاء جملة من الكهنة والشمامسة والعوام البعض منهم للفرجة والبعض

الآخر للانتصار لاحد الفريقين واجتمع الجميع في قاعة متسعة في ساحة القصر الملكي حيث أعدت لهم الكراسي وأعد كرسي من ذهب للملك في صدر القاعة فلم يشاء ان يجلس عليه بل جلس على كرسي آخر في طرف القاعة حتى أشار عليه الآباء ان ينقل من مكانه ويجلس على الكرسي المعد له ففعل وجلس الآباء العمدة عن يمينه وشماله والجمهور على جانبي القاعة ولما جلس كل واحد في مكانه انتصب أوسابيوس أسقف قيصرية المؤرخ الشهير وارتجل بخطاب اتى به على همة الملك وشكر مساعيه في صالح الكنيسة وقبل انعقاد أول جلسة حدثت مجادلات عنيفة ومحاورات شديدة اللهجة بين كل من حزب اريوس واعضاء المجلس وكان بين هؤلاء المناضلين عن الايمان القويم اثنا سيوس شماس اسكندر البطريرك الاسكندري فاشتهر بالعبارة البليغة والمعاني الدقيقة والاجوبة السديدة حتى استحق حين انعقد المجمع رسمياً أن ينتاب فيه مناب معلمه الذي شيخوخته كانت تمنعه عن أداء أمور كثيرة ولما افتتح المجمع منح الملك الحرية لأعضائه لكي يتفاوضوا في أمر الايمان معتبراً أن الأساقفة مقامون من الله قضاة لأمور الدين غير أنه التمس على كل حال أن يجري الاتفاق على رأي واحد محتسباً أن اتفاقهم هو أمر الهي فكثرت الاخذ والرد في اليوم الاول وطال النزاع وعلت الضوضاء وأرفضت الجلسة على غير طائل وفي اليوم الثاني قدم أريوس تجاديفه بورقة فقرأها أعضاء المجلس ومنزقوها فأحدث حزب اريوس بسبب تمزيقها خصاماً عنيفاً اضطرت القيصر ان يستعمل شيئاً من قوته حفظاً للنظام والامن في المجمع فأسكن الهرج وأسكت الثأرين وبعد مفاوضات طويلة ومداولات كبيرة قرّر المجمع وعدة أعضاؤه ثلاث مئة وثمانية عشر أسقفاً على أن المسيح هو ابن الله حقاً وأنه مساو لآبيه وهو اله حق دائماً مع أبيه فسلم الحزب الاربوسي بهذه العبارة من غير أن يقلعوا عن ضلالهم اذ وجدوا سيلاً لتحريف معناها فلما كشف الحاذقون من الاعضاء نواياهم الخبيثة وزيفوا ضلالهم وأظهروا أن تسليمهم بقبول ما قرره المجمع انما هو من قبيل الدهاء والمكر اضطروا من ثم المجمع أن يعبر عن وحدة الطبيعة الالهية وعدم انقسامها بلفظة المساوي بالجوهر فصارت هذه العبارة دستوراً يميز القويمى الرأي من غيرهم ثم كتب المجمع قراره فأمضاه سائر الاعضاء عن رضى وقبول ما عدا

رهط قليل من حزب أريوس فانقضت على رؤوسهم من المجمع صواعق الحروم هم واريوس وجردوا من وظائفهم الكهنوتية وكتب قرار بإبعادهم من كراسيهم فأمر الملك بتنفيذه فنفى اريوس الى الدير يكون وأما أوسابيوس وثاوغنس فندما على ما فعلا وتابا الى المجمع فردهما الى كرسيهما

(٣) ان المسائل المهمة التي فصل فيها هذا المجمع عدا مسألة اريوس هي أنه أولاً نظر في أمر ملاتيوس الاسيوطي أسقف ليكس الذي قاوم بطرس الشهيد البطريرك الاسكندري ونازعه منازعة أدت بالبطريرك ان يقطعه من شركة الكنيسة كما مر بنا فبحث المجمع في أمره وقرر ان يعطي له لقب الأسقفية فقط بغير ان يتماطى سلطان الكهنوت أو يشرطن أحداً أو يتنقل من مركزه الى مكان آخر فلم يرض الملاتيون أشياءه بهذا الحكم واستمروا منشقين ينازعون بطارقة الاسكندرية سيما اناسيوس كل مدة بطريركته فانهم اتحدوا مع الارويسيين وصاروا يعنون ظناً بين الارثوذكسين واستمروا يفعلون ذلك الى ان انطونات شيعة اريوس وبدا ذووها ثانياً ان المجمع أنهى الانشقاق الذي كان حاصلًا بين أساقفة آسيا الصغرى ومسيحي رومية بسبب تعييد عيد الفصح فحكم بأن يعيد المسيحيون قاطبة هذا العيد يوم الفصح الذي يلي البدر الذي يكون فيه عيد اليهود والا يعيد النصارى عيدهم قبل فصح اليهود ولا فيه ثلاثا يشترك أولئك مع هؤلاء في العيد ثالثاً انه حكم النزاع الذي كان حاصلًا بين أساقفة أفريقيا وآسيا الصغرى وأسقف رومية ونصارياها على معمودية الهرطقة فحكم بمعمودية واحدة وحدد ألا يقبل بعض من الهرطقة الا بالمعمودية لان معموديتهم هي غير صحيحة لعدم ارتباطها بالاعتراف بالثالوث الاقدس وذلك بخلاف ما كان يرتأيه أسقف رومية وذووه وقرر ان يقبل البعض الآخر بلا معمودية لكون المعمودية التي نالوها من الكنيسة الارثوذكسية ليست فاسدة ولا نموسة من أرائهم ثالثاً ان المجمع حكم على ذوي الكهنوت ان يكونوا متزوجين وقد كان ارتأي اعضاء المجمع بعكس ذلك أي ان يكون الكهنة بأجمعهم بتولين وكاد يتم هذا الامر لو لم ينتصب في وسط المجمع بنفوتيس أسقف الصعيد الذي كان بتولاً ويقاوم هذا الرأي بقوله (أنه لا يجب التثليل على ذوي الكهنوت بهذا المقدار ثلاثاً يتأتى ضرر

للكنيسة بدل التفع) فعند المجمع عن رأيه وقبل اشارة هذا الاسقف المطلوب وحكم بموجبها واكتفى بمراجعة المادة القديمة وتأبيدها. وحرم الزواج الثاني على ذوي الكهنوت فقط (٤) وقد سن المجمع عشرين قانوناً فقط لم تزل بحمده تعالى موجودة الى الآن بغاية الصحة والضببط بدون أن يطرأ عليها أدنى تحريف ويشهد لصحة هذه القوانين النسخ اليونانية واللاتينية والترجمات العربية التي تداولها الآن خصوصاً الترجمة العربية القديمة المعروفة بالنسخة الاسكندرية والمسيحيون يتنازعون الآن على عدد هذه القوانين فالغربيون منهم أي اللاتين أو بالحري الكاثوليك يدعون ان عددها ثمانون قانوناً ويستدلون على اثبات هذه الدعوى ببعض النسخ العربية الموجودة في الكنائس الشرقية التي تحوي عدد هذه القوانين وغايتهم واضحة في محاولتهم اثبات ذلك فان قانوني (٣٧ و ٤٤) من هذه القوانين المرتاب فيها يتضمنان تقدم أسقف رومية على غيره من أساقفة القسطنطينية والاسكندرية وانطاكية أما الشرقيون فيدحضون هذه الدعوى بما هو (أولاً) ان الكنيسة القديمة الجامعة لم تسلم الا بالعشرين قانوناً وشاهدهم هو أن اساقفة رومية بما فيهم البابا زوسيموس اجتهدوا في القرن الخامس كما سنذكر ذلك في مكانه ان يجروا بعض قوانين مجمع سرديكا (التي توجب استئناف الاحكام ضد الاساقفة الى البابا الروماني) كقوانين مجمع نيقية فقاومهم مجمع أفريقيا المتعقد من ٢٢٠ أسقفاً سنة ٤١٩ م وأثبت العشرين قانوناً بما استحضره من نسخ المجمع النيقاوي الصحيحة من الاسكندرية والقسطنطينية (ثانياً) ان المؤرخين الاولين لا يسلون بأكثر من العشرين قانوناً فان ثيودريكتس في تاريخ الكنيسة (مجلد ١ ف ٨) وجيلاسيوس (مج ٢ ص ٣١) يؤكدان بكل وضوح ان عدد القوانين النيقاوية عشرون قانوناً فقط. وقد قال العلامة يعقوب مردوك في حاشية له على تاريخ موسهم (انه في القرن السادس عشرأتي من الاسكندرية الى رومية بنسخة عربية تحتوي على ثمانين قانوناً من جملتها هذه العشرون فترجمت حالاً وطبعت فحصل ريب ولكن في برهة وحيزة اقنع كل العلماء بأن الستين قانوناً الزائدة لم تكن من الاصل النيقاوي (لك ٢ ق ٢ ف ٥) ثالثاً ان مضمون بعض القوانين العشرين ينفي غاية الكاثوليك في بعض القوانين الثمانين فان قوانين ٤ و ٥ و ٦ و ٧) من

الأول ففضلاً عن كون كل واحد منها يقضي بمساواة رؤساء الأبرشيات بعضهم البعض بلا امتياز وهذا بخلاف ما يريد الكاثوليك بقانوني (٣٧ و ٤٤) من الآخر فإنه عند العادة المرعية عندهم اليوم بأن كل أسقف بل ان كل بطريرك من بطارقة الطوائف التابعة لهم محتاج الى تصديق من البابا دون غيره واليك نص تلك القوانين الموما اليها (القانون الرابع) ينبغي ان يقام الاسقف على الخصوص من جميع أساقفة الأبرشية فان كان هذا عسر اما لضرورة شديدة أو لبعد المسافة فلا بد من اجتماع ثلاثة معاً بعد اشتراك الغائبين في الاصوات وموافقهم كتابة وحينئذ يعملون الشرطونية أما تثبت الاجراآت فنموط في كل أبرشية بالمتروبوليت

(القانون الخامس) لقد رأينا حسناً ان تعقد مجامع في كل أبرشية مرتين في السنة لكي تفحص أمثال هذه المسائل باجتماع عمومي من جميع أساقفة الأبرشية (القانون السادس) لتحفظ السنة القديمة التي في مصر وليبية والخمس مدن بأن تكون السلطة على هؤلاء كلهم لاسقف الاسكندرية بما ان هذه العادة مرعية للاسقف الذي في رومية أيضاً ومثل ذلك ليحفظ التقدم للكنائس في انطاكية وفي الأبرشيات الأخرى وبالأجمال ليكن واضحاً ان كل من صار أسقفاً بلا رأي الميتروبوليت قد حكم المجمع الكبير انه لا يجب ان يكون أسقفاً وأما اذا قام اثنان أو ثلاثة عن عناد شخصي لصوت الجميع العام رغماعن كونه مصلحاً وموافقاً للقانون الكنائسي فيعمل بصوت الاكثرين

(القانون السابع) بما انها جرت العادة والتسليم القديم ان يكون الاسقف الذي في آية (أورشليم) ذاكراً فلتكن له التبعية في الكرامة مع المحافظة على رتبة الميتروبوليت الخاصة بها

ومن الواضح ان هذه القوانين سنها المجمع تحت ضرورة وهي ان بعض الاساقفة كانوا داسوا حقوق الاساقفة المتولين المراكز العظمى الرسولية سيما ملايوس الاسيوطي الذي كان قطعه القديس بطرس بسبب هرطقته فساقه عناده الى ان تعدى على حقوق البطريرك وصار يقيم شرطونيات بلا رأيه فلذلك جدد المجمع هذه

الحقوق المداسة وجعلها مرعية في دائرة البطريكية الاسكندرية كما ان حقوق أسقف رومية وحقوق أسقف انطاكية وحقوق أساقفة آخرين كانت لا تزال مرعية في مراكزهم

ترجمة الاب اناسيوس البطريك العشرون سنة ٣١٨ م — ٣٦٤ م

(١) طفولية هذا الاب وارتقاؤه الى الدرجات الكنيسية (٢) مقاومته لاهراطقة وادعائهم عليه، بالتهم الباطلة (٣) نفي قسطنطين الكبير له (٤) رجوعه وطرد قسطنس له مرة ثانية ورجوعه وهروبه مرة ثالثة (٥) محاولة يوليانيوس الكافر ثم فالنص الأريوسي قتله ونجاته (٦) هدايته للعبشة

ولد اناسيوس بمدينة الاسكندرية قرب ختام الحيل الثالث ومن أمره انه كان ابن أبوين غريقين في الأصل والاعتبار والشرف فلما مات والده ولم يصل بعد الى درجة البلوغ وبقي وحيداً لأمه اجتهدت هذه بتربيته وحين بلغ رشده حاولت ان تستميله الى الاقتران بزوجة بطرق مختلفة فلم تنجح في مسعاها لان ولدها كان عاشقاً لشبان المسيحيين الذين كان بعضهم يعيش طوعاً في البتولية طول عمره وتعلم من آدابهم وعفتهم وصياتهم وعشيتهم لاطهاره والعفة وسعى ان يدخل في زمرةهم الدينية وينتظم في سلوكهم ويترك عبادة آلهة الوثنية فلما اطاعت والدته على هذه النوايا الحسنة ورأت انها عبثاً تجتهد في اقناع اناسيوس جاءت به الى القديس اسكندر البطريك يومئذ على كرسي الاسكندرية وطلبت ان تدخل هي وابنها في الدين المسيحي فاجاب طلبها وكان البطريك رأى من اناسيوس نجابة وأدباً وحشمة وفطنة فأنقذ قطب ان يكون من ضمن التلامذة المقرين اليه والشماسة القائمين بخدمة كنيسة فتركت والدته عند القديس اسكندر وفي مدة قصيرة رسمه شماساً ثم رئيس شماساً ولمارقي هذه الدرجة الفاضلة برز الى ميدان المكافحة مع أعداء الايمان الارثوذكسي وأخصهم اريوس المنافق ولما ذهب القديس اسكندر الى مجمع نيقيا بدعوة الملك قسطنطين

الكبير واحسب معه هذا الشماس الفاضل فكان هو الآخذ على عاتقه المحاماة عن الايمان المستقيم والمتكامل دون سواه بالرد على كافة أدلة فلاسفة اريوس وبراهينهم الكاذبة فأظهر من الفيرة الارثوذكسية في احتجاجه ودفاعه عن الايمان ما لا يستطيع القلم ان يصفه حتى أدهش الآباء بحداقة لبه وسلامة فكره وانتصر على أخصامه الاربوسيين وأيد أزلية الابن مع أبيه وروح قدسه . وحدث ان القديس اسكندر توفي من بعد رجوعه من المجمع الى كرسية بخمسة أشهر على رواية أو بخمسة عشر يوماً على رواية أخرى وكان قبل وفاته أوصى الشعب ان يجعلوا اناسيوس خليفة له وتنبأ على انه منزع ان يهرب من البطيركية وان هربه لا يجديده نفعاً فانه لا بد ان يرقى كرسيا طوعاً أو كرهاً وبعد وفاة هذا القديس اجتمع الشعب حالاً واختاروا اناسيوس بطيركا فحاول النجاة من ذلك بهربه ولكن بدون فائدة فان الاساقفة جميعهم كانوا وقعوا على انتخابه وأثبتوا فاضطر ان يقبل الارتقاء الى مقام البطيركية وكرس وهو ابن ٢٨ سنة من عمره في شهر برمودة سنة ٣١٨ م

(٢) ولم يرق هذا المنصب العالي حتى أحدثت به المخاطر من كل جانب وبدأت الرزايا والاعاب والتجارب تنال عليه من كل جهة وسبب ذلك هو أن قسطنطينا شقيقة الملك أوصت أخاها وهي على آخر نسمة بكاهن اريوسي كان أب ذمتها وكانت تعني به دائماً فلما حصل هذا القس على التفات من الملك اقنعه بمساعدة اوسابيوس أسقف قيصرية بأن اريوس نبي ظلم لأن ايمانه لا يخالف بشيء عن ايمان المجمع فانخدع الملك نريائهم وأعاد اريوس من منفاه وأمره ان يكتب صورة اعترافه فكتب له اعتراف ايمان ملتبس المعنى وطلب اليه ان يعيده الى مركزه فأرسله مزوداً برسالة الى الاساقفة بأورشليم ليتوسطوا لدى القديس اناسيوس في أمره فقبلوه في شركتهم واکراماً لحظائر الملك أرسلوه الى الاسكندرية وبيده رسائل منهم ومن الملك الى البطرك يسألونه ان يقبل اريوس لانهم قبلوه هم أيضاً فرفض القديس هذه الطلبات واعتبر قبول الاساقفة والملك له مخالفاً للاموس الكنيسة وطرد هذا الذئب المتزيي بزي الحروف من الكنيسة فقتل راجعاً الى الملك بالحيلة أما اناسيوس فبادر حلاً وخاطب الامبراطور برسالة قال له فيها انه لا يمكنه ان يقبل في كنيسة رؤوس

الهرطقة المحرومين من المجمع النيقاوي وان الكنيسة عموماً لا تقبل في شركتها أناساً يتكبرون ألوهية يسوع المسيح . فظن الملك انه يفعل ذلك عن حقد على اريوس وتهده بالتني وفوق ذلك ان سفارة من حزب ميليتيوس حضرت من الاسكندرية عند الملك ووشت باناسيوس انه يجمع ضريبة من المصريين ويدفعها الى فيلومنتوس عدو الحكومة الذي كان عازماً ان يملك بلاد مصر وأقاموا ثلاثة شهود ادعوا ذلك فاستدعى الملك اناسيوس ليحتج عن نفسه فحضر الى نيكوميديّة وكذب كل ما قرفه به أعداؤه بالبراهين والادلة وبشهادة كاهنين معتبرين كان لهما معرفة بحقائق الامور فسر الملك به سروراً بليغاً وردّه الى كرسيه محفوفاً بالجلّة والاکرام ففرح بمجيئه الارثوذكسيون بمقدار ما حزن الهرطقة الميليتيون والارويسيون الذين أخذوا يختلفون عليه من جديد دعاوي أخرى وهي انتهاك حرمة الاسرار المقدسة واقتراف اثم الفسق مع بتول والقتل والسحر فقدموا شكواهم عليه الى الملك ولكن نظراً لكون افتراؤهم الاول لم تثبت حقيقته أعرض عن سماع هذه الاباطيل والحكم فيها وفوض حلها الى أخيه دلسايوس الذي كان وقتئذ في انطاكية فاستدعا ليحتج عن نفسه ويبري ذاته مما قرفه به أخصامه فسافر الى انطاكية حيث قدم للملك المستندات والادلة القوية التي جعلت له مقاماً رفيعاً ومنزلة سامية لديه وغضت أوجه المدعين عليه بستر الحجل والعار وعاد مزوداً بمرسوم ملوكي الى مركزه فلم يقتنع الحزب الميليتي والحزب الاربوسي بما نالهم من الفضيحة فعمدوا الى طريقة أخرى وهي انهم استدعوا الاساقفة الى مجمع في قيصرية فلسطين واذ كان اناسيوس عالماً بمكيدتهم أبى الحضور فأجبر من قبل الملك ان يحضر الى المجمع بعد ما انتقل الى مدينة صور فوضع الامر للملك وانطلق الى المجمع وكان المتقدم فيه أوسابيوس أسقف قيصرية ولما رأى الاساقفة الارثوذكسيون ان اناسيوس لم يسمح له ان يجلس معهم بصفة أسقف بل وقف امام المجمع بصفة رجل مذهب مع انه كان ينبغي ان يكون هو المتقدم فيه نظراً لاهمية مركز بطريركيته الدينية والمدنية يومئذ خرجوا من المجمع ذارفين العبرات فبدأ من ثم أخصام اناسيوس يقدمون عليه دعاويهم الباطلة وهي أولاً انهم قالوا ان كاهنا يسمى مكاريوس من كهنته كسر كأس القديس لقس يدعى أسكيرا وهدم مذبحه

بأمر اثناسيوس لكن قد تفننت هذه الدعوى فان أسكيرا الذي كان من الحزب الاربوسي حلفا ندم تائباً اعترف بتزوير ما ادعاه أخصام اثناسيوس تائباً قالوا انه قتل أسقفاً يدعى أرسانيوس من القطر المصري وذلك انهم اتفقوا معه ان يسافر سراً الى أمكنة بعيدة ويخفي بدون ان يدع أحداً يعلم به فلما اختفى تظاهروا انهم يفتشون عليه واذ لم يجدوه أخذوا ينوحون عليه مشيعين أن اثناسيوس قتله وقطع ذراعه اليمنى ليستعملها في الرقاء والسحر وأثباتاً لادعائهم هذا صنعوا علبة وأودعوا فيها ذراع رجل ميت وزعموا انها ذراع ارسانيوس فلما قرفوه بهذه التهمة أمام قسطنطين وأحيل النظر فيها الى دلماتيوس أخيه وأخبر هذا اثناسيوس بما ادعاه عليه أخصامه أمر اثناسيوس أساقفته ان يفتشوا على ارسانيوس حتى اذا وجدوه وعينوه أرسلوا شهوداً بذلك لتسيراً ساحة رئيسهم . الثلاثة أنهم أغروا إحدى النساء العاهرات وصيروها أن تتهم خصمهم باقتضاض بكوريتها فدخلت المجمع ووقفت في وسطه وبدأت تهتف انها كانت ابنة عذراء مكرسة ذاتها لخدمة الله وأن اثناسيوس بينما كان محتازاً في السفر نزل في بيتها واعتصبها على فعل الزناء فنهض تيموثاوس أحد كهنة الاسقف المذكور للحال ووقف في وسط المحفل مخاطباً اياها كأنه اثناسيوس وقال كيف يمكنك ان تتجاسري على ان تقولي اني نزلت في بيتك واني قهرت ارادتك بفعل الدنس فلما لم تكن المرأة تعرف اثناسيوس شخصياً ظنت انه هو المخاطب لها فأجابته بجسارة وعدم حياء أي نعم انك أنت بذانك قد أغصبتني ودنست عرضي وأفسدت بكوريتي . فقد كان كافياً هذا الامر الذي دبره الله لردع أخصامه وتفتيق دعاويهم لكن قد ازدادوا وقاحة بتجديد دعوى قتل ارسانيوس المار ذكرها والتي كشفت غطاء تزويرها أمام دلماتيوس الملك فلما ينصر الله صفيه في هذه القضية الأخرى دبر بحكمته المطلعة على المكنونات أن يحضر ارسانيوس في تلك الليلة وكيفية ذلك هي أنه لما أفلح عن ضلال أخصام القديس وندم على ما افترط منه اشتاق ان يقابل اثناسيوس فجاء من أبرشيته الى الاسكندرية واذ لم يجده فيها جاء الى صور فلما رآه اثناسيوس أعطي مجداً لله فوضعه في مكان خفي قريب من المجمع اذ كان عالماً أن أخصامه عازمون ان يوردوا تهمة قتله فلما حضر في اليوم الثاني ضرب أخصامه صفحاً عن

ذكر قضية المرأة وأوردوا في الوسط ذكر قضية ارسانيوس بضوءاء شديدة مقدمين علبة فيها ذراع ويد رجل ففتحوها وبدأوا يظهرونها لواحد بعد آخر من الاعضاء وهم يشيرون الى اثناسيوس قائلين ان هذا الذراع هو المشتكى ضدك يا اثناسيوس وهذه اليد هي يد ارسانيوس فيلزمك ان تقول لنا كيف ولاية علبة قطعها . فبعد سكوت قليل قام القديس في الوسط وأجاب بوداعة وحشمة سائلاً هل يوجد أحد بينكم يعرف شخص ارسانيوس أسقف (أيسالا) فأجابه كثيرون منهم بأنهم قد نظروه ويعرفونه حق المعرفة فأرسل للوقت رسولا أحضر ارسانيوس مستور الذراعين بردائه وأوقفه في الوسط سائلاً من اعترف بمعرفته ان كان هذا هو ارسانيوس أم لا فالتزم أن يقر جميعهم أنه هو بذاته فرفع حينذاك الرداء عن كتفي ارسانيوس كاشفاً ذراعيه وقائلاً هو ذا ارسانيوس بذراعيه ويديه فن شدة ما حاق بأخصامه من الخزي والحجل طفقوا يضحجون بضوءاء ان اثناسيوس هو سحار قد أظهر بقوة سحره ارسانيوس قالوا ذلك وهجموا عليه مريدين ان يقتلوه فبادر معتمد الملك وخلاصه من أيديهم . فلما رأى القديس ان حياته أصبحت في خطر الموت ترك المجمع وفر هارباً الى القسطنطينية ليخبر الملك بما كان فاتهر اعضاء المجمع فرصة هربه وحكموا عليه بالعزل من كرسيه وكتبوا قراراً بذلك وأرسلوه الى سائر الكراسي . وعبثاً سافر اثناسيوس الى العاصمة وبلا طائل فان الجنود بأمر قسطنس بن الملك لم تمكنه من ان يقابل أباه وحدث ان الملك كان ذات يوم يجول في المدينة فلما رام ان يدنو منه دفعته الجنود فهتف بصوت عال قائلاً . أيها الملك أسأل جلالتك ان يحضر الذين حكموا علي لكي احتج عن نفسي

(٣) فأجاب الملك طلبه وأمر بأن يحضر مجمع صور عنده فحضر وبدلاً من أن يورد أخصام اثناسيوس التهم التي زعم بطلها في صور اخترعوا شيئاً جديداً وقالوا للملك أن اثناسيوس قصد أن يمنع كل ما كان يرد من مصر الى العاصمة من القمح والشعير فصدق الملك هذه التهمة وظن من جهة أخرى أن القلاقل والاضرابات لا تنتهي من الاسكندرية الا اذا أبعد اثناسيوس منها فأمر بنفيه الى مدينة (تريفير) في ألمانيا وقيل في فرنسا فضع لأمره وذهب الى منفاه حيث التقاه أسقف تلك الجهة

وقابله قسطنطين الصغير قائد الجنود الغربية بالاحفاء والاكرام . ففرح الارويسون بهذا الانتصار الغريب وطلبوا من الملك ان يصدر أمره بأن ينطلق اريوس الى مركزه في الاسكندرية ففعل ذلك ولما ذهب اريوس الى الاسكندرية ثارت النخوة في رؤوس الاوثوكسين وقفلوا أبواب الكنائس في وجهه وأحدثوا شغباً في المدينة خاف الوالي من سوء عاقبته وأمر اريوس بالخروج منها حالاً فذهب الى القسطنطينية وسعى ان يشترك مع القديس اسكندر بطريركها فرفض طلبه فاستعان برجال البلاط الملكي وبالمملك نفسه على الدخول الى الكنيسة والاشتراك بالصلوة مع الكهنة الارثوذكسين فتضايق ذرع البطريرك من كل جهة وكان يومئذ القديس يعقوب أسقف نصيبين أحد اعضاء مجمع نيقيا في المدينة فأشار على القديس اسكندر ان يصوم هو والكهنة سبعة أيام وفي نهاية هذه المدة كان اليوم المعين لاشتراك اريوس في الخدمة الكنسية فزحف بموكب حافل تقدمه العساكر الى الكنيسة وكان حينئذ البطريرك منخياً امام المذبح يذرف العبرات طالباً من الله ان ينقله من هذه الحياة قبل ان يرى اريوس مشتركاً مع القويمي الرأي فينما كان اريوس سائراً بهذا الاحفاء في أعظم شوارع المدينة مع أصحابه أصابه بغلة اسهال شديد فقفز من جوفه مواداً كثيرة حتى أمعاء كلها ومعهما خرجت نفسه الشريرة فاقشعر الناس من هذا المنظر الفظيع وأيقنوا بأنه جوزي بشر كفره

(٤) وكان القديس انطونيوس كوكب البرية طلب اليه ارثوذكسيو مصر أن يتوسط لدى الملك في ترجيع اثناسيوس من النفي فحرر له رسالة بذلك فلم تأت بجدي وفوق ذلك أن الملك قال للقديس برسالة أن اثناسيوس رجل جسور ومتكبر وغشاش فلما حل بأريوس هذا الانتقام الالهي قصد الملك أن يرد اثناسيوس من نفيه فأدركته الوفاة قبل أن يدرك هذا المنى فاقسم ولداه المملكة بينهما فاستولى قسطنس الاربوسي على الشرق واما قسطنطين القويم الرأي فملك على الغرب واستدعى اثناسيوس وطيب خاطره وزوده برسالة وبعث به الى شعبه في الاسكندرية مجلاً مكرماً . وكان حزب اريوس يقوى من يوم الى آخر فحاولوا ان يطردوا اثناسيوس عدوهم الالاد من مركزه وتساعدوا على بلوغ مرامهم هذا بيوليوس اسقف رومية وقدموا له شكاوي منها انه

رجع الى كرسيه بلا قرار مجمع فبعث الاسقف الروماني بصورة هذه الشكاوي الى أساقفة مصر ليروا رأيهم فيها فاجتمع في الاسكندرية ثمانون أسقفًا وكتبوا منشورًا الى أساقفة المملكة يحتجون عن رئيسهم ويكذبون ما عزي اليه من المطاعن والا كاذب وأرسلوا نسخة منه الى الاسقف الروماني . أما الارويسيون ف عقدوا مجمعاً في انطاكية تحت رئاسة اوسايوس نصير اريوس الذي كان أسقفًا على القسطنطينية وقتئذ حكموا فيه بخلع اثناسيوس وأقاموا بدلاً عنه رجلاً عاتياً يدعى غريغوريوس الكبادوكي فجاء هذا وبرفقته فيلاغورس معتمد الملك بجند الى الاسكندرية ولما رآه الشعب حاول الجند أن يفتكوا بافراده وانهز الفرصة راع اليهود وعبدة الاصنام ووشوا العسكرو هيجوهم على الشعب فطبشوا به ودنسوا الاماكن المقدسة بالقتل والفتك ودنسوا العذارى المكرسات ذواتهن لخدمة الله وهجم البطريك الدخيل على كنيسة يوم جمعة الآلام وقبض على أربعة وأربعين عذراء عراهن وضربهن بالسياط وقتل عدداً وافراً من الشعب قاصداً بذلك ان يقتل اثناسيوس وقد كان هذا هرب قبل الفصح الى رومية ليؤيد احتجاجات مجمع أساقفته ويبرر نفسه مما رشقه به أخضامه فلما وصل الى رومية عقد أسقفها مجمعاً مؤلفاً من ٧٠ أسقفًا وطلب ان يحضر فيه مجمع انطاكية فلم يجب دعوته واعتبرها تعدياً منه فحكم المجمع ببراءة اثناسيوس استناداً على قرار مجمع الاسكندرية . وحدث بعد ذلك ان أساقفة كثيرين شرقيين اجتمعوا في انطاكية لتكريس كنيسة (الذهبية) ف عقدوا مجمعاً فيها استمر ثلاث سنوات وسنوا خمسة وعشرين قانوناً صدقت عليها بعد ذلك المجامع المسكونية وحكموا على بدعة اريوس لكنهم لم يصرحوا بموافقة دستور الايمان النيقاوي فانعقد مجمع آخر من الغربيين والشرقيين في (ميلان) رفض قرار المجمع الانطاكي وأثبت دستور الايمان النيقاوي وهكذا انشقت الكنيسة الى شطرين الامر الذي حمل القيصران قسطنس امبراطور الشرق واخوه قسطنطين امبراطور الغرب ان يتفقا على ان ينعقد مجمع مسكوني في (سردىكي) من اقليم الليريكون ليحسم هذه الشرور الكثيرة ويرجع السلام للكنيسة ولما اجتمع الاساقفة من كلا الفريقين تحت رئاسة اوسايوس الشخ الجليل الاسقف الاسباني طاب الغربيون ان يكون اثناسيوس عضواً في المجمع فأنكر عليهم الشرقيون

ذلك فوقع النزاع بين الفريقين وافترق الارويسيون من المجمع وذهبوا الى (فليبه) واجتمعوا بصفة مجمع أثبتوا فيه قرار مجمع انطاكية وحكموا على اثناسيوس وغيره وفصل مجمع سرديكي بعكس ذلك ومنح ليوليوس أسقف رومسية نظراً لما أظهره من الثبات في الايمان القويم حق استئناف الحكم على الاساقفة اليه وعزل غريغوريوس الكبادوكي وأمر برجوع اثناسيوس الى كرسيه فلما أحس مجمع (فليبه) بهذا الحكم أهاج قسطنس ضد القويم الرأي فنفى كثيرين منهم وأمر والي الاسكندرية أن يضع حرساً على أبواب المدينة كيلا يدخلها اثناسيوس فالتزم من ثم هذا ان ينفرد في إحدى مدن (تراكيا) للعبادة الى أن دعاه الملك قسطنطين الى مدينة اكويل وزوده برسالة الى أخيه في انطاكية شديدة اللهجة هددته فيها بالحرب ان لم يأمر برجوع اثناسيوس الى كرسيه فلما وصل القديس الى انطاكية طلب اليه الملك أن يعطي كنيسة واحدة للارويسية في الاسكندرية فقال له نفعل ذلك بشرط أن يعطونا كنيسة واحدة في انطاكية فتعجب الملك من هذا الجواب ورجع عن طلبه ثم سمح له بالرجوع الى مركزه وكان الدخيل توفي قبل ذلك بقليل فلما جاء اثناسيوس الى الاسكندرية استقبلته رعيته بما يليق له من الاكرام والاحترام فأخذ يحارب تعليم اريوس ويخلع الاساقفة الارويسيين ويضع غيرهم أرثوذكسين وظل يفعل ذلك الى ان استقل قسطنس بالملكة فبدأ يحارب المستقيمي الرأي ولا سيما اثناسيوس فجمع عليه مجمعاً في (اريلاطي) من فرنسا وأجبر اعضاءه ونواب البابا على الحكم ضده وعقد بالتماس البابا مجمعاً آخر في ميلان من نحو ثلاثمائة أسقف نفى الذين لم يرضوا بالحكم على اثناسيوس ومنهم البابا لياريوس وأقام على كرسي الاسكندرية رجلاً عاتياً اسمه جاورجيوس وأبرز أمرا الى والي مصر كي يحجز عن القديس العلائف التي كان والده عينها لمبطريركخانة وان يدفعها للارويسيين الامر الذي لم يبال به القديس بل ظل مثابراً على اكمال شؤون وظيفته بهمة رفيعة ولكن تعقب ذلك مجيء قائد الى المدينة يدعى سيرينوس اشاع انه آت من طرف القيصر لطرده اثناسيوس فلم يزعه هذا الخبر وكان ذات يوم مختفلاً بصلاة الغروب مع شعبه فدخل القائد بجنده عليهم مجرّداً سيفه فأخذ القديس يتوسل

وهو واقف في كرسية في الخورس الى شعب ان يمضي كل واحد منهم الى بيته وأخذ الاكليروس يتوسلون اليه ان يهرب أما هو فكان يحجهم ان تفسي عندي ليست أعز من نفس أحد من الشعب فاني لا أهرب وأشهد رجلا منهم لكن لما رأوا ازدياد الخطر انزلوه جبراً من الكرسي وألزموه ان يهرب فاجتاز بطريقة عجيبة بين العسكر بدون ان يراه أحد منهم وأما الجند ففتكوا بالمؤمنين وقتلوا منهم خلقاً كثيراً فأرسلوا للملك يتشكون من الظلم الذي أوقعه بهم سيريانوس فبدلاً من ان يلجى الملك شكوى الشعب ويرثي لحالهم مدح ماعمل فلما نجا اثناسيوس من الموت ذهب الى بركة تيباياس وانفرد فيها متعبداً ومعاشراً للرهبان ومحارباً اياهم بالسيرة المقدسة وقد ألف في هذه الامكنة عدة رسائل فندبها تعليم اريوس فاستمر متعبداً عن كرسية خمس سنوات وحدث ان الاربوسيين اختلفوا فيما بينهم في المذهب فعقد القيصر مجمعاً في (سيرميون) قرر فيه قرار يوفق بين مذهب الارثوذكسين وأخصامهم بحذف لفظة (الجوهر) من القانون النيقاوي وأجبر ليباريوس ان يوقع عليه فعقد القويمو الرأي مجمعاً في (اجان) ثبتوا فيه الدستور النيقاوي وعقد اصحاب المذهب المتوسط مجمعاً في (انكيرا) ايدوا فيه دستور مجمع انطاكية وجمع سريميون واقعوا القيصر ان يعقد مجمعاً آخر في سريميون فاجتمع الى هذه المدينة الاساقفة وأيدوا قرار مجمع انكيرا واذ كان البابا قد سم من المنفى مدة ستين ونيف وكان يشغل مركزه في أثناء ابعاده عنه الاسقف فيلكس الاربوسي فغره حب الرئاسة والراحة أن يقبل قرار المجمع الاربوسي فأمضى عليه وهكذا رجع الى كرسية ساقطاً في المذهب الاربوسي واستمر يسوس كرسية بالاشتراك مع فيلكس الاربوسي الى الممات واما اثناسيوس فلم يرجع من منفاه الا بعد موت قسطنس وذلك حينما قام يوليانس على تخت المملكة واعطى الحرية لجميع الاساقفة ان يرجعوا من منافعهم فلما جاء الى كرسية وجد الدخيل ميتاً بالقتل فبدأ يستعيز ما خسرته كنيسته في مدة غيابه بادخاله اليها عبدة الاصنام واليهود يومياً الامر الذي لم يستطع ابليس مشاهدته بدون أن يلهب بالغضب او يرى نمو المسيحيين وارتفاع شأن الفضيلة بغير ان ينهض للمحاربة ضد من كان العلة في ذلك فحرك يوليانوس شريكه وتلميذه في العصيان مقنعاً اياه بأنه

لا يمكنه ان يتصرف على الايمان المسيحي الا اذا قوي على اثناسيوس المعزز جانبه فأبرز
 أمراً لحاكم مصر متضناً قتل اثناسيوس سرّاً فلما وقف هذا على أمر الملك بروح
 نبوي عزى بنيه مؤكداً لهم ان هذا الحادث نظير زوينة عابرة تباد بوقت وحيز ولما
 لحظ ان الجنود أزمعت ان تقبض عليه نزل بسرعة في مركب وسار في النيل قاصداً
 الهرب الى بلاد تيبايس أما الحاكم فلما شعر بهروبه أسرع بجنوده في مركب آخر
 وسار في أثره ولما كاد ان يدركه أمر اثناسيوس بالهام الهي النوتي ان يحول مركبه
 نحو الاسكندرية راجعاً ومتجهاً نحو الحاكم فلما تقابل المركبان معاً صرخ الحاكم على
 الذين في مركب القديس سائلاً اذا كانوا صادفوا في مسيرهم مركباً يقل اثناسيوس
 فأجابوه أي نعم ان اثناسيوس لم يكن بعيداً منه الا بمسافة وجيزة لانه قبل برهة كان
 ماراً بمركب فحو تيبايس فسار الحاكم مسرعاً مغتصباً ملاحى مركبه ان يقذفوا بسرعة
 ظاناً ان يدركه وأما مركب اثناسيوس فكان يسير بضد ذلك ولما بلغ المدينة خرج
 منه سرّاً واختفى في بيت حتى انقضت مدة الاضطهاد فلما تخلف يوبيانوس على سرير
 الملك أعطى الحرية للاساقفة وحرر لهذا القديس رسالة ملتمساً منه ان يرسل له رسالة
 تحوي تعليم الكنيسة القويم . فبعد ما تداول اثناسيوس مع أشهر أساقفته حرر له
 رسالة باسمه واسم أساقفته وأوضح له فيها أخص التعاليم الارثوذكسية وأرسلها للقيصر
 فقبلها هذا بمزيد الاحترام وانقد شوقاً لرؤيته فاستدعاه للحضور . لكن من كان يظن
 ان ملكاً كهذا عظيم الشأن قويم المعتقد محباً لاثناسيوس محبة شديدة يستطيع الحزب الاربوسي
 ان يقدموا شكوى له ضد البطريك أي نعم فان جساتهم لم تقاعد عن ذلك فانه لما حضر
 اثناسيوس الى انطاكية ربطوا مكيدة ودسوا الى الملك أمراً فلم يقبله منهم مصحداً أذنيه
 عن سماع كل دعوى قالوها في حقه فلما رجع الى كرسيه انتهز الفرصة فجال
 في أبرشيته مفقداً رعيته وآخر جهاد تجلّد على مضض هو الذي أنزله به فالنص قيصر
 الشرق الاربوسي وذلك انه أصدر أمراً الى جميع ولايه يأمرهم ان يطردوا جميع
 الاساقفة الذين سبق نفيهم بأمر قسطنس قيصر ورجعوا بسلاح يوليانوس الامبراطور .
 فبناء على هذا الامر رام والي اقليم مصر ان يطرد اثناسيوس من كرسيه . لكن لما
 شعر وجهاء الشعب والاعيان منهم تجمّعوا معاً وجاؤا الى والي محتجين عن أسقفهم

بأنه لا يصح ان يدخل بزمره هؤلاء لكونه رجع من منفاه ليس بأمر يوليانوس بل بأمر يوليانوس ولما لم يقتنع بهذا الدليل قاوموه بحجة مصرحين أنه يقتضي أن يبقى اثناسيوس في كرسية قالوا هذا واذا بشعب المدينة جاؤا بحركة من عجة لاحظ الوالي منهم أنه اذا أجبر اثناسيوس على السفر كانوا مستعدين لتجريد الاسلحة فعدل عن رأيه أما اثناسيوس فخرج وقتئذ من المدينة واختفى في قبر ابيه وكان ذلك بحريك الروح القدس لان الوالي بعد ما سكنت الضوضاء مشى بجنده الى الكنيسة الكاثدرائية مريداً أن يقبض على القديس فلم يجده فكتب حينئذ للملك قائلاً أنه لا يسكن شعب الشعب والقلقة منهم الا بوجود أسقفهم وقد أحيب طلبه فالتزم الملك أن يرسل حالاً اعلماً بأن اثناسيوس يبقى في كرسية آمناً فخرج حينئذ القديس من ذلك القبر بعد ما مكث فيه أربعة أشهر وجلس على كرسية مدبراً رعيته الى أن توفاه الله وذلك سنة ٣٦٤ م في اليوم السابع من بشنس وكانت مدة بطيريكته ٤٦ سنة وخمسة عشر يوماً

(٥) ومن مآثر هذا الاب الرسولي انه أدخل الدين المسيحي رسمياً في الحبشة وتفصيل ذلك ان رجلاً فيلسوفاً يدعى ميروبيوس من صور بعد ما طاف بممالك عديدة ومعه ابنا أخيه وهما فريمونات وايدوس ورغب ان يرجع الى وطنه ركب في سفينة وسار فلما وقفت على ميناء لتأخذ زاداً للركاب هجم عليها القرصان وقتلوا من فيها جميعاً ما عدا فريمونات وايدوس فانهما اختبيا تحت شجرة فلما وجدتهما اللصوص ورأواهما جميلين جداً لم يقتلوهما بل أخذوهما الى ملك تلك البلاد الذي كانت عاصمة مملكته يومئذ اكزيوم من بلاد الحبشة فأخذهما الملك ولما أوشك ان يموت أرخى لهما عنان الحرية وعتقهما جزاء تصرفهما الحسن وخدمتهما الجليلة فالزمتهم المملكة التي كان ولدها لم يبلغ اشدّه بعد ان يستمر في قصر زوجته ليساعداها في تدبير الملك وصارت من ثم اشغال المملكة والحل والربط فيها بيد هذين الفاضلين فاتهم هذه الفرصة اللائقة واهتما في اذاعة بشارة الانجيل في البلاد وسمحا للتجار النصارى ان يتجروا فيها بلا حرج ومنحاهما امتيازات وأمرهم ان يعلموا الاهالي الديانة المسيحية . ثم بلغ ولي العهد رشده فترك كل من ذينك الاخوين مركزه بعد ما قلده جيد الاهالي

أطواق الدين المسيحي فرجع ايدوس الى صور وارسم كاهناً وأما فريمونات فانطلق الى البابا اثناسيوس وأخبره بكل ما فعل وطلب اليه ان يرسل أسقفاً الى الحبشة فلم يجد القديس أكثر لياقة من فريمونات فرسمه وأرسله اليها وهكذا دخل الدين المسيحي الى تلك البلاد وتعين فيه مركز أسقفية تحت ملاحظة البطريرك الاسكندري وما زال كذلك الى الآن

البابا بطرس البطريرك الحادي والعشرون من سنة ٣٦٤ م — ٣٧٠ م

ثم تخلف عن القديس اثناسيوس في كرسي البطريركية أحد تلامذته المدعو بطرس فبعد ان سيم من مجمع الاساقفة المصريين واليبين القويمي الرأي شرع يقضي أثر معله في مكافحته للهراطقة وتطهير البلاد من زوان تعليمهم النفاقي وقد اضطهده رجلان متقدمان في الحكومة المصرية أحدهما يدعى لوكيوس والآخر داديانوس فظل يسى عند الملك حتى ظفر بهما وأبعدهما من المدينة ولم يستمر على كرسي الخبرة أكثر من خمس سنين وتسعة أشهر وثمانية عشر يوماً وتوفي في اليوم العشرين من شهر أمشير سنة ٣٧٠ م

البابا تيموثاوس البطريرك الثاني والعشرون سنة ٣٧٠ م — ٣٧٦ م

(١) رسامة هذا الاب بطريركا (٢) المجمع الثاني المسكوني (٣) مساواة الاساقفة في السلطة الكنيسية (٤) اختلاف الرتب

(١) فلما توفي الاب بطرس الثاني انتخب الشعب المسيحي وعموم الاساقفة أساقه القديس تيموثاوس ووضعوا عليه الايدي في شهر أمشير من سنة ٣٧٠ م ومن أمره انه كان أحد تلامذة القديس اثناسيوس المشارك له في كل ما قاساه من الاتعاب في ميدان محاماته عن التعليم القويم المقاوم للارويسين بكل همة وهذا الاب هو الذي كشف مكيدتهم في مجمع صور حين ادعوا على معلمه الرجل الرسولي باقتضاض بكورية عذراء

كما ذكرنا في وجه ٨٣ فبرر بحكمته معلمه من تلك التهمة وغطى وجوه المدعين عليه برداء الفضيحة والحجل

(٢) ولم تكن اتعاب هذا الاب بأقل من اتعاب معلمه فانه ماكاد يصدق ان حقل الكنيسة أو شك ان ينتقي من أشواك البدعة الاريسية بما أظهره أبأوها من الثبات وساعده به الملك تاودوسيوس الكبير بأمره السامي حتى نبتت في حقلها أشواك بدعة مكدونوس النصف اريوسي بطريك القسطنطينية الذي ذهب بفساد رأيه الى ان الروح القدس عمل الهي منتشر في الكون متميز عن الاب والابن فدعا الملك أساقفة المملكة الى مجمع مسكوني في العاصمة فلبى دعوته مئة وخمسون أسقفاً أشهرهم صاحب الترجمة وملاطيوس بطريك انطاكية وكيرلس الاورشليمي وغريغوريوس الثالوغس وغريغوريوس النيسي وكتاريوس أسقف القسطنطينية ولم يحضر في هذا المجمع نواب من قبل البابا ولم ترد منه رسالة نيابة عنه حسب عادة الاساقفة الغائبين ومع ذلك فقد وافق البابا وأساقفته على أعماله وكانوا ولم يزالوا يعترفون بأنه مجمع مسكوني . وقد انعقد هذا المجمع ضد جملة بدع منها بدعة مكدونوس فأثبت الاعضاء أزية الروح القدس ومساواته للاب والابن وعدم مخلوقيته بقرار أضيف الى الدستور التيفاوي وصار كما هو عندنا اليوم وكان الرئيس أولاً في هذا المجمع ملاطيوس بطريك انطاكية فلما توفي قبل انحلاله تولى الرئاسة عليه غريغوريوس الثالوغس الذي ارتقى الى كائذوا بطريكية القسطنطينية قبل ذلك بزمان قليل فقاوم صاحب الترجمة وأساقفة مصر رسامته ورئاسته معاً وعزلوه من كليهما وأقاموا بدله نكتاريوس وجعلوه رئيساً للمجمع أيضاً فارتضى غريغوريوس الثالوغس بذلك وتنازل عن كرسيه لنكتاريوس الذي كان صديقاً له للغاية

ومن تلك البدع التي اجتمع المجمع بسببها هرطقة أبوليناريوس أسقف اللاذقية ابن أبوليناريوس الاسكندري ومن أمره انه كان شديد المناظرة في اثبات لاهوت المسيح لكن لما كانت مقاوئته للحزب الاريسوي بجهل وعدم تفضل هو ساقطاً في قعر الهرطقة اذ انكر من ناسوت المسيح نفسه البشرية واعتقد ان اللاهوت مارس وظيفة النفس العاقلة واستنتج من ذلك ان اللاهوت امتزج بالناسوت واحتمل معه الآلام

والصلب والموت . وجعل تفاوتاً بين الثلاثة أقانيم فقال ان الروح عظيم والابن أعظم منه والاب أعظم من كليهما فحرم المجمع هذا التعليم وحكم على ذويه بالهرطقة

(٣) وقد سن المجمع سبعة قوانين تتعلق بنظام الكنيسة وسياستها وهالك نص القانون الثاني (لا يتعدى الاساقفة الذين خارج ادارتهم على الكنائس التي خارج حدودهم ولا يشوش الكنائس . بل وفقاً للقانون لاسقف اسكندرية ان يسوس أمور مصر فقط . ولاساقفة الشرق فقط مع المحافظة على التقدم الذي في قوانين نيقية لكنيسة الانطاكيين . ولاساقفة ولاية آسيا ان يسوسوا أمور آسيا فقط . وللذين في البنطس أمور البنطس فقط . وللذين في ثراكي أمور ثراكي فقط . فلا يتعدى أساقفة خارج ولايتهم لاقامة شرطونيات أو معاطاة أمور أخرى كنائسية من دون ان يدعوا . والمحافظة على القانون السابق تدوينه في الادارات تقتضي صريحاً ان يسوس أحوال كل أبرشية مجمع الابرشية كما هو محدد في نيقية . وأما كنائس الله التي بين الامم البربرية (يعني خارج المملكة) فيجب ان تناس حسب عادة الآباء المرعية) . وهالك القانون الثالث (أما أسقف القسطنطينية فليكن له التقدم في الكرامة بعد أسقف رومية لكونها (أي القسطنطينية) رومية جديدة)

وهذان القانونان يدحضان دعوى الباباوين بالرئاسة للبابا الروماني على غيره من أساقفة العالم المسيحي فانه منع بالاول تعدي أي أسقف كان على حقوق غيره وحكم بأن الامور الكنائسية المشاعة ينظر فيها مجمع الاساقفة استناداً على قوانين مجمع نيقياً لا أسقف رومية كما يدعى الباباويون وأحوال هذا المجمع وكيفية انعقاده واقرار الكاتوليك في كل زمان على أحكامه ينفي كل دعوى بالرئاسة لهم فانه انعقد بأمر الملك لا بأمر البابا واستمر سنتين والاباء الذين اجتمعوا فيه جميعهم شرقيون لم يحضر بينهم أحد من قبله مطلقاً ولم تقرأ في المجمع رسالة منه حسب عادة الاساقفة الغائبين ومع ذلك فلم يعارض البابا في انعقاده ولا في أحكامه . وأما بالقانون الثاني فقد جاء جهينة الحق يدحض قول كل مكابر معاند ويوضح الحقيقة لكل ذي عينين فانه منع المجمع به للبطريرك القسطنطيني ما للبابا الروماني من الكرامة لداعي مساواة مركز الاول بمركز الثاني وتسميته ذاك باسم هذا وهو (رومية) وهذا يدل دلالة واضحة ان

أسباب تقدم الاساقفة بعضهم على بعض انما هي امتيازات المراكز العالمية فقط وهي حق يقبل التعديل والتبديل لا حق الهي كإيدي الكاتوليك فان الاساقفة هم متساوون بالرتبة الاسقفية ويمتاز أحدهم عن الآخر نظراً لاهمية مركزه المدني فقط واليك بيان ذلك

(٤) انه في بدى انتشار الدين المسيحي عين الرسل لكل مدينة أو لكل كنيسة كبيرة أسقفاً ولما امتد الايمان الى القرى والمزارع المجاورة المدن كان المؤمنون فيها يحضرون الى كنيسة المدينة التي يتبعونها ويصلون فيها واستمر الحال على هذا المنوال الى ان كثر المؤمنون في تلك القرى والمزارع ولم يبق في امكانهم ان يحضروا الى كنائس المدن تعين على كل كنيسة مدينة ان تقيم كنائس أخرى في القرى المجاورة لها تحت ولاية ورعاية أسقفها وصار مركز كنيسة كل مدينة بالقياس الى تلك الكنائس المجاورة مركز أم والكنائس المتجددة مركز بنات لها وكذلك صار مركز ذلك الاسقف مركز والد روجي بين أولاده بالرب غير ان وجود الاسقف في جميع الكنائس صار غير ممكن على توالي الزمن وقيامه بواجبات كل منها أمراً شاقاً فاضطر من ثم ان يقيم أساقفة آخرين في القرى معينين له وتحت مناظرته دعيوا (خور بيسكوبي) أي أساقفة القرى فتألفت من ذلك علاقة تابعة بين الاساقفة وعلاقة امتياز أحدهم وهو أسقف كنيسة المدينة على الآخرين وهم أساقفة القرى وهذا الامتياز كان قاصراً على الامور الادارية لا دخل له في الرتبة الاسقفية نفسها كأن رتبة أولئك الاساقفة ناقصة عن رتبة الرئيس فيهم حاشا فانهم كانوا متساوين معه فيها ولم يمتاز عنهم بشيء ما خلا في الادارة التي كان يقتضيها مركز كنيسته وقد دعت مدينة الاسقف الاول (ميتروبوليس) وهي كلمة يونانية معناها المدينة الام لانها ولدت بنات لها بالايمان ودعي أسقفها (ميتروليئاً) أي مطراناً لانه أسقف المدينة الام

ولم تنحصر العلاقات الكنائسية بين أساقفة المدن وأساقفة القرى بل استدعت ظروف كثيرة ان تكون هذه العلاقات بين أساقفة المدن وبعضهم وذلك أما بكتابة بعضهم الى الأخر أو باجتماعهم معاً ومذاكراتهم الشخصية عن أمور ايمانية وقضايا

كنائسية أو أخذ آراء من نحو صالح المسيحيين وخير الايمان ونجاحه فكانت الطبيعة نقضي ان يتقدم في هذه الاجتماعات واحد في جميعهم أو بعضهم على بعض لان المدن التي يراسونها ويسوسون كنائسها كانت غير متساوية من حيث الاهمية المدنية فان كان المجمع مؤلفاً من أسقف المدينة وأساقفة قراها كان يتقدم فيه أسقف المدينة وان كان منعقداً من أساقفة مدن كثيرة كان يتقدم فيه أسقف المدينة الأكثر شهرة كأسقف قسبة المملكة أو الامارة أو الولاية ويوجد داع آخر قضى على المؤمنين ان يوجهوا انظارهم الى بعض المراكز الاسقفية أكثر من غيرها وان يجعلوا لاساقفتها امتيازات على غيرهم وهو المراكز التي كان يشغلها بعض الرسل واتصلت الى الاساقفة بسلسلة الخلافة فدعيت الكرسي الرسولية والمشهور منها ككرسي أورشليم وانطاكية وكورنثوس وأفسس ورومية واسكندرية فكان هذان الداعيان قاضيان بأن يكون لبعض الاساقفة امتيازات على الآخرين غير ان بعض مراكز هذه الكرسي فقد أهميته فان المركز كان اذا فقد أهميته المدنية يفقد أهميته الكنائسية أيضاً ولا يبقى له امتياز على غيره فان كرسي أورشليم فقد منذ القديم أهميته الادارية بسبب ما طرأ على المدينة من الانقلاب والاضمحلال وجرى مثل ذلك بكرسي أفسس حين تعينت مدينة البزنطية قسبة الحكومة الرومانية وبالعكس ذلك صار كرسي انطاكية مركز الدين المسيحي للشرق كله وكرسي الاسكندرية بقي متمتعاً بحقوقه منذ العصر الرسولي الى ان حاول ملاطيوس الاسيوطي ان يسلب شيئاً من حقوقه وصار يقيم شرطونيات بدون رضى البطريك الاسكندري ومعلوميته فرد المجمع الاول المسكوني في قانونه السادس امتيازاه وأقر على حقوقه وجعلها مرعية في دائرة السكرازة المرقسية وأبرشيات أساقفتها كما ان حقوق بطارقة رومسية وانطاكية وأورشليم مرعية في كراسيهم . وأما كرسي رومية فكان في العصر الاولى أكثر اهمية من كرسي الاساقفة في البلاد الغربية لان رومية كانت عاصمة المملكة وقتئذ والمركز الوحيد الرسولي في الغرب واستمر على هذه الاهمية الى ان انعقد المجمع الثاني المسكوني في مدينة القسطنطينية عاصمة المملكة يومئذ فساوى بطريكها ببطريك رومية ودعا المدينة رومية الجديدة اعترافاً بمساواة الواحدة بالآخرى كما تقدم ذكر ذلك

البابا تاوفيلس البطريك الثالث والعشرون سنة ٣٧٦ م — ٤٠٤ م

- (١) مآثر هذا الاب في عمارة الكنائس (٢) محاولة الرهيان الهرطقة
اقتله ونجاة منهم (٣) مقاومته للمغربين عطالة مؤلفات أوريجانوس

وحدث انه لما توفي البابا تيموثاوس في اليوم السادس والعشرين من أيب سنة ٣٧٦ م خلفه البابا تاوفيلس في شهر مسرى من تلك السنة وكان يومئذ الجالس على تخت المملكة تاودوسيوس الكبير الذي كانت أمياله بجملتها منصبة نحو صالح المسيحيين وتقوية شأنهم وتعزيز دينهم وتنقية الكنيسة من زوان الهرطقات سيما هرطقة اريوس فانه أصدر أمراً ملوكياً بأن يعتقد سائر المسيحيين اعتقاد بطريكي رومية والاسكندرية وكان مؤمنو الديار المصرية قد كثر عددهم وقل عدد عبدة الاصنام ونجم عن ذلك ازدحام شديد في الكنائس اثناء احتفالات المسيحيين في أعيادهم فعزم الاب تاوفيلس بمشورة أعيان الشعب ان يقلب هيئة هياكل الاصنام المهجورة والمعابد الوثنية المتروكة ويجعلها معابد للمسيحيين فلما تعرض لاختها قاومته الحكومة فاضطر من ثم ان يخبر تاودوسيوس الملك بذلك ويطلب اليه ان يصدر له أمراً بأن يستولى على تلك الاماكن ويتصرف فيها كما يريد ويتهدد من يتصدى له وينعه من الوثنيين بالمقاب فأجاب الملك طلبه وأمر والي الاسكندرية بأن يسلمه المعابد الموماليها وان يتصرف فيها بلا حرج فلما بلغ أمر الملك الى الاسكندرية أعلن الوالي الاب تاوفيلس بذلك فبدأ من ثم يصلح تلك الهياكل الوثنية ويجعلها كنائس للمسيحيين على ان هذا المشروع لم يتم بدون ان يحصل بسببه اضطرابات وقلاقل فان قوما من رعاع الناس كانوا لا يزالون متمسكين بخرافات الوثنيين فأحدثوا عند ذلك هيجاناً وقلاقل وقتلوا بعضاً من المؤمنين خصوصاً عند ما جاء هؤلاء يستولون على هيكل سيرايس الذي كان على جانب عظيم من القوة والمتانة والاتساع والطول

لانه كان مبنياً على قمة تل يصعد اليه بسلم يبلغ مائة درجة وكانت حجارتة من الرخام والمرمر وحيطانه من داخل مغطاة بالنحاس والفضة والذهب وكان فيه صنم كبير جداً يدها ممتدتان من الحائط الواحد الى الآخر وهو مصنوع من الخشب ومنعطى من المعادن ومطعم بحجارة كريمة وكان اسود اللون لانه قديم فينما ذات يوم كان المسيحيون ينقلون الاصنام التي كانت في الهياكل ويمرون بها في الاسواق والشوارع هاج عليهم رعاا المدينة والسوقة وهجموا عليهم فأتحنوا بعضاً وقتلوا بعضاً ثم هربوا ودخلوا ذلك الهيكل وحاصروا فيه وكانوا كلما شاهدوا مسيحياً قريباً منهم قبضوا عليه وجذبوه عندهم وقتلوه فلما سمع الامبراطور بذلك أصدر أمراً بالغفو عنهم وبهتد باقي الهياكل حتى لا يبقى سبب للنزاع فلما سمع المسيحيون هذا الامر فرحوا وذهبوا الى الهيكل ودخلوه بقصد تحطيم ذلك الصنم فلما دنوا منه خاف بعضهم اذ كانوا لا يزالون مصدقين بمخرافات اجدادهم ووقفوا جامدين ظانين انه اذا كسر هذا الصنم يخرب العالم ولكن تقدم جندي ويده فأس وصعد الى أعلى الصنم فضربه وكسر فكاه فخرج للوقت منه جملة فيران كانت معششة داخل فيه وحينئذ تقدم الآخرون وكلوا عليه وأحرقوه وذروا رماده في الريح فاستصلح هذا الهيكل وجعل كنيسة . وقد ابنتى الاب تاوفيلس في الثغر الاسكندري خلاف ذلك كنيسة جديدة واسعة جداً على اسم يوحنا المعمدان واليشع النبي وانشأ لارهبان دير المحرق في الصعيد بمديرية أسيوط على اسم العذراء مريم وقيل ان الذي ساعده على هذه المشروعات الجسيمة هو انه وجد في الاسكندرية كنزاً تحت كوم من التربة

(٢) ولم تخل حياة هذا الاب من القلاقل والبلبات فان بدعة انتشرت بين رهبان الاسقيط كان رأسها افوديوس من بين النهرين محصلها ان الله ذو صورة بشرية وذو اعضاء جسمية فقتله كثيرون وساعدوا انتشار تعليمه سيما بين رهبان الاسقيط فلما شعر البعض من هؤلاء ان تاوفيلس يخالفهم في الاعتقاد نزلوا من صومعاتهم وجاءوا الى الاسكندرية وعزموا ان يفتكوا بالبطريرك عند أول مايقع نظرهم عليه فلما رآهم القديس ووجد ان قلوبهم قد استوعبت من الغيظ أسرع الى مرتفع من الارض وصعد عليه وخطبهم بعبارات الترحاب والتلطف ومما قال لهم انه نظرهم كمن ينظرونه

الله فأسكتت هذه العبارة الملتبسة اضطرابهم وازالت من قلوبهم الغيظ وظنوا ان البطريك يرناي رأيهم ويقول بقولهم

(٣) كانوا الارويسيون يقتبسون عبارات من مؤلفات أوريجانوس ويستندون عليها فكره القويمو الرأي هذه المؤلفات ومنعوا قراءتها فحدث بسبب ذلك انشقاق في الكنيسة سيما بين رهبان مصر فبعضهم كانوا يحرمون المطالعة في هذه الكتب وهم رهبان الاسقيط والبعض الآخر كانوا متولعين بها وهم رهبان جبل نيتريا (الفرم) وكان في البطريكخانة جماعة من الفريق الاخير فجاءت سفارة من الفريق الاول الى البطريك وألحت عليه ان يحرم أوريجانوس ويحرم من يقرأ كتبه ففعل ذلك بخلاف ما كان يؤمل الرهبان الساكنون عنده ان يفعله فسخطوا عليه وأحدثوا سجساً فاستعان عليهم بالقوة وطردهم من عنده فالتجأوا الى رهبنة نيتريا وتحزبوا معهم وأرسلوا وفداً الى ديوسقوروس أسقف ارموبوليس وقرفوا الاب تاوفيلس بالعيشة الرخوة فقبل شكواهم وتحزب معهم أما البطريك فأرسل الى رهبان الاسقيط يأمرهم ان يتجنبوا أولئك الرهبان وقطع الاسقف من شركته فتجمهر الثائرون معاً وانطلقوا الى القسطنطينية واشتكوا تاوفيلس ليوحنا فم الذهب الذي كان مولعاً بقراءة تلك التصانيف نظيرهم فقبلهم على الرحب وكتب رسالة لتاوفيلوس يسترضيه عنهم ولكن الرهبان ما اقنعوا بذلك بل انهم استغاثوا بأفدوكسيا الملكة وتوسطوا بها عند اركادوس ليأمر بمحاكمة تاوفيلوس امام مجمع يكون رئيسه يوحنا فلما شمر البطريك الاسكندري بهذه الحركة الغير المنتظرة نسب تهميكها الى يوحنا وكتب الى ابيفانيوس أسقف قبرص الشديد الكراهة لاوريجانوس ومصنفاته وادعى على يوحنا بأنه من أنصار ذلك الهرطوقي فجمع مجمعاً في قبرص وحرّم مؤلفاته وحرّم من يقرأ فيها ثم توجه الى القسطنطينية بايعاز تاوفيلس الذي كان سبقه اليها وعقد معه مجمعاً على يوحنا بمساعدة الملكة التي كانت وقتئذ العسيرة الالدة له بسبب تقيده لها على ما تأتية من الامور المنكرة ودعوه ليحضر أربع مرات فأبى وطلب ان ينظر في أمره مجمع مسكوني فقطعوه بدعوى انه خائن المملكة وأمر الملك بنفيه ففني

ترجمة مؤسسي الرهبنة في مصر

(١) القديس أنطونيوس (٢) القديس مكاريوس (٣) القديس

باخوميوس

(١) أن القديس أنطونيوس هو نبراس الكنيسة في هذا العصر بأقواله وقدرته الصالحة فإنه اتبع طريقاً تؤدي إلى الملكوت بسهولة وجعل ذاته انموذجاً للعالم في كل زمان . ومن أمره أنه ولد نحو منتصف القرن الثالث في قرية تدعى كوما (قن) ورعى بين أيدي والدين غريقيين في الحسب والنسب وغنيين جداً فنشأ من صغره على الآداب واغتذى من والديه إبان الصفات الحميدة مجتنباً عشرة الشبان المؤذية فلما بلغ العشرين سنة من عمره توفي والده فأعرج هو وأخت له يتيمةين والتزم أن يعتني بتدبير بيته ويدير حركة أرزاقه ويستقل أملاكه بذاته وحدث أنه بينما كان سائراً ذات يوم إلى الكنيسة أخذ يفكر في حال الرسل الذين تركوا كل شيء وتبعوا يسوع وكيف كان من يؤمن على أيديهم يبيع أملاكه ويضعه تحت أقدامهم لإعانة الفقراء وذوي الفاقة وفي حال دخوله الكنيسة سمع بتدبير الهي الإنجيل يقرأ قائلاً (ان شئت ان تكون كاملاً فامض وبع كل ما لك واعطه للمساكين فيكون لك كنزاً في السموات) فحمل هذا الكلام على نفسه وان المسح يخاطبه به فأخذ من ثم شقيقه ووضعها في المكان الذي كانت العذارى تعيش فيه بالقداسة والعبادة لله وباع كل أملاكه ووزع ثمنها على الفقراء وشرع يعيش من تعب يديه ويردع أمياله الجسدية ويقمع جسده ويحجب في أكله وشربه ولباسه كل ما يخالف واجب طريق الكمال المسيحي ويقتدي بأولئك الذين كانوا يجتنبون على نوع ما خلطة العالم ويسكنون بأماكن تبعد قليلاً من القرى والمدن فكان يطوف أنطونيوس نهاره أجمع بعد عمل يديه في تلك الأماكن مرتشداً من ذوي الكمال إلى الطريق المسيحي

مضيفاً الى ذلك الصوم والصلاة والامانة فلما لم يطق ابليس أن يشاهد في شاب صغير تلك المحبة المضطربة طفق يحاربه بأنواع كثيرة من التجارب فكان تارة يورد على باله سعة الغنى الذي بدده بدون أن يبقى شيئاً منه لنفسه سيما أخذه الصغيرة العديمة الحيل وأخرى صعوبة الطريق التي اعتمد أن يجتاز فيها هذا في النهار واما في الليل فكان يقابله بتجارب تضاد العفة مستحضراً له صوراً مختلفة واشباحاً متنوعة أما هو فكان ينتصر على هذه الحروب بما كان اعتاد عليه من رياضة البدن ونزاهة النفس أكثراً من التوسلات والهديذ بقراءة الكتب المقدسة مقضياً نهاره أجمع صائماً فانه كان يأكل كل ٢٤ ساعة دفعة الخبز مع قليل الملح ويشرب الماء لا غير وكان يرقد على حصير وينام على الحضيض ويلبس ثوب مسح ورداء من جلد الشاة فوقه وكان كلما يزداد تقشعاً يزداد ابليس امتحاناً له وذلك أنه بعد ما قضى مدة على هذه الحال دخل في طريق أضييق منها اذ انفرّد في قبر وحبس ذاته فيه فجاء ابليس ظاهراً وشرع يضربه ويخيفه فوثب عليه ليلة ما وجده بقساوة حتى القاه على الأرض طريحاً نظير الميت فلما جاء صديقه ووجده على تلك الحال غائباً عن الصواب حمله وأتى به الى كنيسة البلد حيث اجتمع حوله شعب تلك البلد وجلسوا ينتظرون عاقبة أمره فاستمر على تلك الحال حتى الليل فاستفاق ورجع الى ذاته ولما نظر حوله جملة من الناس وهم غارقون في سنة النوم سوى صديقه توسل اليه أن يحمله بلطافة من غير أن يحس به أحد وأن يرجعه الى حيث كان فأخذه ورجع به الى ذلك القبر وتركه فأخذ القديس يصلي وهو متكئ وعند ختام صلاته صرخ بأعلى صوته قائلاً هوذا أنا ههنا ان الطونيبوس لا يخاف من الشر الذي صنعت به يا ابليس فان كنت تقدر أن تصنع معي ما هو أشد شناعة مما صنعت اضعافاً لا يمكنك أن تفعلني عن محبة سيدي ثم أخذ يرتل بكلمات داود قائلاً اذا اصطف عليّ عسكر فلا يخاف قلبي وان قام عليّ قتال فانا به واثق قال هذا واذا بابليس تجند بمجهور كبير وأتى بضجة وضوضاء وحركة مزعجة داخل القبر بصور وحوش وحيات وعقارب وكل منها يزأر ويصرخ بخاصة شكله ويهم هاجماً عليه ليزقه أما هو فلعله أنه في يد الله وان ابليس لا يستطيع أن يضره الا بسماع منه تعالى أخذ يزدري بابليس وجنوده قائلاً (انه لو كان لواحد منكم

اقدار لكان يكفي لمحاربي ولكن حيث ان الله سلب منكم كل قدرة فلهذا تختالون ان تخيفوني بكثرتكم ودليل كونكم ضعاء هو انكم بلغت الى ان تشكلتم بصور الحيوانات الفاقدة النطق فان كنتم على جانب من القوة وتقدرون ان تأذوني فلماذا تتأخرون وتغضبون سدى وان كنتم فاقدى القدرة فلماذا تتعبون باطلاً فاعلموا انه قد يكفي لانكاركم علامة الصليب التي هي لي بمنزلة ترس) قال هذا واذا بضوء ساطع أضاء حوله فتبددت جميع حيل ابليس وعوفي للوقت من جميع جراحه ولما بلغ من العمر ٣٥ سنة اجتاز بحر النيل شرقاً وتوغل في البرية فوجد برجاً قديماً تسكنه الحيات والافاعي فلما سكن فيه هربت منه وكان أوصى صديقاً له ان يأتيه كل سنة أشهر بما يكفيه تلك المدة من القوت وبعد ما جرت له حروب كثيرة من عدو الخير أراد الله ان يظهر فضل قداسه للعالم وان يجعله انموذجاً للناس جميعاً فأتاحه موهبة الشفاء واخراج الشياطين وارشاد الانفس ولما بدأ الناس يثقاطرون اليه من كل مكان ويصطفون حول ذلك البرج مستخدمين المعونة الروحية والمادية منه كان يخرج اليهم كبدر مشرق على أماكن معتمة وينيل كلاً منهم بغيته ثم رغب كثيرون ان يتخلوا بسيرته فأجاب طابهم والتزم من ثم ان يقيم لهم محلات كثيرة وان يبني قلايات وأديرة فاسكنهم فيها ووضع لهم قانوناً ليسيروا بموجبه وكان لا يفتر من وعظهم سواء كان بعيداً أو قريباً منهم منفرداً عنهم أو مجتمعا معهم

ولم يكتف بهذه الفضيلة التي لم يسبقه أحد اليها بل قد انقد بنار الرغبة لقبول اكليل الشهادة حين أسمر الملك مكسينوس نار الاضطهاد في الثغر الاسكندري فذهب اليها مع بعض رهبانه وأخذوا يشجعون المؤمنين المسجونين ويقوون عزيم المستقلين منهم في حفر المعادن ويصبرون من يحكم عليه بالعذاب ولما شعر الوالي بهؤلاء الرهبان طردهم من المدينة فسار جميعهم ما عدا انطونيوس فانه ما برح يباشر ذلك العمل بدون رهبة والاغرب من ذلك انه ذهب ذات مرة الى شارع كان الوالي مزمعاً ان يمر فيه وصعد الى مرتفع كي يراه الوالي عند مروره فرآه ولكن لم يفعل به أدنى لان العناية حفظته خير أولاده واستقر في الاسكندرية الى ان انقضى زمان الاضطهاد وعاد الى ديريه وشرع يسوس رهبانه ويدبرهم . وكان صيته ذاع في كل

مكان من المسكونة وبلغت شهرة قداسته الى بيوت الملوك والامراء وبدأت ترد اليه الرسائل فترى من العظماء يلتسمون منه جواباً مكتوباً بيده ومنهم قسطنطين الكبير فانه حرر له رسالة فانذهل الرهبان من ذلك وفرحوا بما بلغ اليه معلمهم من الشرف فقال لهم القديس لا تنذهلوا من ان الملك يححرر لي رسالة اذ ليس هو سوى انسان قابل الموت بل انذهلوا من ان الله حرر للبشر شريعته وبأكثر من ذلك انه تعالى خاطبهم بواسطة ابنه الوحيد . وبعض الفلاسفة لما سمعوا بصيته قصدوه وجاؤا اليه من بلاد بعيدة لكن لما شاهدوه انساناً مجرداً من معرفة علومهم احتسبوا أنفسهم مغرورين فسأهم قائلاً . اخبروني هل جودة العقل وجدت قبل العلوم أو العلوم قبل جودة العقل وهل التفهم وحسن المعرفة يتلدان من العلوم أو هذه من ذنبت فأجابوه أن العلوم تلد من المعرفة الحسنة ومن جودة العقل فقال لهم فإذا من كان ذا معرفة حسنة وجودة عقل ليست العلوم الطبيعية بضرورية له فحجلوا من هذا الجواب السديد

وأثناء آخرون معترضين ضد الديانة المسيحية ففند اعتراضاتهم وأوضح لهم الحقيقة وأثباتاً لادله أخرج الشياطين من رجلين كانا معترين بهم وذلك بمجرد استغاثته باسم المسيح ورسم الصليب ثم اقترح على المعارضين أن يفعلوا نظيره باستدعاء أسماء آلهتهم فحجلوا . وقد عاش من العمر ١٠٥ سنين ومات حينما كانت البرية ممتلئة من ثمار فلاحته الروحية .

(٢) وينبغي أن نحسب القديس مكاريوس درجة ثانية من واضعي أساس الرهبنة بعد انطونيوس لانه بينما كان هذا يبسط أنوار فضائله في سفحات الجبل الشرقي من الاقليم المصري كان ذاك عموداً مضيئاً لرهباته في الجبل الغربي وهاك تفصيل ترجمته أنه قد ولد في مبادي الحيل الرابع ولما صار في سن البلوغ ظهرت به أمارات الفضيلة فانه سعى في تحصيل المناقب الحميدة منذ صغره واعتماد على محبة النسك والوحدة ثم انفرد في خص وبدأ يباشر أفعال النقشف فلما شعر به أسقف تلك الجهة ورآى فيه علامات النجاة والتقوى والوداعة كرسه شماساً لخدمة الكنيسة لكن لما لم ير مكاريوس ذلك مناسباً لمشروعه الاول هرب الى مكان بعيد وتمسك

بسيرته الاولى وكان يشتغل السلال بيده ويمطيا لصديق يبيعها ويأتيه بما يقوم بقوته
ففسده ابليس واطفى عاهرة فأتهمت به بفعل الزنى فقال من قبل ذلك اهانة كبرى
فانه لما اتهم بارتكاب هذا الاثم جذب الى البلد بقساوة وجلد وهزيء به في شوارعها
ثم حكم عليه أن يقوم بمعاشها مدة حبسها فرضخ لهذا الحكم طائعاً وأخذ يشتغل نهاراً
وليلاً للحصول على قوته وقوت النبي وكان يخاطب ذاته عند ما يستحوذ عليه الكسل
قائلاً (كد يا مكاري لانه قد صارت لك امرأة) فلما فاجأ المرأة الطلق
تعسرت في الولادة وأخذت تكابد المشاق فشعرت بذنبها واعترفت ببراءة ساحرة
القديس مما ادعت به عليه باطلاً . فأما الذين ازدروا به وأهانوه فلما علموا ببراءته
مما اتهم به دانوا أنفسهم وندموا وخرجوا يستغفرون منه فلما شعر بذلك فر منهم
هارباً وذهب الى الصحراء فسكن فيها وكان وقتئذ قد ناهز الثلاثين سنة

ولما شاع صيت فضائله في العالم هرع اليه جم غفير وتكدوا له فانشأ لهم ديراً لا
يزال الى الآن قائماً وهو (دير برموس) ثم انتقل الى مكان آخر قريباً وبني ديراً آخر
وهو (دير أبو مقار) ولما بلغ الاربعين سنة ألزم ان يرسم كاهناً لخدمة الاسرار الربية
وتوزيعها على أولئك السواح العائشين تحت تديره وكان صرات كثيرة يحتطف عقابه
وهو يقدم الاسرار وكان يحب الصمت أكثر من الكلام والانفراد أكثر
من الالتئام ويفضل السيرة النكية على العيشة الرخوة بفضة وتقل . ذكر عنه
انه وافاه يوماً ما أحد رهبانه وقت الظهر وقد احترق بلهب العطش فالتمس منه اذنأ كي
يتناول قليلاً من الماء فأجابه القديس قائلاً (اكتب الآن بان تستريح تحت ظل هذه
الشجرة واعتبر أنه يوجد كثيرون من البشر في هذه الساعة يسيرون برأ وغيرهم بجرأ
من دون أن يحصلوا على هذا النقي الذي أنت فيه) ثم أردف خطابه محرضاً اياه على
التقشف قائلاً (تشجع يا ولدي فاني قد أجزت مدة ٢٠ سنة من غير ان أصنع ما تطلبه
مني أميالي الطبيعية لا في الاكل ولا في الشرب ولا في النوم لاني ما كنت آكل سوى
كمية جزئية موزونة من الخبز ولم أشرب الا عياراً صغيراً من الماء وأما نومي فكان
برهات وحيزة وذلك باسناد رأسي على الحائط حيناً لم يكن في جلد على فتح عيني
ان الله كي يوارى فضيلة صفيه تحت غطاء التواضع ومحقرة الذات قد كشف له

مثالاً وأوضح به بأنه لم يبلغه بعد وذلك ان القديس بينما كان يصلي يوماً ما سمع صوتاً يقول له (انك لم تباع بعد يا مكاريوس الى السكك الذي بلغت اليه امرأتان عائستان معاً في بيت واحد في الاسكندرية وقد يمكنك ان تشاهد ذلك عياناً) فلما سمع الاب هذا الاعلان الالهي لم يعط لذاته تراخياً بل اتقد بنار الرغبة لرؤية ذلك وقام لوقته وذهب الى المدينة ولما استدبل على بيت تينك المرأتين قرع بابهما ففتحت له احداهما فاستدعاهما وخاطبهما قائلاً (اني من أجلكما قد عانيت هذا السفر المتعب من البرية الى هنا تافهاً ان أعلم ماذا تضمان وما هي حال عيشتكما) فقالتا له هل يمكنك ان تجد صلاحاً في امرأتين عائستين في لذة ونعيم مع رجلينهما فألح عليهما بأنه ضروري ان يفشيا له سرهما فقالتا له (اننا قد اقترنا بسر الزواج مع أخوين ولنا لغاية الآن ١٥ سنة بدون ان يخرج من فم احدا منا طول تلك المدة كلمة تنكي الاخرى ومن غير ان يحدث بيننا تضاد مطلقاً ولم نميز بين أولادنا بل كل منا يهتم بما يرضي خاطر أولاد الاخرى وقد كننا اتفقنا ألا نخرج من فم احدا منا كلمة مغضبة الى حد موتنا) فلما سمع القديس هذا الخطاب قال حقاً ان الله يمنع المتزوج كما يمنع الراهب ولا ينظر لسوى الضمائر السليمة . ان حياة هذا القديس لم تسلم من الاحزان سيما من الاضطهاد الذي كان سببه شيعة اريوس فان الملك (فالنص) لما أصدر أمراً بطرد رؤساء المعتقد القويم من أماكنتهم أمر بطرد مكاريوس وسميه مكاريوس الاسكندري ورهبان كثيرين فقفوا الى جزيرة من اقليم مصر لم يكن فيها من يعرف المسيح ولما دخلوا فيها اتقنوا ابنة كاهن الاصنام من الشياطين الذين كانوا بها فكان دخول كافة سكان تلك الجزيرة في ايمان المسيح بسبب هذه العجوبة أما الشعب الاسكندري فأجبروا البطريك الدخيل على أن يرجع مكاريوس الكبير ومن معه من النفي فرجعهم الى أماكنتهم وعاد القديس الى تدبير أولاده مشابراً على فعل الفضيلة حتى توفي بسن ٩٠ سنة

(٣) أن الطريق التي سار فيها الانبا انطونيوس وجعلها فريضة لرهبانه من بعده وهي أن يحصل كل واحد منهم قوته بتعب يديه كانت عسيرة وشاقة وغير كافلة بحفظ الرهبانية ودوامها في عالم الوجود والفضل للانبا باخوميوس صاحب الشركة الذي بارشاد الروح القدس اتخذ طريقة سهلة قدر الناس أن يعتنقوا الرهبنة ويتظاهروا

في سلكها في كل زمان وهي انه وضع كل قيسة الرهبان ومحصل تعب أيديهم في مجمع واحد تحت سلطة أحدهم وتديبره وجعلهم يعيشون عيشة روكية ودعا ذلك أيكونونيا (شركة) وكما فرض لهم هذا القانون من أجل الحيوية الجسدية فرض عليهم قانوناً آخر من أجل - يوتهم الروحية فأمرهم ان يؤدوا فرائض الصلوة بأجهم في مكان واحد وفي أوقات معلومة من الليل والنهار ومنح الحرية لكل منهم ان يصوم خلاف الاصوام المفروضة على المؤمنين بقدر طاقته ومن وافرحكمته وغزير فظنته السامية انه تصرف مع الحديثين والرهبان الصغيري السن والمستجدين بالرفق واللين ومنحهم الحرية التامة من نحو الاكل والشرب علماً ان طريق الكمال لا يصل اليه الانسان الا بالتدريج ومما وقفنا عليه من هذا القليل انه عزم دفعة ما ان يذهب ليفتقد الاخوة في أمكنة أخرى فاستدعى الطباخ وأمره ان يترفق بالاحداث وان يصلح لهم طعاماً مخصوصاً ثم سافر فلم يعجب الطباخ هذا الامر زاعماً ان ذلك غير لائق بالراهب وان فائدة الدير أولى منه فلما حضر الاب استقبله الرهبان الصغار وشكوا له قساوة الطباخ فاستدعاه ولما سأله عن عدم رضوخه لأمره أجاب قائلاً انه صنع بدل ذلك فعلاً حميداً وهو انه انتهر فرصة واشتغل كثيراً لربح الدير فأمره القديس ان يحضر جميع ما عمل من الجدائل ففعل كذلك وكان عددها نحو خمس مائة فجمع الاب الرهبان وأحرقها امامهم ثم قال لهم ان الطاعة لا تأذن للراهب ان يفحص عن تصرفات رئيسه فان ذلك مما لا يسوغ له انما عليه ان يطيعه بسرعة وسرور . وحدث مثل ذلك ان راهباً نسج في يوم نسجيتين مع ان المقرر عليه لم يكن سوى نسجة واحدة فوضعهما على باب قلايته مردياً بذلك أن يرى القديس نشاطه فلما رأى الاب ذلك تنهد متأسفاً وأشار للرهبان الذين حوله قائلاً أرايتم كيف عمل هذا الاخ طول النهار بافراط النشاط ليقدم تعبهُ للشيطان لا لله لانه رام بهنا ان يرضي الناس لا أن يمجّد البارئ ثم دعا الراهب ووجهه بصرامة وعاقبه وأمره أن يلازم قلايته مسجوناً خمسة أشهر لا يكلم أحداً ولا يأكل الا الحبز والملح ومرة أرسل وكيل الدير ليبيع مقاطف وقيل أحذية وقد عين له ثمنها فاتفق انه لما مضى الوكيل وجد أناساً قدموا له ثمناً زائداً عما

حدده له الاب فباع المقاطف مسروراً فلما علم الاب بذلك ونحنه على مخالفته وأمره ان يرد للشاري الزيادة ثم عزله من وظيفته وعاقبه

ولكيما تقف على ترجمة هذا الاب نقول قد ولد في ختام القرن الثالث من عائلة وثنية في اقليم الصعيد الاعلى ولما بلغ العشرين سنة صار جندياً تحت أيدي والد قسطنطين الكبير الذي كان قائد جيش ديوكليتيان فاتفق أن الحبشة شقت عصا الطاعة وخالفت عليه فعين هذا القائد لاختضاعها وكان باخوميوس من ضمن هذه الحملة فلما بلغوا في مسيرهم الى مدينة ديوسبوليس (اسنا) التي كان أغلب سكانها مسيحيين رأوا من هؤلاء حبة ومعرفة جيلاً اذ قدموا بسرور زائد ما يلزمهم من الأكل والشرب وأضافوهم في منازلهم فانذهل باخوميوس من هذه الافعال الحميدة وأخذ يستنجر عن السبب الذي دعا هؤلاء القوم الى أن يحسنوا هذا الاحسان العظيم على قوم لم يروا منهم خيراً ولا شراً فاجيب أن هؤلاء مسيحيون وديانتهم تأمرهم بالحببة للغريب مثل القريب فازداد عجباً من ديانة ذات شريعة سامية كهذه ومال بقلبه اليها فانفرد للوقت يصلي قائلاً أيها الاله الخالق السماء والارض اني أعاهدك بان أعبدك وأحفظ وصاياك كل أيام حياتي اذا نظرت الى برحمتك وعرفتني لاهوتك

ولما انقضت مدة الحرب ذهب الى قرية في الصعيد يسكنها النصارى وانخرط بصنف الموعوظين وفي الليلة التي أزمع ان يقبل سر العماد رأى ان يده اليمنى ممتدة نحو نداء السماء فاستحال حالاً في يده تفاحة وسمع صوتاً يقول له (احتفظ يا باخوميوس على ما ياتي عليك الآن وهو علامة النعمة العظيمة التي أراد يسوع المسيح ان يسكنها في قلبك) فلما اقتبل سر المعمودية وتقدم نحو السكال المسيحي هجر العالم وتلمذ لسائح يدعى (بلامون) وكان لما أتاه قال له انا لا أستطيع يا بني ان تحتمل صعوبة عيشتنا لاني لا آكل سوى الحبز والملح ولا أعرف الزيت ولا أشرب الخمر وأتناول الطعام مرة واحدة في كل يوم في فصل الصيف وأما في فصل الشتاء ففي كل يومين مرة ثم أمضي نصف الليل ساهراً وأحياناً اليل كله في تلاوة المزامير فاشير عليك أن تلمذ لغيري لان كثيرين شرعوا أن يقتفوا أثري فما استطاعوا أن يستمروا

فلما سمع باخوميوس هذا الكلام لم يفضل بل قال اني أرجو الله تعالى الذي

أرسلني اليك أن يساعدني على الاقتداء بسيرتك فأقبلني إذا يا أبي فقبله الشيخ وألبسه
أثواب الرهبة

فظل يسير بسيرة معلمه حتى أدركه وكان يمشي يوماً في انقفر قرب قرية خربة تدعى
(طابانا) يلتقط حطباً فسمع صوتاً يقول له اسقر هاهنا وابتن ديراً واسعاً لأن كثيرين
سيأتون اليك ويعيشون تحت إرشادك فلما عاد الى معلمه أخبره بما سمع فذهبا الى
تلك البقعة وابتنيا فيها ديراً ذا عدة أماكن وسمياه دير طابانا ومكثا فيه واتفق ان سائحا
مريضاً بمرض الكبرياء كان يصنع عجائب بقوة ابليس حتى انه كان يمشي على حجر نار ملتصق
فلا يحترق فجاء اليهما وقال لهما هل حصل أحدكما على مثل هذا الايمان الذي حصلت عليه
فاتي أمشي في وسط النار بدون ان تمسني فأجابه الاب بلامون ان أحسن التواضع فيكون
حيثما أماننا حسناً فلما سمع باخوميوس هذا الكلام بدأ يزداد في فضيلة التواضع
وأما ذلك المغرور فاسقطه ابليس في الزنى واماته شر موت . ثم لما علم الاب بلامون
ان تلميذه بلغ أشده وصار قادراً ان يدبر نفسه تركه ورجع الى مكانه ولم يعد اليه الا
كل سنة مرة حتى توفي أما باخوميوس فلم يمض عليه زمان طويل حتى امتلاً دير من
لأناس الذين كرسوا حياتهم لخدمة الله والتعب له ولم يكن يلبس أحدهم شكل الرهبة
لا اذا جربه مدة ثلاث سنين بتجارب مختلفة ولما اتسع نطاق رهبته بنى عدة أديرة
على جرف النيل شرقاً وغرباً وكان دير طابانا هو الاكبر وبلغ عدد رهبان هذا الدير
١٥٠٠ قرأ لكل واحد منهم أشغال ومهن وكان ما كوله من الاعتيادي الخبز
والزيتون والحين والتين مع الفواكه الاخرى والبقول والحشائش ولم يكن بينهم من
يمارس الوظيفة الكهنوتية ولذلك كان يأتهم كاهن علماني ويوزع عليهم الاسرار
المقدسة وقد امتاز عنهم شخص كريم الاصل وشريف النسب يدعى باودورس اشتهر
بالحكمة والنفطة وجودة الرأي وفاق الشيوخ بالنسك والقداسة ولذلك كان خصباً
بخدمة الانبا باخوميوس دون غيره ومشيراً له في الامور المهمة وكان مصرحاً له ان
يقف خطيئاً ويعطى الرهبان ومن شدة مثابرة على عمل الفضيلة وابتعاده عن عزاء
العالم لم يسمح لامه ان تنظره مع ان معلمه أذن له بذلك . وقد أنعم الله على الانبا
باخوميوس بمعرفة اللغات كما أنعم بذلك على الرسل وسببه هو ان راهباً جاءه من

رومية وقصد ان يرتشد منه فابهل الاب الى الله من أجل فائدة ذلك الراهب وقال
(انت تعلم أيها الاله اني لعدم معرفتي لغات لا أقدر ان امنح رجاءاً باسمك للذين يأتون اليّ
من أماكن بعيدة فاما ان تمنحني معرفة لغة من يقدم اليّ لافيده او لا تدع أحداً
يأتي اليّ) فاستجاب الرب طلبه وسمع اعتراف الاخ وأرشدده ولما قربت وفاته أقام راهباً
يدعى بترونيوس رئيساً على الرهبان وفاء بخطابه الاخير لتلميذه العزيز لديه وتوفي وعمره
٧٤ سنة وقد بلغ عدد رهبانه قبل وفاته ٧٠٠٠ واحداً

الحوادث المدنية في هذا الحيل

ذكرنا في ختام القرن الثالث ان ديوكليتيان أشرك معه في الحكم صديقاً له يدعى
مكسيانوس وسلطه على ايطاليا وأفريقيا وسواها بنفسه وجعل كرسي امبراطوريته
في مدينة ميلان والآن نقول انه لم يكتف بذلك بل قد جعل قسطنطينوس خلورس
قائد جيوشه قيصرأ على فرنسا واسبانيا وبريتانيا وأقام غاليريوس صهره قيصرأ على
بلاد ايليريا وكان هذا الاخير على جانب عظيم من خشونة الطبع والقساوة الشديدة
وكان يكره المسيحيين كرهاً بليغاً ويسعى دائماً في أذيتهم حتى بلغ من أمره انه تحصل
على أربعة أوامر من ديوكليتيان نقضي بإبادة كل من لم يحن منهم هامته للاصنام ويعبدها
منكراً مسيحه . فالامر الاول أصدره الامبراطور وهو في نيكوميديا ومضمونه الحكم
بخراب معابد المسيحيين وحرق كتبهم وقد قاوم هذا الاسر كثيرون من النصارى ولم
يريدوا ان يسلموا بكتبهم وفضلوا ان يموتوا شهداء على ان يسلموا نفائس دينهم
المقدسة ومن هؤلاء شماساً مصرياً يدعى تيموثاوس أخذ امام حاكم تيبايس فأمره ان
يسلم ما عنده من درر كتبه المقدسة الكريمة وكنوز صحفه الروحية الثينة لكي يحرقها
فأجابه الشماس انه لو كان لي أولاد لاسرعت بتقديمهم ضحية أولى من ان أسلم كلام
المولى المقدس ليزدرى به ويحرق فأمر ان تفلع عيناه فقلعتهما فقال له حينئذ الوالي انك
أصبحت لا تستفيد شيئاً من الكتب لانك لا تستطيع ان تقرأها فلم يرد عليه جواباً
فاغتاظ منه الوالي وعلقه من رجليه وثقل عنقه وسد فيه فلما شاهدته امرأته على

هذه الحال وكانت تحبه بادرت تلج عليه ان يعدل عن رأيه فسا كان منه بعد ان استطلق فيه الا انه أخذ يلومها على محبتها له المحبة الجسدية ثم أوضح لها ما يكنه ضميره من العزم على قبول الشهادة من أجل المسيح فأنثر كلامه فيها وعزمت ان تقتدي بأثره فانطلقت الى الوالي واعترفت جهراً بالايمان امامه فأصبحها مع زوجها الى منقع العذاب وصلبها معه

والامر الثاني كان سببه احتراق قصر نيكوميديا فاتهم الوثنيون النصارى بحرقه . وشكروهم للملك فأثاروا غيظه حتى أصدر أمراً بقتلهم فذهب القديس جاورجيوس الكبادوكي أحد متقدمي الدولة فريسة هذا الاضطهاد لمجاهرته بالاعتراف بالدين المسيحي امام الامبراطور في تلك المدينة وعقيب ذلك بقليل أصدر أمراً ثالثاً وسببه حدوث فتن في بلاد ارمينيا وسوريا اتهم بها النصارى أيضاً فأمر الامبراطور بالقبض على الاساقفة وحكم على بعضهم بالموت حالاً وعلى البعض الآخر بالاشغال الشاقة في الورش والمعادن وفي هذا الاضطهاد أنكر مركلينيوس أسقف رومية المسيح وذبح للاصنام معترفاً ان الصنم اله لكنه تاب أخيراً على يد مجمع مكاني اجتمع في سينوسيا ونال عقيب ذلك اكليل الشهادة واما الامر الرابع فكان مضمونه ان يقدم المسيحيون القرابين والضحايا للاصنام وان من امتنع منهم عن ذلك يعذب بأشد العذاب ويموت قتلاً فعظم مصابهم واشتدت وطأة العذاب عليهم ومن الادلة على شدة هذا الاضطهاد القصة الآتية . انه لما سمع شماس من قيسارية يدعى ارمانوس بمصائب انطاكية انطلق اليها ليحامي عن نصاراها ويشبهم على صخرة الايمان القويم فلما دخل باب المدينة رأى جمهوراً يساقون الى هيكل الاصنام ليسيجدوا فيه فاخذت تلعب برأسه المروءة وأوغرت صدره الغيرة والحماسة فتخلل بينهم وشرع ينذرهم محرضاً اياهم أن يثبتوا على ايمان المسيح ولا يلبطخوا بوصمة تلك الحلة المقدسة التي اتشحوا بها من المعمودية فتأثروا من كلامه ورجعوا ناكسين على أعقابهم فلما شعر الحاكم بمفاعله رومانس حنق عليه واستدعاه قائلاً اني لاخبرتك لارك هل تكون وثقاً في العذاب كما انت الآن فأجابه الشماس حاشا لي ان أكون وثقاً غير اني بنعمة سيدي سأكون في الاعتراف باسمه الى آخر نسمة من حياتي فد وضرب بجبال معقدة برصاص ثم مرق وجهه بأظفار من حديد وهو مع

ذلك لم يفتر من الاقرار بالمسيح ثم ترك فقال له الحاكم ان مسيحك المصلوب انما هو اله أمس ولكن آلهة الوثنيين فهي من قديم فكانت امرأة حاضرة وبيدها طفل فاستدعاها وقال للملك انظر هذا الطفل الذي لم ينطق بعد أتريد ان أسأله وهو يخبرك بالحق فذهل الحاكم ورضي ذلك فنادى القديس الطفل (وكان اسمه بارولاس) قائلاً من هو الاله المستحق وحده السجود فأجاب الطفل ان الله واحد والسيد المسيح وأما عبادة آلهة كثيرة حتى الاولاد لا يمكنهم تصديقها فتعجب المحفل من هذه الاعجوبة أما الحاكم فأمر بجلده وفيما كان يجلد طلب ان يشرب فدنت منه أمه وقالت اعطش يا ابني الى تلك الكأس التي شرب منها أطفال بيت لحم مرة ثم أذكرته ان اسحق مع مشاهدته السكين والمذبح لم يأتف من تقرب ذاته خفية فلما أغلظ الملك بضرب الطفل على هامته صرخت والدته تحمل يا ولدي فانك جائز الى من يتوج رأسك بتاج المجد الدائم ثم أمر الحاكم بضرب عنقه فقبلته أمه ثقيل الوداع الاخير وفرشت ازارها تحت رجله فضرب ومات شهيداً

أما رومانس فاضرم الحاكم ناراً ليحرق فقال له ان النار لا تنفي حياتي فربط على خشبة وأضرمت ناراً تحته فارسل الله وابلاً أطفأ النار وكان ديوكليتيان يومئذ بانطاكية فلما أخبر بهذه المعجزة دعى الحاكم وقال له من شهدت السماء ببره يجب اطلاقه فاجابه الحاكم ان هذه الاعجوبة من فعل السحر وانه اذا أطلق رومانوس جميع المدينة تصبح نصارى فاقنع وشرع من ثم الحاكم بتعذيبه قال أوسابيوس المؤرخ أنه لما ضجر من كلام القديس وتعظيمه للخالق قطع لسانه فظل ينطق بما كان ينطق به ثم شق .

وحدث ان ديوكليتيان بعد ما استمر يحارب الفرس مدة تنازل عن الكرسي سنة ٣٠٤ م وفعل كذلك في تلك السنة مكسيميانوس صديقه بعد ما قضى مدته في اطفاء نيران الثورات في أفريقيا وجرع المصريين كؤوس الموت وأذاق المسيحيين منهم كل نوع من العذاب المريع فانتقلت امبراطورية الغرب الى قسطنديوس خالوس وبقى امبراطوراً ١٥ شهراً فوق مريضاً في مدينة يورك من أعمال انكلترا وكان ابنه قسطنطين في نيكوميديا فلما شعر بمرضه أسرع اليه سرّاً فسماه خليفة له وصادق على

ذلك أهسل بريتانيا ونادوا باسمه فيها سنة ٣٠٦ م ثم زحف على فرنسا وبعد ما دبر
أمورها سار الى ايطاليا وكان المجلس الكبير غير راض بقسطنطين فهيج الاهالي ضده
ونادوا باسم مكسنتيوس بن مكسيميانوس امبراطوراً في رومية فعزم ان يقهر قسطنطين
وبدأ يحاربه وبعد عدة مواقع جرت بينهما كان الفوز في جميعها لقسطنطين عمدها ان ينازل
عدوه في حرب جازمة فزحف بعسكره على ايطاليا ودنا من رومية ولما شاهد
قوة جنود خصمه ارتاع وحاول ان يستمد العون من الله ما ولكن لما كانت آلهة
الرومانيين كثيرة ولم يكن بعد مسيحياً ما عدا انه كان يعزله المسيحيين كما كان يفعل
أبوه احتار ان يطلب المساعدة من أيها وارتأى ان يوجه أنظاره نحو الله النصاري
وحده وبينما كان يسير في مقدمة جيوشه شاهد في أفق السماء والفلك رائق صلياً
من نور مرقومة عليه هذه الكتابة (بهذا تغلب) فاندحش هو وقواده من هذا
لنظر العجيب واحناروا في ماذا يكون منه وبينما كان الملك نائماً ظهر له المسيح في
الرؤيا ومعه صليب وأمره ان يصنع مثاله ويجعل ذلك راية في حروبه فلما انتبه من
لنوم استدعى رجالاً ورسم صورة الصليب وأمرهم أن يرسموه راية على تلك الهيئة
ففعلوا كما أمرهم وكانت هذه الراية حربة مصفحة من ذهب وفي وسطها عارضة بشكل
صليب معلق بها منديل منسوج بذهب مرسومة فيها صورة الملك وصور أولاده وفي
على الصليب اكليل فيه الحرفان الاولان من اسم المسيح واتخبط لملها من محافظي
رأس الملك خمسين رجلاً بأسلاً ثم اقتاد جنوده الى ميدان الحرب ففاز على عدوه
يغلبه وفيما كان جيش مكسنتيوس فاراً من امام جيوشه الباسلة مر على جسر نهري
يسير فسقط الجسر وغرقت الجنود في النهر ففتحت من ثم رومية أبوابها لقسطنطين
فدخلها واكليل النصر على هامته ثم صار مسيحياً واعتمد من يد سيلبسترس أسقف
رومية . وأما علامة الصليب فقد أثبت ظهورها للملك أوسابيوس القيصري المؤرخ
لكنائسي الشهير بما يقرب من العبارة التي أوردناها

وحدث ان الملك لما دخل رومية منصوراً ولم يلق من أهلها بشاشة وجه لتمسكه
لديانة المسيحية غضب من ذلك ولا سيما من انعكاف الاهالي على العبادة الوثنية فاختر
بكرسي السلطنة مدينة البزنطية لنزاهتها وحسن موقعها بين أوروبا وآسيا

ولكونها مشرفة على ثلاثة أبحر وهي بحر مرمرا والبحر الاسود والبسفور
فرسمها وبني أسوارها وقصورها ودعاها باسمه (القسطنطينية) . هذا
ولما أخضع قسطنطين الغرب لسلطانه وجه شكية جواده لاختضاع مملكة الشرق
وكان يومئذ غاليريوس (الذي كان في زمان ديوكليتيان قيصرًا) امبراطورًا للشرق وكان أقام
مساعدًا له في تدبير المملكة كاليريوس بن أخته وفلافيوس ساويرس فمات هذا الأخير
بعد ان استمر حاكمًا سنتين فأقام بدله ليسينوس ولما مات غاليريوس أثناء الحرب مع
قسطنطين وكان هذا صديقًا حميمًا وصاحبًا عزيزًا ليسينوس أمره ان يطرد كاليريوس
ابن أخت غاليريوس من المملكة فخاربه وانتصر عليه في طرسوس نحو سنة ٣١٣ م
واستقل من ثم بملك الشرق وجار على الرعايا وظلمهم وضيق على النصارى وقتل منهم
أناسًا كثيرين والقي أربعين شابًا في بحيرة ماء في بلد تدعى سبسطية من بلاد ارمينيا أثناء
برد الشتاء القارس فماتوا شهداء على اسم المسيح فلما سمع قسطنطين بسوء تصرف صديقه
مع المسيحيين وباستقلاله في مملكة الشرق لأمه كثيرًا ولكنه لم يرعو فزحف قسطنطين
بجيوشه الباسلة على الشرق وحاربه وانتصر عليه فدخلت من ثم المملكة الرومانية
باسرها تحت حكمه ولما ارتاح من غناء الحروب وجه عنايته نحو خير الكنيسة
وصالح بنيتها فاخرج من خزائنه مبالغ جسيمة من الاموال لاجل عمارة الكنائس في
مدينة اورشليم والارض المقدسة وسلم هذه الاموال لأمه الاوغسطين هيلانة وأرسلها
الى فلسطين وكان سفرها علة لسعادة سكان تلك البلاد الذين كانوا يلتجئون اليها من
أغنياء وفقراء وأرامل وأيتام ومديونين ومرضى فكانت تعولهم وتنقذهم وتسد
احياجاتهم وتوزع عليهم أموالاً وعند وصولها الى القدس هدمت معبد الزهرة الذي
كان الوثنيون شيدوه على جبل الجلجلة واعتنت بكشف قبر المسيح فوجدت في مغارة
بجانب القبر ثلاثة صلبان ووجدت لوح الكتابة الذي علق على الصليب المجيد منفصلاً
لوحدته ووجدت باقي ادوات الصليب ولما لم تعرف أن تميز صليب المخلص من غيره
قدمت الثلاث صلبان بمشورة القديس مكاريوس أسقف المدينة ووضعت الواحد
والثاني بحضور أعيان المدينة على امرأة كانت مصابة بمرض عضال منذ زمن مديد
ولما وضعت الثالث قامت العيلة بريئة من دأها وزاد (زوسيموس) بانها وضعت
الصليب على ميت فقام حيًا

ولما مات قسطنطين سنة ٣٣٧ م اقسام أولاده الثلاثة المملكة بينهم فاستولى قسطنطين على اسبانيا وفرنسا وبريتانيا وقسطنديوس على بلاد الشرق وقسطنس على ايتاليا وأفريقيا وصقليا وكانوا قساة القلوب منعكفين على الملاحى والتعصبات فأصدروا أمراً يقتل سبعة اشخاص من أقربائهم خوفاً منهم على الاحكام وأخذوا يعدمون باقى أعضاء عائلتهم شيئاً فشيئاً حتى أهلكوا الجميع ولم ينج من أيديهم سوى ولد بن ضعيفين من أبناء عمهم وهما غالوس ويوليانوس ثم وقع بينهم الشقاق وعادى كل واحد منهم الآخر وبعد ما رجع قسطنديوس من محاربة سابور الثاني ملك الفرس منياً ذلك بمقد شروط الصلح معه وقع بينه وبين أخيه قسطنس منازعة مات بسببها سنة ٣٤٠ م وبقي قسطنس حاكماً على الاقطار الشرقية مدة عشر سنين الى ان قتله مغنطيوس قائد الجنود الرومانية في غاليا طمعاً باختلاس منصبه ولما بلغ ذلك قسطنطين نهض بجيش عديد للانتقام من القائد فحاربه في عدة وقائع حتى هلك من نخبة عسكره أربعة وخمسون ألفاً واذ رأى مغنطيوس ما حل به من الذل والدمار قتل نفسه فاستقل قسطنطين بالمملكة بأسرها وأشرك معه ابن عمه يوليانوس وسماه قيصرأ ووجه به لمحاربة الافرنج وحلفائهم الذين كانوا نبذوا الطاعة له وامامه فاشتغل بصدهجومات الفرس ثم ان القيصر حارب الثأرين وانتصر عليهم فمالت اليه قلوب الجنود وأحبوه ودعوه امبراطوراً وذلك سنة ٣٦٠ م فزحف بهم على القسطنطينية واستولى عليها وكان الامبراطور مشغلاً بحرب الفرس فمات قبل وصول يوليانوس اليه وانفرد هذا بموت ابن عمه بكل المملكة وكان ذلك سنة ٣٦٢ م ومن أمره انه تعلم في مدارس المسيحيين ولكنه كان يميل للوثنيين فسمح أولاً برجوع الاساقفة من النفي وبإعادة أملاك الكنائس المغتصبة وسمح لكل انسان ان يعتقد بالله ما شاء وان يمسك بأية ديانة يرغبها وقصد بذلك ان يجعل الناس سوا المسيحيين القويمى الرأي يمتثلون أحكام قسطنطين الصارمة لانه كان يلزمهم ان يمسكوا باعتقاد اريوس الوخيم . ثم شرع بعد ذلك بقليل في ترميم الهياكل الوثنية وصار يقدم كل يوم ذبيحة للاوثان وبدأ يعاكس المسيحيين وصار يمنح الوثنيين امتيازات مدنية ويطرد أولئك من خدمة الحكومة ويمنعهم من ان يحاموا عن أنفسهم في المحاكمات وابتدأ يسلب الكنائس ويعمرها من الزينة ويسلب أوانيها ويحصد باجتناب

من كان ضعيفاً في الايمان الى الكفر بالمسيح تعالى بطرق مختلفة ومنها انه استدعى يوماً ما بعض الجند المسيحيين وأعطاهم نقوداً وطلب اليهم ان يلقوا بنحوراً على نار كانت مشتعلة بجانبه فأطاع بعضهم خوفاً وفعل البعض الآخر ذلك من غير ان يزكوا القصد منه لكن لما وقفوا على ان الغرض منه احترام الآلهة تنفوا شعورهم وطفقوا يصرخون جهراً قائلين لم نخشك يا يسوع مخاضنا ولكن الامبراطور خدعنا فليعلم الجميع اننا مسيحيون ثم ذهبوا الى قصر الملك ورموا الدراهم عند رجلي يوليانوس قائلين له اذبحنا مقدمة ليسوع المسيح واعط ذهيبك لمن يسر بأخذه فغضب عليهم وأمر بقتلهم ثم عفى عنهم

لانه كان يجنب القتل لعله ان المؤمنين لا يخشون من الموت ويفتخرون به فكان يثقل عليهم بالجزية وذكر أنه فرض على كل مسيحي أن يدفع أقة فقط مع ان هذا الامر قل من يقوم بوفائه منهم لكن لم تطل مدة اضطهاده اذ قتل في حرب الفرس سنة ٣٦٣ م ذكر أنه لما نبذ الفرس طاعته وخالفوا عليه شرع يحشد الجنود وأخذ بالاستعداد لمحاربتهم فينما كان كذلك جاءه باسيليوس الكبير مع بعض الاساقفة فلما شاهداهم قال لهم لاي غرض أنتم وماذا تطلبون فأجابه باسيليوس قائلاً أئينا نطلب راعياً صالحاً يرعانا بالاستقامة والعدل فقال له الملك اين تركت النجار وجئت (يعني المسيح) فأجابه قائلاً تركته يصنع لك تابوتاً لتوضع فيه لانك فقدت المعرفة فقال له الملك قد قرأتها وحفظتها فأجابه القديس أي نعم لكنك لم تفهمها ولم يعها عقلك فاحتم غيظاً من جراته وأمر باعتقاله مع من معه قائلاً لهم اذا عدت سأجرعكم كأس الموت فقال له القديس انك لن تعود والا فلم ينطق الله بفمي فصرخ الملك قائلاً اغتفلوا هذا الجليلي الكذاب الذي يدعي النبوة ثم سجنهم وسار بجيشه الى بلاد الفرس فقتل في بلاد المعجم وقيل انه في اثنا نزاعه صرخ قائلاً غلبتني أيها الجليلي

أن الامور الخارقة للطبع المستحقة الاعتبار والواجب ذكرها دون غيرها التي حدثت في اثناء شروع هذا الملك بالحرب هي نجاح ما بقي من نبوة المسيح على خراب هيكل اليهود وذلك ان هذا الملك لبغضه للنصارى ولطعنه بحق الوهية مسيحيهم أدنى منه اليهود وقربهم اليه ووازرهم على إعادة بناء هيكلهم قاصداً بذلك ان يرشق نبوة

المسيح بخراجه مؤبداً بسهام الكذب فوكل بذلك رجلاً يدعى الييوس وأعطاه النفقات اللازمة وأمره أن ينجز هذا المشروع بكل سرعة فاختذ اليهود يتقاطرون إلى اورشليم من كل مكان واجتمع منهم فعلة في الهيكل مما لا يحصر فحرقوا المكان وحفروا الأرض وقلموا حجارة الاساسات القديمة وكان يشترك الصبيان والشيوخ والنساء بهذا العمل متناولين في أطراف أردبتهم الحجارة والتراب وكان القديس كيرلس أسقف اورشليم ينظر ذلك ويسخر به عالماً أنه أتى الوقت الذي تم فيه نبوة المسيح عن خراب الهيكل حرفياً بحيث لا يترك فيه حجر على حجر فلما انتهوا من رفع حجارة الجدران القديمة وهموا أن يضمو أساساً جديداً حدثت للوقت زلزلة عظيمة ملأت الحفر تراباً وبددت أدوات البناء وقتلت بعضاً من الفعلة أما اليهود فلم يرعوا ولم يتخذوا ذلك علامة لردعهم عن عمل كهذا مخالف لمقاصد غير مدركة ولذلك لما سكن جاشهم وهدأ روعهم عادوا إلى الشغل مرة ثانية حيثئذ خرجت من جوف الأرض كرات نارية ورشقت الفعلة بالحجارة التي كانوا مزعمين أن يضعوها في الاساس وأذابت آلات البناء وحدث ذلك في كل مرة كانوا يشرعون بالعمل حتى تعجب الناس وكثير من الأمم واليهود آمنوا بقدرة المصلوب فهذا الامر لم ينص على صحته آباء الكنيسة فقط كغريغوريوس النزينزي وفم الذهب اللذين أخبرا به جمهوراً كان كثير منهم يمكنهم أن يشلم صحته لو كان غير صحيح لكن ذكره وثنيون ويهود ومنهم اميسان المؤرخ وأحد علماء اليهود في الجيل التالي أتى بذكره على سبيل العرض

ولما مات يوليانوس سنة ٣٦٣ م نوذي باسم يوبيانوس امبراطوراً فعقد صلحاً مع الفرس بعد أن اعطاهم أربع ولايات رومانية وفي ايامه تشيدت النصرانية ثانية ولكنه توفي قبل أن يصل إلى القسطنطينية فأخلفه فالنتيانوس سنة ٣٦٤ م وكان فظلاً غليظاً فاشرك معه في الحكم أخاه فالنص وخصه بأحكام البلاد الشرقية وكان أريوسي المذهب وقد اتهم يوليانوس الكافر فصرح للوثنيين بالتضحية للاولئان ورخص لليهود أن يجرؤا أمور دينهم بحرية ونفى الاساقفة المستقيمي الرأي وضيق على الارثوذكسين في كل مكان وقتل منهم خلقاً كثيراً وأمر قائد جنوده بأن يقتل ٨٠ رجلاً كان اكليروس القسطنطينية أرسلهم وقدأ يشكون له مما حل بهم من الاساءة فأنزلهم القائد في مركب

وأحرقه بهم حين بعد قليلا عن البر . وحدث انه لما نفي اسقف الرها وأقام بدله أسقفاً غير شرعي أمر قائد جنده ان يجبر الكليروس على ان يشتركوا مع الاسقف الدخيل فجمعهم القائد وحاول ان يقتلهم فلم يرضوا بل صرحوا انهم لا يقبلون غير راعيهم الشرعي ففاهم جميعاً أما الشعب فلم يرضوا ان يشتركوا مع ذلك الاسقف ولما طردوا من الكنيسة صاروا يجتمعون كل يوم في الحقول ويتمون الفرض الكنائسي فلما شعر الملك بذلك غضب على قائده ووبه توبيهاً عنيفاً على كونه لم يمنع تلك الاجتماعات ثم أمره ان يزحف عليها بكل جنوده ويشتها بالعذاب والقنل وكان القائد يحب حقن الدماء فأنذر المؤمنين سراً بالألماء في اليوم التالي الى مكان الاجتماع للصلوة حسب عادتهم فازدروا بنصيخته واحتسبوا قبولها والعمل بها أثماً عظيماً فبادروا في الغد باكراً جداً الى ذلك المكان فلما علم القائد بذهابهم استولت عليه الحيرة واذ لم يجد لنجاته سبيلاً زحف بحيشه وأمرهم ان يضجوا ليرعبوا الشعب ويهربوا من امامهم وفيما هو مار في شوارع المدينة رأى امرأة مسكينة خارجة من بيتها غير مبالية بخلق بابها وعلى يديها طفل وهي تعدو بسرعة جارة ذيل رداؤها على الارض بغير ان تهتم لكي ترفعه فلما تجاوزت صفوف العسكر بدون رهبة وقربت من القائد وقصدت ان تجاوزه أوقفها وقال لها الى أين تمضين أيتها المرأة مجدة في سيرك فقالت له الى الحقول حيث يجتمع المؤمنون فقال لها الا تعلمين ان الملك أمر بقتل كل من وجد هناك فقالت له بلى ولهذا أنا أسرع سائرة كي أبلغ الى هناك لتلايفوتي الكليل الشهادة قال لها ولم تأخذين هذا الطفل معك فقالت له لكي يشترك في مجد أطفال بيت لحم الذين هرق هيرودس دماءهم فتعجب القائد من بسالتها ونكص راجعاً على عقبيه الى الملك وأخبره بكل ما رأى وسمع وتوسل اليه ان يعدل عن عزمه فاقنع الملك برأي قائده وارخى للقويمي الرأي عنان الحرية

ثم توفي فالتيانوس سنة ٣٧٦ م فتخلف عنه ابنه غراتيانوس واستقل بحكم الشرق والغرب حين مات فالنص بحرب الغوثيين الذين كانوا زحفوا بمجموعهم على القسطنطينية وحاصروها وخرج فالنص لقناهم فقتلوه ولما اتصل هذا الخبر الى غراتيانوس نهض لانتقاذ المملكة الشرقية وأشرك معه تاودوسيوس وولاه عوض فالنص وكان اسبونيولي

الاصل موصوفاً بالحدة والحدة وحسن التدبير فخارب الغوثيين وأخضعهم ثم عقد معهم صلحاً وحدث ان مكسيوس القائد الروماني في الغرب قتل غراتيانوس واعتصب المملكة لنفسه فاستجارت امرأة الامبراطور وابنها فالنتيانوس بتاودوسيوس فالتقاها بالترحاب وحارب ذلك المعتصب وقهره وقتله ورد المملكة لابن غراتيانوس سنة ٣٨٨ م فاستمر قليلا ومات وبموته انفرد تاودوسيوس بحكم السلطنة الرونية الى ان توفي سنة ٣٩٥ م في مدينة ميلان . وكان هذا الملك ذا همة عالية وغيره شديدة بقدر ما كان سريع الغضب والدليل على سرعة غضبه وعدم تأمله في عاقبة الامور امران وهما (الاول) انه كان رسم على اهل انطاكية فريضة باهظة سببت لهم نفورا منه وسجسا عظيما حتى انهم رموا تمثاله وتمثال الملكة من مكانهما وأخذوا يجرونهما في أزقة المدينة ساحرين بهما فلما شعر الملك بهذه الاهانة أعج سكرانا بالغضب فباول حركة من غيظه عمد على ان يدمر المدينة . لكن لما فاق من سكره أرسل من قبله معتمدين يفتشون عن المقترفين هذا الذنب

أما أهل المدينة فلما شعروا بمصيبتهم الفظيعة أصبحوا مرتاعين لا ينتظرون سوى فروغ الاجل أما فلايانوس أسقف المدينة الذي كانت احشاؤه متفطرة وجعاً وغماً وكان مقضياً ليله ونهاره بالبكاء والنحيب مبتهلاً الى الرب ليلين قلب الملك عن شعبه فقدم ذاته فحية عن شعبه وخطر بنفسه وسافر الى الملك فلما نظر نفسه حزينة وقلبه كئيباً رقه وأخذ يذكره بجميع الاحسانات التي أصبغها على أهل انطاكية قائلاً أهذا هو جزاء احساني اهانة واحقار فتأثر الاسقف واجابه قائلاً (أيها الملك اننا مستحقون كل عقاب ان هدمت انطاكية وصيرتها أرضاً بلقعا لا يقوم ذلك مقام ذنبنا وجزاء مصيبتنا انما يوجد علاج لجميع شرورنا اعتبر أيها الملك بمجوده تعالى كيف أنزل عظمته الى تواضع خليفته المخالفة والعاصية فنفر لها وفتح لها أبواب الحياة فان غفرت لنا كانت نجاتنا ديناً علينا أما حنوك فيزداد جلالاً ويعجب منه الكفرة ويمجدون به الله عز وجل قائلين ما أعظم الهه النصراني فانه يرفع ذويه الى أعظم المراتب ويصيرهم مضارعين الملائكة تواضعاً ووداعة فلا تخف أيها الملك ان عفوك عن ذنبنا يجعل باقي المدن تتمرد وتخالف سطوتك لان حالنا المنكودة قد القت بهم الرحمة وخوفنا قد أضحي أمر من سائر ضروب العذاب فلا يلحقنك الحياء من أن تتنازل لشبح ضعيف فأنك ان

تنازلت وقبلت منه فأنت لله متنازل لأنه هو أرسلني لأقدم لك الأنجيل باسمه القائل (إذا لم تفرو والناس زلاتهم فلا أبوك السماوي يغفر لكم زلاتكم) فاذا ذكر أيها الملك ذلك اليوم الذي به تقوم الملوك والرعايا أمام منبر الملك العادل واعتبر ان جميع ذنوبك تكون مغفورة ان صفحت عن ذنبنا) فلما سمع الملك هذا الخطاب أجابه متأثراً (امض يا أبت الى شملك وطمئن مدينة انطاكية فأنا قد عفوت عن ذنبها اكراماً لرب المجد الذي اتخذ صورة العبد وسأل الغفران لمعذبيه الذين أغمرهم باحسانه اذهب لرعييتك فانها لا تعلمن بعد هذا العارض حتى تشاهدراعيها)

(الثاني) ان أهالي تسالونيكي من أعمال مكدوننية عصوا وخالفوا على الملك واحداثوا سجساً في المدينة قتل فيه الوالي فلما بلغ الخبر الى الامبراطور سعرت في قلبه نيران الغيظ فأمر على الفور بقتل جميعهم بدون تمييز بين البري والجاني فاهلك منهم بوقت واحد سبعة آلاف نسمة وكان وقتئذ في (ميلان) فكتب له امبروسيوس أسقفها بين له فظاعة آثمه وحررضه على التوبة وأعلنه بصدده دخوله الى بيت الله قبل تقويمه واجبات التوبة فلم يرعو الملك ولم يلتفت الى تحديده بل ذهب ذات يوم الى البيعة فلقية الاسقف في الطريق وقال له (قف في مكانك أيها الملك لاني اراك لا تشعر بحسامة ذنبك امعن نظرك جيداً ألك عينان تستطيع ان تبصر بهما هيكل الله وكيف يكون لك جراءة أم تعظم مقدس الله الرهيب ويداك ملطختان بدم زكي) فأجابه الملك معتذراً عن ذنبه بداود الملك الذي زنى وقتل فقال له الاسقف قد مائلته بأثمه فعليك ان تمائله بتوبته فقبل الملك هذا الحكم ورجع الى بلاطه حزيناً واستمر ٨ أشهر فلما قرب عيد الميلاد تضاعف حزنه فقال في نفسه أيكون باب هيكل الرب مفتوحاً لاسافل رعاياي وتجاهي مغلوقة) فذهب الى مكان قريب من الكنيسة حيث التمس من الاسقف أن يسمح له بالدخول اليها فقال له الاسقف ان الخطية الجهارية تقتضي توبة جهارية فرضي الملك بهذا الشرط ثم طالب الاسقف منه أن يسن سنة بتوقيف اجراء الحكم بالقتل على المجرم مدة ٣٠ يوماً فقبل ذلك وكتب هذه السنة وأمضاها حينئذ شفق الاسقف عليه وأذن له بالدخول فدخل الى الكنيسة خالها ملبوسه الملوكي وجائياً على ركبتيه وعيناه تسكبان الدموع وهو يقول (لصقت نفسي بالتراب فاحيني ككلمتك) فتخشع الشعب عند مشاهدتهم ملكاً عظيماً منطرحاً على الارض ساكباً نفسه قدام الرب وعيناه تقطران العبرات السخينة

الحيل الخامس

البابا كيرلس الكبير البطريرك الرابع والعشرون سنة ٤٠٤ م — ٤٣٥ م

(١) علوم هذا الاب واحتجاجه عن الايمان ضد يوليانوس الكافر وغيره
ضد اليهود (٢) علاقته مع أساقفة افريقيا (٣) تعليم الآباء في المسيح (٤) بدعة
نسطور ونصيحة كيرلس له (٥) الحكم ضد نسطور في مجمع مسكوني عام

(١) ان كيرلس هو ابن أخت البطريرك السالف البابا توفيلس وقد دعاه خاله الى
مدرسة الدين في الاسكندرية حين بلغ من العمر سن الشبيبة فلبى دعوته ودخل
المدرسة ودرس فيها العلوم الفلسفية التي كان الآباء يرون تعليمها للشبان ضرورياً للدفاع
عن الايمان المسيحي ضد الذين كانوا يهجمون عليه ويرشقونه بالتمويهات والاكاذيب
ثم أرسله خاله الى برية الاسقيط عند شيخ عابد اسمه سراجون فتلمذ له وقرأ عليه سائر
كتب الكنيسة وأقوال الآباء وارتاض عقله بممارسة التقوى والفضيلة مدة من
الزمان الى ان دعاه خاله الى البطريركخانه ورسمه شماساً وعينه واعظاً في كنيسة
الكائذرا فأحرز بهذه المهنة صيتاً جيداً واشتهر شهرة بليغة ولما رقى كرسي
البطريركية برسامة مجمع أساقفة الكنيسة المصرية له وجه جل عنايته لمكافحة العبادة
الوثنية والمحاماة عن الدين المسيحي وبدأ يشغل بالرد على مفتريات يوليانس الفيلسوف
الملك الكافر في مصنفاته العشرة التي كان شبان الوثنيين يتباهون بها ويفتخرون ويدعون انها
هدمت أركان الدين المسيحي فاستمر الاب يفند ما انطوت عليه هذه المصنفات من الادلة
ويرد عليها جملة جملة وبرهاناً برهاناً حتى انتهى من جميعها . وحديث ان اليهود
الذين كانوا قاطنين في الاسكندرية قد خاسروا بقضة منهم لشخص القديس وتكرهاً
لشهرة صيته على حياة المسيحيين ولذلك أشاعوا ذات ليلة خبراً ان النار اشتعلت في
كنيسة القديس اسكندر فالتزم المؤمنون بناء على هذا الخبر أن يسادروا اليهامن كل

ناحية مائتين الشوارع كباراً وصغاراً مسرعين لاطفاء النار فانهز اليهود هذه الفرصة وشرعوا يقتلون بهم ويهدرون دماءهم بقساوة بربرية ولما كشف هذا الامر صباحاً لعموم المسيحيين تجمهروا في الكنيسة عند الاب كيرلس وعزموا على الانتقام بقتل اليهود جميعاً فلما لم يستطع الاب أن يسكن غضبهم تنازل لهم بعد عناء شديد بأن يكتفوا بطردهم من المدينة بدون ان يمساوا أحدهم بضرر فهجموا على كنيس اليهود وطردهم منه واستولوا عليه وما فيه فلما بلغ هذا الامر (لاورستا) حاكم المدينة عكر خاطره على القديس لتنازله بالسماح لاولاده حتى شوشوا المدينة بطردهم اليهود منها ولم يعلم أنه لو لم يسمح بذلك للمسيحيين لكانوا ارتكبوا جرماً عظيماً أعظم مما ارتكبوا

(٢) ان راهباً بريطانياً اسمه بيلاجيوس هرطق وكان موضوع هرطقته ثلاثة أمور وهي (أولاً) ان خطيئة آدم كانت قاصرة على نفسه ولم تمس أحداً من نسله (ثانياً) ان كل انسان يولد جديداً يكون بمثابة آدم حين خلق وقبل ان يخطئ (ثالثاً) ان كل انسان يمكنه بمجرد قوته الطبيعية وحرية المطلقة ان يبلغ أسمى درجة من القداسة بدون ان يفتقر الى مساعدة النعمة الالهية فنجذب هذا المبتدع الى تعليمه الباطل شخصاً اسمه كلستينوس وذهب معه الى أفريقيا ثم تركه في قرطجنة ورجع الى مصر ففلسطين فاجتمع على كلستينوس مجمع قرطجنة سنة ٤١٢ م وحرمه وأما بيلاجيوس فتبع حزب أوريجانوس ولما شكى ودعي ليحجج عن نفسه في مجمع (لد) اعترف اعترافاً قوياً وأمضى على أحكام مجمع قرطجنة وشجب كلستينوس صاحبه فأبلغ هذا الامر أورسيوس تلميذ اغسطينوس لاساقفة أفريقيا فجمعوا جميعين وفي كليهما حرموا بيلاجيوس ورفيقه وكتبوا لايونشنيوس اسقف رومية ضدهما فقبل حكمهم ثم توفي هذا الاسقف وأخلفه زوسيموس فالتجأ اليه ذاك الهرطوقيان فقبلهما ودافع عن تعليمهما حين اتخدع من ظاهري عبارتهما الملتبسة وكتب لاساقفة أفريقيا يعنفهم على حكمهم ضدهما وجمع مجعاً برر المحكوم عليهما وأرسل رسالة للافريقيين ملووءة من التبيكيت والتعنيف لهم فأقاموا عليه الحجة وعقدوا مجمعاً سنة ٤١٧ م وبمشورة اغسطينوس الشهير اسقف هيو جمعوا مجعاً آخر في السنة الثانية مؤلفاً من ٢١٤ ونيف وكان البابا عدل عن

رأيه وأرسل الى هذا الجمع نواباً من عنده ومعهم لائحة تشتمل على أربعة فصول أعظمها وجوب استئناف الاحكام ضد الاساقفة الى البابا كما هو مقرر في مجمع نيقيا المسكوني : فلما أمر ابريلوس أسقف قرطاجنة رئيس الجمع ان تقرأ أعمال الجمع النيقاوي طلب اليه اولئك النواب ان يأمر بتلاوة تلك اللائحة فتليت . ولما سمعها الآباء قالوا ان نسخ أعمال الجمع النيقاوي ليست فيها شيء من دعوى زوسيموس ولكي يرفعوا الشبهة والريب عن أنفسهم قرروا ان تستحضر صور أعمال الجمع الصحيحة الاصلية من كنيسة الاسكندرية والقسطنطينية والانطاكية ثم اختتموا هذا الجمع بالحكم على بيلاجيوس ورفيقه وبعد ذلك ظهر قس أفريقي في أبرشية سيكي اسمه ابياريوس اشتهر بالقبائح فحرمه الجمع فاستجار بزوسيموس فقبله في شركته وهو محروم وأرسله بتجارير توصية الى أساقفة أفريقيا غير ان الجمع نظراً لقانون ٣٦ المتجدد في قانون ١٣٤ من قوانين أسلافه الذي فتحوا ان كل اكليروس يستانف دعواه ضد أسقفه في عبر البحر لا يقبل في أفريقيا البتة اعتبروا ان البابا داخل بطرق المحبة لا الحكم فقبلوا القس ابياريوس وفي هذه الاثناء توفي البابا زوسيموس وأخلفه بونيفاتيوس فكتب له الجمع رسالة شرح له فيها ما أجراه ووعدده ان يحافظ موقفاً على ما اشتملت عليه اللائحة التي سلمها له نواب سلفه المذكور فيها وجوب استئناف حكم الاساقفة الى بابا رومانية أي الى حين ترد اليهم نسخ مجمع نيقيا الصحيحة من الكنائس الكبيرة حتى اذا وجدت مطابقة لما في تلك اللائحة يثبت ويقر عليه ويسير بموجبه دائماً وكان الجالس على كرسي الاسكندرية صاحب الترجمة وعلى الكرسي القسطنطيني اتيكوس فأرسل كل منهما نسخ مجمع نيقيا مصحوبة برسالة فقابل الجمع هذه النسخ المرسولة من كيرلس واتيكوس فوجدها مطابقة للترجمة الافريقية الحالية من دعوى زوسيموس وأرسلوا من ثم الى البابا بونيفاتيوس تلك النسخ مع الاشخاص الذين أحضروها من الشرق فأخذ البابا تلك النسخ وقرأها واقنع بها

وحدث ان ابياريوس رجع الى حالته القديمة فحرمه الجمع وكان بونيفاتيوس قد توفي وقام بدله كلستينوس فاستنجد ذلك القس فقبله البابا وأرسله بحجة أسقف الى مجمع قرطاجنة مؤكداً عليه ان يعصب الاساقفة على قبول القس فأبى الجمع الا قطعته ولم

يكثرت بأوامر البابا بل حرره رسالة بسط له فيها المسألة من الاول الى الآخر ومنها ما يأتي : وأما من جهة ارسال أشخاص من جانب قدسك فلا نجد ذلك محدداً في مجمع من مجامع الآباء لان ما أرسل من عندكم قديماً بواسطة أخينا الاسقف فافستينوس نفسه كان مأخوذاً من مجمع نيقية لم نستطع أن نجد شيئاً مثله في أصدق نسخ مجمع نيقية التي تحصلنا عليها من أخينا كيرلس الجليل القداسة أسقف كنيسة الاسكندريين ومن أتيكوس المكرم أسقف القسطنطينية وقد أرسلت لنا عن النسخ الاصلية وقبل هذا العهد أرسلت منا الى سلفكم المكرم الذكر الاسقف بونيفاتوس بواسطة القس اينوشنيوس والابود ياكن مراكس اللذين أرسلت لنا بواسطتهما من ذينك الاسقفين (٣) كان ابناء الكنيسة الشرقيون والغربيون يعلمون في المسيح أنه واحد بالوحدة الطبيعية والاقلومية وكان بعضهم يعبرون عن ذلك بأن اللاهوت اتحد بالناسوت اتحاداً طبيعياً وجوهرياً وذاتياً أو بان الاتحاد بين الطبيعتين هو طبيعي الح والبعض الآخر يقولون بأن الله الكلمة صير الجسد معه واحداً أو ان اللاهوت والناسوت هما واحد وغيرهم يقولون ان طبيعة واحدة للكلمة المتجسد وكل منهم لكي يجتنب في عبارته ما يتوهم الانسان انه على مذهب ابوليناريوس اللاذقي يجتهد أن يؤيد كمال جوهر الناسوت وان المسيح ذو جسد ونفس حقيقيين كاملين ولكي يجتنب في قوله ما يوهم انه على مذهب اريوس يجتهد ان يثبت في المسيح حقيقة الجوهر اللاهوتي الكامل ولكي تمكن من الوقوف على حقيقة هذه المبادي ندرج هنا أقوال بعض المؤرخين . قال موسهيم المؤرخ الانكليزي (كان دأب العلماء ان يختلفوا في التعبير عن أفكارهم في هذا السر فالبعض استعملوا عبارات تدل على تمييز ابن الله عن ابن الانسان تمييزاً عظيماً وعلى وجود شخصين في المسيح والبعض البسوا ابن الله بابن الانسان واعتقدوا باتحاد الطبيعتين وبتركيب طبيعة واحدة منهما فالعلماء السوريون والشرقيون اختلفوا عن علماء الاسكندرية . وقال ان افتيخس الهرم لكي يلاشي معتقد نسطور خصمه الاله شرح التعليم في شخص المسيح على نسق المصريين مقررأ ان في المسيح طبيعة واحدة أي طبيعه الله المتجسد وقال ايضاً ان ديسقوروس الذي في كنيسته كانت تعلم نحو هذه الاشياء عنها التي علم بها افتيخس دبر بحسداقة وساس كل الاعمال حتى انتصر التعليم

بطبيعة واحدة متجسدة (قرن ٥ ق ٢ ف ٥ : ٥ و ١٣ و ١٤) وقال المؤرخ شارب الانكليزي في الجزء الثاني في الفصل العشرين من تاريخه وبما ان مذهب افنيخس كان منطبقاً تمام الانطباق على مذهب الكنيسة المصرية قام ديسقوروس أسقف الاسكندرية له منتصراً

قال الاب الارشندريتي جراسيموس مسرة في الجزء الاول من تاريخ الانشقاق وجه ١٩١ ما هو ٠ ان مدرسة الاسكندرية كانت تعتقد بكمال الطبيعة البشرية في شخص المخلص ضداً لتعليم أبوليناريوس وبكمال الطبيعة الالهية ضداً لتعليم اريوس ولكن تعبير معلما كان غير معين في ايضاح وجه الاتحاد الطبيعتين واحتلف بعد ذلك عن التعبير الكنائسي المعين فقالوا مثلاً بالاتحاد الطبيعي والاتحاد الشخصي والاتحاد الجوهرى بين الطبيعتين وبعضهم نظروا الى الطبيعة الالهية بنوع خصوصي وقالوا بطبيعة واحدة متجسدة وماغنوا بكل ذلك سوى الاتحاد الحقيقي بين لاهوت الكلمة وناسوته وان الاله المتأنس شخص واحد وليس اثنين — وقال في وجه ١٩٢ وكان معلوما الغرب على الغالب متفقين مع الاسكندرانيين في المنهج والتعبير كما يتضح من رسائل يوليوس بابا رومية الى ديوناسيوس الاسكندري في أواسط القرن الرابع حيث ينكر الاعتراف بطبيعتين استناداً على قول الانجيل (والكلمة صار بشراً) وقول بولس (رب واحد يسوع المسيح) ويعترف بطبيعة واحدة لللاهوت الغير متألم والناسوت المتألم)

وقد غلط هذا الارشندريتي في عزو رسائل يوليوس البابا الروماني الى ديوناسيوس الاسكندري لما بين هذا وذاك من مدة مئة سنة تقريباً فان ديوناسيوس الاسكندري كان في أواسط الحيل الثالث وقد ارتقى كرسي الحبرية سنة ٢٤١ م وتوفي سنة ٢٦٢ م راجع وجه ٤٤ من هذا التاريخ وأما يوليوس الاسقف الروماني فكان في أواسط الحيل الرابع وكان من المعاصرين له من بطارقة الاسكندرية اثناسيوس الرسولي الذي رقد بالرب سنة ٣٦٤ م وقد اقلنى أثر الارشندريتي بغلطه هذا حضرة القمص فلتاوس في كتاب الحججة فاستحق هذا المقندي وذاك القائد ان يصوب نحوهما صاحب كتاب سقوط الحججة سهام الملامة ويبين غلطهما حتى التزمت جريدة الحق ان تستدرك اصلاح هذا الخطاء في

عدد ٥١ من السنة الثالثة والصحيح ان رسائل يوليوس كانت الى ديوناسيوس أسقف قبرص لا الى ديوناسيوس أسقف الاسكندرية وهذا نعلمه من رسالة الانبا يوحنا البطريك الانطاكي التاسع والثمانين من عدد بطاركة انطاكية التي أرسلها وهو مأسور في بلاد الروم الى البابا مينا الاسكندري البطريك الحادي والستين من عدد بطاركة الاسكندرية وضمنها عدة أقوال للآباء تؤيد القول بالطبيعة الواحدة لله الكلمة المتجسد وقد أورد من أقوال يوليوس أسقف رومية ثلاث عبارات كل واحدة تتضمن الاعتراف بالطبيعة الواحدة واحدى هذه العبارات من رسالته الى أسقف قبرص وهي قول الانبا يوحنا (وله أيضاً من رسالته الى ديوناسيوس أسقف قبرص : يضطرون اذا اعترفوا بطبعين ان يسجدوا للواحد والا يسجدوا للآخر وان يعتمدوا بالالهي والا يعتمدوا بالناسوتي :

ولكيما نقف على أقوال الآباء المؤيدة لمبادئهم في الاعتقاد بسر التجسد كما أشرنا الى ذلك وأثبتناه من المؤرخين نذكر شذرات من تلك الاقوال على سبيل الاعتبار ونستغني بها عن النصوص المطولة وهي هذه

من رسالة اناسيوس الرسولي الى يوبيانوس الملك . انه يجب ان نعتقد بطبيعة واحدة واقنوم واحد لله الكلمة المتجسد المتأنس بالكامل ومن لم يقل كذلك فانه يخاصم الله وينازع الآباء القديسين

ومن مقالة لهذا الرسولي على سر التجسد : نحن نعترف به (أي المسيح) انه ابن الله بالروح وابن البشر بالجسد واسنانقول بأن هذا الابن الواحد طبيعتان واحدة نسجد لها والاخرى لا نسجد لها بل طبيعة واحدة للكلمة المتجسد الذي يسجد له مع الجسد سجوداً واحداً .

من رسالة يوليوس أسقف رومية الى ديوناسيوس أسقف قبرص : ان اللاهوت والجسد هما واحد لا يتقسم طبيعتين . . . يلزم الذين يعتقدون بطبعيتين ان يسجدوا للواحدة والا يسجدوا للاخرى وان يعتمدوا بالتي للاهوت لا بالتي للناسوت فان كنا نعتقد بموت الرب فهو طبيعة واحدة نعترف بها للاهوت الغير المتألم وللجسد المتألم . وهذه الشهادة هي التي أوردتها الاب جراسيموس مسرة وذكرناها سابقاً

من مقالة لغيريوريوس التاولوغس على التالوث المقدس . ليس المسيح طبيعتين من بعد الاتحاد وليس هو مفترقاً ولا مختلطاً فيما اجتمع من الجهتين . ان طبيعة اللاهوت وطبيعة الناسوت اجتمعتا الى وحدانية

من المقالة الثالثة لتفسير يوحنا من الذهب لرسالة أفسس (اني لا أقول) (عن المسيح) انه انسان وانه منغلز وحده باقنومه أو منفرد عن الله الكلمة ليصير اثنين ابن الله وابن انسان لكني آيين الامر ان الله الكلمة أخذ له انساناً كاملاً من طبيعتنا وهو أي الكلمة كامل في كل شيء ولذلك نقول عنه انه طبيعة واحدة للكلمة الذي صار جسداً وصار انساناً . . . نحن نعرف الذي منا المتصل بالكلمة بوحداً لا ينطق بها بغير افتراق وكما ان الجسد لم ينقل جوهر اللاهوت هكذا ان اللاهوت لم ينقل الجسد قال (المسيح) اني صاعد الى أبي وبعد هذا قال واهي أي اني اله واني انسان معاً واني واحد فقط أقول هذا وذلك لاني قبلت كل ما للبشر مما ليس فيه خطية أي اني أخذت الناسوتية بالحقيقة وهكذا دعوت أبي الهى كما يابق بالجسد الذي صيرته واحداً معي) ومن أقوال هذا الاب كما أورده (يروني اليسوعى في كتاب مختصر المقالات اللاهوتية في الجزء الثالث وجه ١٦٨) ان الله الكلمة والجسد هما واحد بالوحدة والاتحاد دون اختلاط أو تغيير الجوهرين بل باتحاد غير موصوف وغير منقسم) من مقالة للاب كيرلس الكبير في تعليم الموعوظين (ان ربنا الكلمة الاله الذي من الاب خلق له جسداً كاملاً . . . وصيره واحداً معه كطبيعته الالهية من الرحم بما لا يدرك . . . انه تألم وذاق الموت بالجسد بارادته على الصليب وهو واحد مع الجسد الذي ذاق به الموت .

ومن مقالة هذا الاب على التالوث كرر هذا القول (ان طبيعة المسيح واحدة غير مفترقة) مرتين وفيها ايضاً ذكر (ان الجسد واحد مع اللاهوت) دفعتين وفي رسالته الى يوحنا المتنسك قال هذه العبارة مرة واحدة

من رسالة هذا الاب الى نسطور (ان الكلمة تجسد وصار واحداً مع النفس الناطقة والجسد . . . ان كلمة الله غير مائة وغير متغيرة وهو الحياة والمحى الكل وهو واحد مع جسده . . . ومن أجلنا ومن أجل خلاصنا صار واحداً مع الناسوت . . .

نعترف بالواحد المسيح الرب ولسنا نحن مثل من يسجد للانسان والكلمة لان الجسد ليس غريباً من الكلمة بل هو واحد معه فقط

من رسالته الى يوحنا بطريرك انطاكية . صارت وحدانية الطوائف ولاجل هذا نعترف بمسيح واحد ورب واحد وبهذا الفكر الذي للاتحاد (الذي) من غير اختلاط نعترف ان العذراء القديسة ولدت الله الكلمة الذي تجسد وصار انساناً والجسد الذي اتخذته منها صيره واحداً معه من الوقت الذي حبل به .

وذكرت عبارة صبرورة الكلمة واحداً مع الجسد في رسالة مجمع الاسكندرية الاقليمي الى نسطور وفي حرمه الثاني من حرومه الاتي عشر وقال هذا المجمع في حرمه الخامس (من يجسر ويقول ان المسيح انسان لابس الله وليس الهاً بالحقيقة وابناً واحداً بالطبيعة لان الكلمة صار جسداً وشارك اللحم والدم مثلنا فليكن محروماً .

ومن رسالة الاب كيرلس الى سوثينوس أسقف قيسارية مجاباً على سؤاله الذي هو (هل يجب ان يقال ان المسيح طبيعتان أم لا) ان الكلمة الذي من الله الاب بما لا نعرفه أو نطلق به صير الجسد واحداً معه وله نفس عاقلة ونحن نقول عن الكلمة الذي من الله الاب انه صار واحداً مع جسده المقدس . . . ان الطبيعتين اجتمعتا طبيعة واحدة ومن بعد الاتحاد لا نفرق بينهما من بعض ولا نقسم الواحد الغير المتقسم ونجعله اثنين بل نقول انه ابن واحد وحيد مثلاً قال آباؤنا انه طبيعة واحدة للكلمة الذي تجسد

ومن رسالته الثانية لهذا الاسقف . ان أولئك القديسين لم يكونوا غير عالمين بأن الجسد الذي صار واحداً مع الكلمة له نفس عاقلة والذي يقول ان الكلمة صار جسداً بين انه لم يصبر معه واحداً بغير نفس عاقلة . . . نحن نقول انه من بعد الاتحاد طبيعة واحدة لابن الذي تجسد

ولكم يا تحقّق القاري ان هذه النصوص التي أوردتها هنا هي صحيحة الترجمة والنقل ومنسوبة بوجه الصواب لأربابها أورد له شيئاً من رسائل الاب كيرلس المدرجة في كتاب مجمع أفسس الذي استحضره السعيد الذكّر رزق بك جرجس باللغة العربية من

رومية ومن سوء البخت اني لم أتمكن من مطالعة هذا الكتاب بأكمله بل قد طالعت الجزء الاول منه فقط والشواهد الآتية هي من هذا الجزء

من رسالة الاب كيرلس الى متوحيدي مصر . ان عمانوئيل الرب الواحد يسوع المسيح مركب من شيئين أي من اللاهوت والناسوت

من رسالته الى تاودوسيوس الملك (ص ١٥) ومن أجل ذلك اذ جمع بولس الاطلي اللاهوت والناسوت الى واحد مع انه يوجد بينهما فرق عظيم لا قياس له من جهة ذاتيتهما بين ان من كليهما قد تألف مسيح واحد الله واحد ابن واحد

من هذه الرسالة أيضاً (ص ٣٩) اننا لا نعري الناسوت من اللاهوت ولا نعري الكلمة من الناسوت بعد ذلك الاتحاد الغامض الذي لا يمكن تفسيره بل نعترف ان المسيح الواحد من شيئين قد اجتمعا الى واحد وتألف من كليهما لا يهدم الطبيعتين ولا باختلاطهما بل باتحاد شريف للغاية

من رسالة له وللمجمع الاسكندرية الى نسطور . انه لما كان (الكلمة) حيوة بالطبع بما انه الله فلما صار واحداً مع جسده منحه للحين قوة ليعطي

(٤) واذا عرفت هذا فقول ان نسطوريوس الذي من مرعش وراهب دير مار ابرويوس بجوار انطاكية قرأ علومه على ثيودورس المبسوستي واشتهر بالفصاحة ولكنه كان دنيء التربية وعاتياً وجاهلاً عديم الفطنة فانتخبه الملك تاودوسيوس الصغير بطريقاً على القسطنطينية فلما رقى هذا المنصب الرفيع وعظم شأنه سلك للكبرياء والعظمة كل مسلك وأعجب بذاته وكان يوماً ما يعظ في الكنيسة فوجه خطايه نحو الملك قائلاً : استأصل أيها الملك ممي الهراطقة وأنا أستأصل معك جنود الفرس وأملكك فوق ذلك جنة الخلد فلم يلبث مدة حتى سقط في الارطقة مجدفاً على الكلمة المتأنس فيز الاله على جانب والانسان على جانب آخر وفصل المسيح الى طبيعتين وأقومين واستتج من هذه المقدمات أمرين أحدهما ان العذراء لم تلد سوى الانسان ولذلك لا يجب ان تلقب بام الاله والثاني ان الاله لم يولد ولم يتألم ولذلك لا ينبغي ان يقال ان الاله مات فهذه الامور جرأته على ان يقص من ترثية الثلاث تقديسات العبارة الاخيرة التي تدل على ولادة الاله من العذراء وصلبه وقيامته وهي بعد قوله (قدوس

الله قدوس القوي قدوس الذي لا يموت) فويلهم (يا من ولدت من العذراء ارحمنا
يا من صلبت عنا ارحمنا . يا من قت من الاموات وصعدت الى السموات ارحمنا .)
فلا وقع تعليمه في آذان الشعب القسطنطيني موقع الاستغراب اهانود وتظاهروا
ضده في الشوارع وفي الكنائس فقابل هو ذلك بشديد المعاملة أيضاً ثم عقد مجمعا
وحرّم جميع الذين يذهبون ضد تعليمه وهكذا أخذت آراء نسطور تمتد الى الجهات
ووصلت الى الاسكندرية حيث كان على كرسي أسقفيتها القديس كيرلس مشهوراً
بشدة الفيرة على العقائد الدينية فكُتب رداً على هذه الآراء في رسالة الى متوحيدي مصر
وأيد الحقيقة الارثوذكسية بأدلة دامغة فانتشرت حالاً هذه الرسالة وأخذت منها نسخ
الى جهات مختلفة حتى وصلت الى العاصمة فاغتاز نسطور مما احتوت عليه وأمر
افوتيس أحد كهنته ان يرد عليها ويبرره من كل وصمة ضلال ففعل مبرراً نسطور
من عيوب الهرطقة وراشفاً كيرلس بمذمات فظيعة ناسباً اليه كل خلة رديئة مريداً
بذلك ان ينزله من اعتباره امام الناس . أما كيرلس فبصفة كونه مرشداً ومخلص
النصيحة وخالي الغرض كتب رسالة الى نسطور برر ذاته بها مما اتهم به وأوضح له
مبادي الايمان القويمة وأعلنه انه غير خاش من بأسه وانه مستعد للدفاع عن الحقيقة
حتى الموت فرد نسطور على كيرلس بخطاب مختصر استنسخ منه القديس انه غير
راض بالعدول عن وخامة معتقده . وكان لبطاركة الاسكندرية وكلاء في العاصمة
يقضون ما يلزم البطريركخانه من المهام والمصالح في البلاط الملوكي فخطبهم ان
يلاحظوا جميع تصرفات نسطور ويخبروه بها وفيما كانوا ساعين بتنفيذ طلب كيرلس
أخبرهم بعض كهنة نسطور بأن معلمهم ليس غريباً عن الايمان المستقيم وانه
يرغب جداً بالصلح والسلام . فمع كون الوكلاء لاحظوا من نسطور ما يتنافى هذا
الامر قد أخبروا أسقفهم بما سمعوا ثم أعرضوا عليه صورة اعراض مضمونها ان
نسطور اراثيكياً واستأذنوا منه اذا كان يراها موافقة ان يأمرهم بتقديمها الى الملك
فبعد ما اطلع كيرلس على هذه المحررات أمر وكلاءه ان يؤخروا تلك الاعراض
ويسعوا عند نسطور بأمر الصلح بشرط ان يحرر له صورة اعتراف الايمان القويم
ويرفض مباديه الاولى الحكي يشهر براءته من عيب الهرطقة في كل العالم المسيحي وكتب

مثل ذلك الى نسطور وحرر رسائل أخرى الى العائلة القيصريّة شرح فيها سر التجسد فلما وقف نسطور على مضمون رسالة كيرلس أجاب عليها بخطاب مملوء من روح الحشونة والافتخار زاعماً ان تعليمه قويم وحيد لا يتخلله نقص ولا فساد . فعقد الاب كيرلس مجمعا في الاسكندرية عرض عليه كل رسائله فانتصوبها المجمع وحكم بصحتها وفعل نسطور بعكس ذلك وكتب لكثيرين من الاساقفة ولاسقف رومية أيضاً وهو البابا كاستينوس اذ ذاك الحين فلما بلغ البطريرك كيرلس ذلك كتب هو أيضاً للبابا ولغيره من الاساقفة وأفادهم ان الارثوذكسية تحت خطر عظيم بسبب تعليم نسطوريوس وأرسل رسالة البابا مع واحد مخصوص اسمه بوسيدونيوس وأوصاه ان يلاحظ ويفهم فاذا كان نسطوريوس كتب للبابا كما بلغه فيعطيه الكتاب وان كان نسطوريوس لم يكتب له فلا يعطيه فلما وصل الرسول علم ان نسطوريوس كتب للبابا فدفع هو أيضاً كتاب كيرلس له ومن ثم عقد البابا مجمعا حكم بعدم استقامة تعليم نسطوريوس وكتب رسائل الى رؤساء كهنة الشرق وكان قرار هذا المجمع يتضمن التهديد لنسطوريوس بقطع العلاقات منه اذا لم يرجع عن رأيه في مدة عشرة ايام فأرسله المجمع الى كيرلس لكي يعلنه لنسطوريوس فلما وصلت تحارير البابا كتب البطريرك كيرلس أيضاً رسائل الى رؤساء كهنة الشرق وطلب اليهم ان يقنعوا نسطوريوس بالرجوع عن رأيه ومنهم اكاكيوس مطران حلب الشيخ البالغ يومئذ من العمر مئة سنة ثم عقد مجمعا في الاسكندرية كتب رسالة الى نسطور يعلمه فيها كيف يجب أن يؤمن و اضاف اليها اثني عشر بنداً يشتمل كل بند منها على قضية وحرم ضد الذين يعلمون الخلاف وكلفه ان يمضي عليها فاعتبرها نسطوريوس غير مستقيمة وكتب ضد كل بند منها بنداً ختمه بحرم ثم نشرها في الشرق فكتب كثيرون من الاساقفة ضدها ومنهم اندراوس اسقف سميساط وخصوصاً تاودرتوس أسقف كورش كتب ضدها بايعاز من يوحنا بطريرك انطاكية اثني عشر فصلاً وكتب مؤلفاً في تجسد الكلمة ضد كيرلس وابيا أسقف الرها كتب رسالة دافع فيها عن نسطوريوس وهكذا انقسمت الكنيسة الى شطرين فكانت كنائس رومية واورشليم وآسيا الصغرى تابعة للبطريرك كيرلس وكنيسة انطاكية تابعة لنسطوريوس .

وكان الكيوس القسطنطينية جاهر بالمقاومة لنسطوريوس فطردهم واضطهد بعضهم فكتبوا كتاباً للقيصر تاودوسيوس الصغير يطلبون اليه ان يعقد مجعاً مسكونياً وينصفهم فقبل القيصر طلبهم ونادى بالتأم المجمع في أفسس وعين لافتتاحه يوم عيد الفصرة فبعد ما أكمل الآباء مراسيم عيد الفصح بدأوا يتقاطرون الى تلك المدينة فحضر أولاً الاب كيرلس ومعه خمسون أسقفاً وكذلك حضر نسطور وبرفقه أربعون أسقفاً من الخاضعين لسلطانه وحضر يوبينا يوس أسقف أورشليم وحضر غير هؤلاء أساقفة كثيرون من جهات مختلفة وأما الملك فخوفاً على تقيد حرية المجمع لم يستحسن ان يحضر فيه بل اكتفى بأن يرسل معتمداً من قبله اسمه كانديدانوس كان محافظاً أولاً للعائلة الملكية وأمره ان يلازم الحياة ويلاحظ سلام المجمع غير ان أساقفة الشرق ويوحنا الانطاكي ونواب كنيسة رومية تأخروا عن الحضور . وقبل ان يأتي اليوم المعين لافتتاح أول جلسة كان كثيرون من المطارنة يترددون على نسطور ساعين في ان يجذبوه الى الاتفاق مع كيرلس أو يسمهوا منه شيئاً من مبادئه فلم يحصلوا من ذلك على طائل ولما حان الوقت المعين ولم يحضر المتخلفون بعد ومضى على هذا الوقت خمسة عشر يوماً وردت الى المجمع رسالة من أساقفة الشرق يعتقدون فيها عن ابطائهم ويعمدون انهم بعد خمسة أو ستة أيام يصلون ثم فهموا من مطرانين شرقيين نقلاً عن فم يوحنا الانطاكي بأنه لا حرج على الاساقفة اذا افتتحوا المجمع قبل وصوله الى افسس وخلاف ذلك أمور صحيحة استدعته أن يبادروا بالعمل فأرسل الآباء من ثم أربعة أساقفة الى نسطور يدعونه الى الحضور في المجمع في اليوم التالي فأجابهم أنه لا يرى في حضوره الى المجمع ضرورة وهكذا أجاب كل واحد من الاساقفة الذين معه ثم أعيدت دعوة ثانية وثالثة فكتب تحريراً لكيرلس موقفاً عليه من ١٦ مطراناً و ٥٠ أسقفاً يقول فيه انه لا يحضر الى المجمع قبل وصول يوحنا وأساقفته فلم يبال الآباء بذلك وابتدأوا بعقد الجلسة الاولى وفيها تليت رسائل كيرلس وبنوده الاثنا عشر ورسالة كلستينوس الى نسطوريوس والى أساقفة الشرق وقرار مجمع رومية وقرار مجمع الاسكندرية فصدق عليها وصدق على الاحكام التي ضد بيلاجيوس وكلستينوس وحتم بأن لا يسن قانون ايمان غير دستور الايمان المعروف وأن لا يزيد أحد فيه

ولا ينقص منه شيئاً وحرم كل من يفعل خلاف ذلك وسن ثمانية قوانين ومن القانون الثامن العبارة الآتية وهي (لا يجوز لاحد من الاساقفة الوقورين أن يمد يده الى أبرشية غير أبرشية ليست له من القديم ومنذ البدء تحت رئاسة أسلافه وإن كان أحد وضع يداً واعتصب أبرشية وجعلها في دائرة فليردها لكي لا تخالف قوانين الآباء ولا يدخل دخان سلطة عالية تحت برقع الخدمة الكهنوتية ولا نضيع الحرية رويداً رويداً ونحن غافلون . الحرية التي منحها لنا بدمه الخاص ربنا يسوع المسيح محرر جميع البشر فقد رأى المجمع المسكوني المقدس أن تحفظ لكل أبرشية حقوقها القديمة القائمة لها منذ البدء سالمة صحيحة وفقاً للعادة المرعية منذ القديم بأن كل ميتروبوليت له الرخصة أن يحصل على المساواة في الاعمال لصيانه وإن برز أحد بقانون يخالف القوانين المسنونة الآن فقد رأى المجمع المسكوني المقدس أن يكون ذلك لاغياً)

وأما فيما يخص بالحكم ضد نسطوريوس فقالوا ما نصه (من المجمع المقدس الملتزم في مدينة افسس هذه الميتروبوليتية برحمة الله تعالى وبموجب مراسيم ملكنا الكلي العبادة والحسن الديانة الى نسطوريوس يهوذا الثاني . اعلم أنه لاجل تعاليمك التفافية وعصاوتك على القوانين قد عزلت وقطعت من هذا المجمع المقدس بموجب قوانين الكنيسة وحكم عليك بأنك مفروز من كل درجة ومعدوم كل وظيفة وغريب من كل خدمة كنائسية) هذا ما صار في اول جلسة من جلسات المجمع

فلما سمع أهل افسس بهذا الحكم فرحوا فرحاً عظيماً ولكن لم يمض على هذا الفرح مدة حتى انقلب الى حزن فانه من بعد خمسة أيام وصل يوحنا الانطاكي ومعه اثنان وثلاثون أسقفاً وبحال وصوله أرسل المجمع نواباً من قبله وأفاده قطع نسطوريوس فتكدر يوحنا من ذلك واعتبر عمل المجمع عجلة ونسب كيرلس الى الاستبداد ثم عقد مجمعاً مؤلفاً من نحو أربعين أسقفاً حكم فيه بالقطع على كيرلس وميمين حكماً غيابياً بصفة ظالمين وحكم أيضاً بمثل ذلك على سائر الاساقفة الذين قبلوا قرار المجمع بلا فحص ولا ترو الى ان يجتمعوا ثانية ويلغوا ما قرروه ويحرموا بنود كيرلس الاتي عشر وأرسل عمل المجمع الى العاصمة وكتب للمجمع وللقيصر ولاكليروس وشعب

القسطنطينية والمجلس الأعلى المدني والملكة يفيدهم قطع كيرلس وميمن وأسباب
ابطائه ويطعن بنود كيرلس ويطلب إعادة فحص القضية . وفي هذه الاثناء حضر
نواب البابا وهم الاسقفان اركاديوس وبروياكتوس والقس فيلبس فاجتمع مجمع كيرلس
مرة ثانية وتليت تحارير البابا الجديدة وأعمال الجلسة الاولى وفي اليوم التالي عقدت
جلسة ثالثة أمضى فيها نواب البابا على الاعمال السابقة ثم عقدت جلسة رابعة بناء على
استدعاء من كيرلس وميمن ضد البطريك يوحنا لقطعه اياها فدعي يوحنا مرتين ليحكي
أسباب قطعهما فأجاب انه لا يستطيع ان يشترك مع مقطوعين فمقدت في اليوم التالي
جلسة خامسة ودعي يوحنا مرة ثالثة بانذار فأرسل رئيس شماسه الى المجمع ومعه
كتاب فيه الجواب فأجاب المجمع بانه لا يريد كتاباً بل يطلب يوحنا شخصياً فأجابهم
يوحنا انه ينتظر أمر الملك فحكم المجمع من ثم بالقطع على يوحنا وعلى ثلاثة وثلاثين
أسقفاً معه وبرأ كيرلس وميمن . أما الملك فلما وصلت تحارير يوحنا الانطاكي اليه أرسل
خطاباً الى كيرلس وللذين معه يوجههم على تصرفهم وأمر بأن لا يذهب أحد من
افس بل يجتمع الاساقفة عموماً ويقرروا قرارات جديدة فأرسل كل من الفريقين
يطعن الملك بحق الآخر ويؤكد له حسن صنيعة وحذراً من ان تقع تحارير مجمع
كيرلس في أيدي اضدادهم اتدبوا رجلاً أميناً وسلموه التحارير ضمن عكاز
من قصب يتوكأ عليه وأمره ان يجوز برأ وبحراً بصفة فقير يستعطي
الى ارشمندريت ناسك اسمه ذلساتيوس كان ملازماً قلايته ثماني وأربعين سنة
لم يخرج منها وكان القيصر يزوره أحياناً فلما وصلت اليه كتابات المجمع ووقف
على مضمونها جمع الرهبان وقرأها عليهم ففرحوا بذلك وذهبوا معاً والشعب
من ورأهم الى ان جاؤا الى القيصر فتقدم اليه ذلك الارشمندريت وطلب
اليه ان يحضر عنده نواب من قبل المجمع ويفيدوه حقيقة الحوادث فوعده ثم نزل الى
الكنيسة وخطب الشعب بأن القيصر موافق للمجمع فصرخ الشعب بالحرم ضد
نسطوريوس ثم حضر نواب المجمع الى القيصر وأعرضوا له ما كان في افسس فطالب
خاطره على كيرلس غير ان كوناً غير فكر القيصر فاختار في ماذا يفعل فأشار عليه
أكاكيوس أسقف حلب ان يقرر عزل نسطوريوس وكيرلس وميمن ففعل وفوض

هذا الامر الى الكونت يوحنا خازن المملكة فذهب هذا الى افسس وقبض على كيرلس وميمن وسلمهما الى الكونت يعقوب أما نسطوريوس فاحتفظ به المعتمد فبادر الجميع وأرسل تحارير الى شعب العاصمة يشكي من الظلم الذي أجراه القيصر بكيرلس وميمن فبادر الشعب الى الملك وطلب اليه أن يستحضر من كل حزب سفارة مؤلفة من ثمانية أشخاص فلما حضرت السفارتان وسمع دعوى كل منهما أمر باعادة كيرلس وميمن الى منصبهما وأصدر أمراً بنفي نسطور الى دير بقر انطاكية ونصب على كرسي البطريركية عوضه واحداً من سفارة كيرلس اسمه مكسيميانوس وأمر الاساقفة الذين في افسس أن يرجعوا الى أوطانهم

وهذه المساعي المقصود بها شفاء داء الانشقاق واتحاد الكنائس مع بعض عادت بالعكس لان أساقفة الشرق بأكملهم ويوحنا في مقدمتهم رفضوا أحكام الجميع واعتبروا أعضاءه لصوصاً وكيرلس ذنباً خاطئاً وتمسكوا بمبادئ نسطور فساء هذا الامر في أعين القيصر وبنيصيحة البطريرك مكسيميانوس دعا كيرلس الاسكندري ويوحنا الانطاكي وأمرهما أن يتحدا ويتفقا معاً فأخذت تتبادل بينهما المراسلات فأرسل كيرلس الى يوحنا شماسين برسالة تتضمن قبوله اياه في شركة الكنيسة ان كان يوقع على الصك الذي بأيديهما المتضمن عزل نسطوريوس ورفض ارتقته فقبل يوحنا هذا الصك ووقع عليه بعد أن غير منه بعض عبارات وأرسله الى كيرلس برفقة بولس مطران حمص وكانت رسالة القديس اثناسيوس التي أرسلها الى أنيكطس أسقف قورثية قد وقعت بأيدي الحزب النسطوري وزادوا عليها ونقصوا منها وغيروا فيها حتى أصبح القاري يظن أنها نسطورية المذهب فلما حضر بولس مطران حمص الى كيرلس واعترض عليه بفحوى هذه الرسالة أخرج نسختها الاصلية وقرأها امامه فلم يجد فيها المطران ما وجده في غيرها من النسخ التي نقلت عنها فافتشع بها وأخذ منها صورة ودفعها الى يوحنا الانطاكي (كذا روي القديس كيرلس في رسالته الاولى الى سوقيوس أسقف قيسارية) وكانت بنود كيرلس الاثني عشر موضوع ريب لدى يوحنا وأساقفة الشرق فطلب الى كيرلس أن يزيل منها ما يوجب الريب فكتب على كل بند إشرحا وهكذا تسالم البطريركان أما أساقفة الشرق فلم يرضوا بهذه المسالمة ورفضوا الاشتراك

مع كيرلس ومع يوحنا معاً وخرجوا من تحت طاعة هذا الأخير واستقلوا بأبرشيائهم وقويت شوكتهم في المدن الشهيرة وهكذا قامت شيعة جديدة لقبت بالنساطرة وأقامت لها بطريركاً خاصاً اسمه (جاثليق) أي العام وكان قوي حزمهم في أيدينا وجعلوا فيها مدرسة شهيرة فلما أصدر الملك بنقل نسطور الى مدينة اخيم من أعمال الصعيد وأمر بطرد حزبه من تلك المدينة انتقلوا حالاً الى نصيبين حيث سقف أخذهم جاثليقاً ومن ثم انتشروا في بلاد القرس والعجم وأشور وبر الاناضول والعاصمة وفي أقرب وقت ترجوا الى اللغة السريانية والى غيرها من اللغات المنتشرة في تلك البلاد أقوال نسطور معلمهم وكتابات معلمه تيودورس أسقف كورس ورسائل ديودورس الطرسوسي أما الاب كيرلس فتوفي سنة ٤٣٥ م

البابا ديوسقوروس البطريك الخامس والعشرون سنة ٤٣٥ م — ٤٥٠ م

(١) أوطاخي والحكم عليه بالبدعة بمجمع اقليمي وتبرئته منها بمجمع مسكوني تحت رئاسة البابا ديوسقوروس (٢) التام مجمع مسكوني آخر للنظر في أحكام المجمع الذي كان قبله وانقسام المجمع على ذاته بسبب قبول فريق منه وقضائه لرؤوس الشيعة النسطورية وبسبب معاملته لديسقوروس معاملة جور (٣) بعض ملاحظات على هذا المجمع (٤) الاسباب التي اضطرت المسيحيون ألا يعتبروا هذا المجمع مجمعاً مسكونياً.

(١) انه لما كان سنة ٤٣٥ م توفي البابا كيرلس وأقام خليفة له أحد تلامذته المدعو ديسقوروس وكان ضريب معلمه مشهوراً بصرامة المبادي وشسدة الغيرة على العقائد الدينية ومن سوء البخت أنه قام على كرسي البطريكية بين تلك الفلاقل والانزعاجات التي كانت تكثف الكنيسة من كل جانب والاتقسامات التي تهددها في كل مكان فان مصالحة معلمه كيرلس مع يوحنا الانطاكي لم تأت بالعلاج الشافي لازالة تلك الاضطرابات الكنائسية التي نجمت عن تعليم نسطور النفاقي وعن تجنّد أشهر

علماء الشرق له فكان مركز بطيركية ديسقوروس حرجاً جدياً وأصبح محسوداً ومكروهاً نظراً لما حازه من توجيه انظار الملوك اليه وحرزه من المجد البادخ بسبب انتصاره على الشيعة النسطورية من سائر مراكر اسقفيات الشرق الشهيرة على انه بمقدار ما كان لهذا المركز البطيركي أخصام في الجهات الشرقية كان له بأكثر من ذلك منتصرون في جهات أخرى وقد وجدت أسباب كثيرة سهلت الطرق امام الشرقيين الذين كانت عداوتهم تزداد من يوم الى آخر لهذا المركز وجعلتهم يدركون غايتهم ومن أعظم هذه الأسباب أمران أحدهما ظهور هرطقة جديدة والثاني تعطش البابا للرئاسة الموهومة وهانحن آخذون بتفصيل ذلك . انه كان في القسطنطينية شخص يدعى اوطاخي رئيس دير رهبنة ابتدع تعليماً غريباً في سر التجسد فانه لكي يلاشي تعليم نسطوريوس ويضعف قوته ويستأصل أثره شرح التعليم المسيحي بعكس ما تشرحه الكنيسة وخالف مبادئها المستقيمة ومبادئ تعليم نسطور معاً معتقداً بامتزاج واختلاط طبيعة المسيح الالهية بطبيعته الناسوتية ومعتزفاً باستحاثهما فأول من تصدى لوطاخي وقاوم تعليمه تاودوريتوس أسقف كورش وكتب ضده واذ كان هذا غير مستقيم الرأي ورأس الحزب النسطوري وكان بالنظر لذلك لا حق له في الحكم على اوطاخي لان هرطوقياً لا يستقيم حكمه ضد هرطوقي قام الاب ديسقوروس ضده وكتب بحقه للبطيرك الانطاكي دامنوس واذ لم ثمر كتابته عند هذا البطيرك كتب ضد ذلك الهرطوقي للتيسر وأفاده ان الكنيسة الشرقية تكاد تعتق مذهب نسطور فأصدر الملك أمره بمنع تاودوريتوس عن الخروج من حدود ابرشيتيه ثم ان أوسابيوس أسقف دور يليوم أحداً نصار نسطورا أيضاً الناسجين على منوال ضلاله حاول ان يجذب أوطاخي الى معتقده ويجبره ان يعتقد بطيقتين في المسيح كما كان يلهج بذلك نسطور بدلاً مما انه كان يجب عليه ان يقوده الى نقطة تعليم مجمع افسس القويم ولمالم يستطع ان يقنع أوطاخي وذهبت مساعيه واجتهاداته بلا طائل شكاه لفلابيانوس أسقف القسطنطينية الذي كان ضريباً له في التشيع لنسطور فقبل شكواه وجمع عليه مجمعاً مؤلفاً من ثلاثين أسقفاً من الخاضعين لسلطانه والمرتشفين مياه تعاليم نسطور الفاسدة فوقع هذا المجمع على الحكم بقطع أوطاخي من كهنوته وبعطرده من وظيفته ولكنه

أثبت من وجه آخر مبادي نسطور وأيد القول بالطيغتين للمسيح وإذا كان لاوطاخي
اصدقاء في البلاط الملوكي من جهة وشاع بين الناس ان هذا المجمع سقط في بدعة
نسطوريوس بات الامر مستلزماً اجتماع مجمع مسكوني وكانت باباوات رومية في ذلك
الزمان ملجأ كل من وقع في هرطقة واعتاد كل من حكم عليه من مجمع بوجه الصواب
أو الخطأ ان يطلب نجاتهم لكي يتجنبوا له ويقبلوه في شركتهم فحضر أوطاخي جملة محررات
الى الملك والى لاون أسقف رومية والى أساقفة آخرين يستندب مجمع فلايانوس في الحكم
ضده ويوضح لهم ان هذا المجمع سقط في بدعة نسطور ويطلب استئناف فضيته امام
مجمع مسكوني فوردت اليه رسالة من لاون أسقف رومية يبارك في أعماله ويدعو له
ويعده باجابة طلبه وكذلك أجاب الملك طلبه وأصدر أمراً بانعقاد مجمع مسكوني في
مدينة افسس فلما سمع فلايانوس بطريك القسطنطينية بصدور هذا الامر وعلم بأن
المقصود بهذا المجمع اعادة فحص قضية أوطاخي واستئناف الحكم ضده أرسل سفارة
مؤلفة من رؤوس الحزب النسطوري الى أسقف رومية يستغيث به ويستدعيه الى
الاخذ بيده فلما شعر القويمو الرأي بهذه الحركة طلبوا الى الملك ان يمنع حضور
تاوذوريتوس أسقف كورش في المجمع فأرسل الملك رسالة الى لاون بابا رومية يطلب بها
حضوره فأرسل البابا نواباً من قبله ويدهم رسالة الى فلايانوس وهي المعروفة
بطومس لاون وأرسل الملك أيضاً ثلاث رسائل الى ديوسقوروس واحدة بعد أخرى يطلب
منه ان يحضر معه عشرة مطارنة وعشرة أساقفة ويبادر الى افسس ويقبل الارشندريت
برسوم في آباء المجمع بصفة قائم مقام جميع الارشيمندريتين الشرقيين ويمنع قبول
تاوذوريتوس ويفوض اليه رئاسة المجمع بقوله (اننا نظن ان بعضاً من تباع
نسطور يجتهدون وقصدتهم ان المذكور يحضر في المجمع المقدس فلاجل ذلك قد
تحسن برأينا ان نرسل لحضرتك هذه الرسالة وبها نعرف قدسك وقديس المجمع اننا
مقنعون بقوانين الآباء الاطهار ونوهب لقدسك سلطاناً ونجعلك مقدماً ليس فقط
في ما يخص تاوذوريتوس بل وبما يخص كل المجمع المقدس) ثم ان الملك عين اثنين
من معيته نائين عنه وأمرهما ان الذين كانوا قضاة في امر اوطيخا يكونون حاضرين
بالصمت بدون ان يجالسوا القضاة وارسلوا امره الى جهات كثيرة يدعوها الاساقفة

الى افسس فذهب منهم الى تلك المدينة مئة وثلاثون اسقفًا ونيف واجتمعوا في كنيسة المذراء وجلس الآباء اولهم ديسقوروس ثم نواب رومية ثم يوبناليوس البطريك الاورشليمي ثم دامنوس الانطاكي ثم فلابيانوس القسطنطيني ثم اسطفانوس الافسي ثم اسقف قيسارية وبعد قراءة رسائل الملك الى الاساقفة والى نوابه قال نائب الاسقف الروماني قد أرسل الاسقف لاون رسائل صديقتنا فأمروا بقراءتها فأجاب ديسقوروس وقال يقبل ما كتب قدس أخينا لاون ورفيقنا في درجة الاسقفية الى هذا المجمع المقدس العام . فقدمت الرسالة فقال القس يوحنا كبير الكتبة عندنا رسائل أخرى مرسلة من الملك الى اسقفنا ديسقوروس فأمروا بما تشاؤون فأجاب يوبناليوس أسقف بيت المقدس وقال نقرأ وتحفظ بين الاعمال . فقرئت الرسائل وبعد ذلك قال ديسقوروس قد ظهر لنا مضمون رسائل ملوكنا المسيحيين بانهم أمروا باجتماع هذا المجمع بسبب الخصومة التي حدثت في القسطنطينية . فإذا يكشف أولاً عما صار ثم ينبغي ذكر ما صار بعد ذلك في المجمع المقدسة فيما مضى من زمان فهي أمور واضحة التي فرضتها المجمع المقدسة وهي مشهورة حدود القوانين ولا يليق بنا ان نتجاوز عنها . وان ملكننا انما أمر باجتماع هذا المجمع من أجل أمور حدثت لا حتى نفسر اعتقادنا الذي فسر آباؤنا بل نفحص ان كانت الامور التي حدثت توافق فرائض آباء القديسين أم لا . فإذا وهو أمر واجب بأن نفحص أولاً الامور التي وقعت ونمتحن ان كانت هي موافقة لما شرع به الآباء القديسون أم لعلكم تريدون ان تحيدوا عن اعتقاد الآباء الاطهار . حينئذ قال المجمع المقدس ان كان أحد حدد فليكن محروماً . قال ديسقوروس اني أفحص في قوانين الآباء الذين اجتمعوا في نيقية وفي افسس لتتقض الامور التي حدثت ويثبت الايمان وليرضى بذلك جميع الناس . أجب المجمع المقدس وقال هذا يخلص العالم . قال ديسقوروس فان قلتم مجمعان لكنهما يخصان ايماناً واحداً . أجب المجمع وقال الآباء فرضوا كل شيء بنهاية الكمال ومن تجاوز ذلك فليكن محروماً فلا أحد ينقص ولا أحد يزيد فأجاب ديسقوروس وهو ممتلئ خوفاً ورعدة قائلاً قيل ان أخطأ رجل الى رجل يستغفر له من الله فان أخطأ الى الرب من يطالب من أجله . فإذا ان كان الروح القدس

جالساً بين الآباء كما هو واضح انه جلس معهم وأمر بما فرض منهم فمن أنكر ذلك فهذا أبطل الروح القدس . أجاب المجمع قائلاً كلنا نقول ذلك، لكن محروماً حينئذ قال أسقف بيت المقدس يجب ان يحضر أوطاخي ويحتج عن نفسه فحضر أوطاخي الى المجمع وبيده كتاب اعتقاده فأمر اسطفان اسقف افسس أن يقرأ فأخذه يوحنا كبير الكتبة وتلاه على سامع الجماعة المقدسة وبعد بقليل قال اليبسوس المقدم . فأصروا الآن ان رسمتم بقراءة بقية الاعمال بالتدريج على ما يحسن برأيكم . اجاب ديسقوروس قد نصف المقدم اليبسوس بقراءة الاعمال فليقل الاساقفة ان كانوا يرتضون بذلك اجاب المجمع وقال كلنا نرتضي بقراءة الاعمال التي صارت في مدينة الملك . قال ديسقوروس فليقل يوليانوس نائب قدس لاون ان كان يرتضي بقراءة الاعمال . فقال التواب يرتضي بتلك القراءة لو قرئت رسالة لاون . فأجاب اوطاخي قائلاً اعلموا ايها الآباء اني متشكك بالرجال المرسلين من طرف البابا لانهم لما وصلوا الى هذه المدينة نزلوا في منزل فلايانوس وهو أكرمهم الى الغاية ومنهم مواهب وغطايا فلذلك أنا أتضرع الى قدس أبويتكم ان تنظروا اليّ ثلاثا يقضوا عليّ بغير الصواب ويأتي لي ضرر . فقال ديسقوروس الاب المكرم ينبغي ان تقرأ بقية الاعمال كأمر المجمع المقدس وبعد ذلك تقرأ رسالة قدس لاون . فقرئت الاعمال وبعد ذلك صار ذكر طيب للاب كيرلس الاسكندراني وقرئت رسالتين له . وعند ذلك اجاب اسطاسيوس اسقف بيروت قائلاً . بالحقيقة مني ان اخبر قدسكم ان الله جل جلاله وهب لايونا كيرلس الطوباني ذي الذكر الصالح . ان اولئك الذين لا يفهمون فهماً مستقيماً الاقوال الصحيحة شكوا في بعض ما كتب ولكيما يظهر معانيه في فصاحته لاولئك الذين قصدوا التصنيفات الصحيحة ما زال يخاطبهم حتى مال الجميع الى ان تبعوا المذهب المستقيم وحينما اتبه آخرون ليرموا تحت الشك معنى الرسائل التي الآن قرئت قد دعت الضرورة ليفعل كما ذكرنا بتفسير اقواله فانما قضى كل زمانه في تفسير اقواله وبيان مقصوده وليبرهن للجميع فيما كتب الى الاساقفة اكاكيوس اسقف ميليطيني وبالريان اسقف قونية وسوشنيوس اسقف دقيسارية في كورة الايسورية على اي معنى يجب فهم الرسائل التي قرئت وبأي نوع ينبغي لنا السجود لمجيء مخلصنا .

فانه موجود ايضاً في تلك الرسائل التي انفذها الى اولئك الاساقفة الطوباويين هذا القول . ليس ينبغي لنا اذاً ان نفهم طبيعتين بل طبيعة واحدة للكلمة المتجسد وقد ثبت هذا القول بشهادة أناسيوس الاب الطوباوي . ثم أجاب مجمع الاساقفة قائلاً ليس أحد يقول ان المسيح اثنان من بعد الاتحاد ولا يفصل الغير المنفصل . هذا كان اعتقاد نسطور . فقال ديسقوروس أسقف الاسكندرية أنصتوا قليلاً لنسمع تجديدًا آخر لماذا ندم نسطور وحده كثيرون هم بمقام نسطور أجاب كبير الكتبة وقال مما قرئ قد تجننا ان الذين نطقوا هذا الكلام قد أظهروا اعتقاداً مختلفاً عما فسرہ الآباء في نيقية وثبته المجمع الذي اجتمع في هذه المدينة . وبعد ذلك قرأ الكاتب في الاعمال . ولما قرأ سؤال أوسابيوس لوطاخي قائلاً أتعتقد بطبيعتين أيها الارشمندرت بعد التجسد . وان المسيح مساو لنا في الجسد أم لا . فحينئذ صاح المجمع ارفع احرق أوسابيوس هذا يحرق بالحياة هذا يشق اثنين كما قسم المسيح هكذا يقسم . ثم قال ديسقوروس هل تطيقون هذا القول ان يكون في المسيح طبيعتان بعد التجسد . فأجاب المجمع قائلاً محروم القائل بذلك . قال ديسقوروس اني محتاج لاصواتكم وأيديكم . والذي لا يقدر ان يصح يرفع يديه . فقال المجمع القائل باثنين فليكن محروماً . ثم بعد قليل قال ديسقوروس قد قبلنا هذا الكلام . فقال المجمع هذا هو اعتقاد الآباء . أجاب ديسقوروس قدسكم قائم ان هذا هو اعتقاد الآباء فما هو هذا الاعتقاد ومن شرحه . فقال المجمع الذي شرحه هو أوطاخي لان أوسابيوس منافق . قال ديسقوروس قد سمعتم ايمان أوطاخي واطلعتم كلكم على نيته . وبعد ما قرأ الكاتب من الاعمال الى غاية كلام باسيليوس أسقف سالق القائل ان لم تعترف بطبيعتين من بعد الاتحاد فقد أدخلت بينهما الامتزاج والاختلاط . فقال المذكور اني لم أذكر اني قلت هذا الكلام بل قلت عند ما قال اعترف بطبيعة واحدة ان لم تقل ان تلك الطبيعة متأنسة فيظن فيك انك اعترفت بالامتزاج . وبعد قليل قال الاسقف المذكور اني أعتمد باعتقاد الآباء القديسين المجتمعين في نيقية . وفي انفسس والعن كل من يقسم المسيح الواحد الى طبيعتين أم جوهرين أم اقنومين بعد الاتحاد ثم أندم على قولي واعترافي الذي تظاهرت به في القسطنطينية وأسجد للطبيعة

واحدة هي لاهوت الابن الوحيد المتأنس . وهكذا قال الاسقف سالوقس . حينئذ قال ديسقوروس للمجمع قولوا الآن ما ظهر لكم من ايمان أوطاخي وما هو مرادكم وحكمكم في دعوته . أجاب يوبناليوس أسقف بيت المقدس وقال لانه اعترف واقتدى باعقاد مجمع نيقية وما بثته الآباء في المجمع العظيم الذي اجتمع سابقاً في هذه المدينة قد ظهر لي انه أرثوذكسي من أقواله . فمن أجل ذلك قد حكمت بأنه يثبت في درجته وفي ديره . فأجاب المجمع وقال حق وعدل هذا الكلام . ثم قال دومنوس أسقف انطاكية قد كنت سابقاً أثبت القضية التي اوجها فلابيانوس على أوطاخي لاجل الرسالة التي وجهوها اليّ في هذا الامر لكن قد ظهر لي ان المذكور أرثوذكسي من الكتاب الذي قدمه لهذا المجمع حيث يعترف به انه متمسك باعقاد الآباء الخ . ومثل هذا القول قال اسطفانوس أسقف افسس . وبعده طلاسيوس أسقف قيسارية القبادوق . وعلى هذه الصفة قال جميع الآباء الذين كانوا مجتمعين . في ذلك المجمع وعندهم دون المذكورين مائة وسبعة من جهات وأقاليم مختلفة . حينئذ قال ديسقوروس قد أثبت أنا أيضاً حكم هذا المجمع المقدس وحكمت ان أوطاخي يحصى في عدد الكهنة ويتولى ديره كما كان سابقاً . ثم بعد ذلك قدم عرض حال من رهبان أوطاخي وتلي امام المجمع وبعده تلاوته قال ديسقوروس للذين قدموه قد قلتم ان فلابيانوس قد حرمكم من حيث لم تعلموا السبب فحن أيضاً قد توهمنا لاي شيء صار لكم ذلك . ولكن اجهروا لنا صورة ايمانكم لان ذلك هو يحلکم من كل حرم . فأجاب أحدهم وقال ان اعتقادنا هو بموجب ما شرحه الآباء في نيقية وثبته الذين اجتمعوا في هذه المدينة . ولا نفهم ونعرف مذهباً آخر دون ذلك كما اعتقد رئيسنا أوطاخي . فقال ديسقوروس قولوا لنا هل تعترفون بذات مخلصنا والاهنا المتجسد كما اعتقد اثناسيوس وكيرلس واغريغوريوس المغبوطون وكافة الاساقفة الارثوذكسين . فأجاب أحدهم وقال كلنا نعترف هكذا . وبعد قليل من هذا الكلام قال يوبناليوس أسقف أورشليم حيث قد اعترفوا بالإيمان فليحصوا في شركة القديسين وفي مدرجاتهم . فأجاب المجمع قد ارتضينا بذلك . وبعد قليل من مثل هذا قال ديسقوروس حيث قد نظرنا في أمر أوطاخي ورهبانه وأشركتناهم في درجة الكهنوت فيجب أن ننحس عما

صار من مخصوص الايمان ونقرأ أعمال ذلك المجمع الذي اجتمع في هذه المدينة .
فقرئت رسائل كيرلس وأعمال المجمع الافسي وبعد ذلك سألوا فلابيانوس عن
اعتقاده فجاهر باعتقاد نسطور . فخرموه جميعاً وسنة أساقفة معه وحرموا كل من لا
يقول ان طبيعة واحدة للكلمة المتجسد حسب اعتقاد كيرلس والمجمع المقدس .
وعلى ذلك انفض المجمع وأرسلت الاحكام الى الملك فصادق عليها وأصدر أمراً
بتنفيذها

(٢) ثم ان الاحوال قد تغيرت بأكثر سرعة لان نواب البابا الروماني حين
خرجوا من المجمع بخيبة الامل من نجاة فلابيانوس وحزبه تجمهروا معاً عصبية واحدة
وانطلقوا الى روميسة يشكون لباباهم مما حل بهم من العار واذ كان البابا يؤمل
ان رسالته الى فلابيانوس يقبلها المجمع قانوناً للايمان كما فعل مجمع خلقيدون بمسد
ذلك وخاب رجاءه من ذلك أضمر سوءاً لكل آباء المجمع سيما ديوسقوروس وأخذ
يستغيث بنصرة افراد العائلة المالكة للحصول على نوال غرضه فالتمس بدموع غزيرة
من بالتيانوس ملك الغرب أن يستميل الملك تاودوسيوس الى قبول طلبته فذهب
اجتهاده بدون فائدة لان الملك رفض هذا الطلب بالكلية وظلت الامور تزداد تفاقم
وليون ينتظر بفروغ صبر الفرص المناسبة لنوال ما ربه حتى توفي تاودوسيوس عقيماً
وعديم الخلف ولم يكن باقياً من عائلته سوى الاناث فقامت بالكارية أخته الراهبة
وجلس على تخت المملكة وتزوجت ناكثة عهد الرهينة ومزدرية بشريرة الكنيسة
بشيخ طاعن في السن من أكابر المجلس يدعى مرسيان وسلمته أمور المملكة . فحالما
تغيرت الهيئة المالكة استحضر ليون سفارة مركبة من رؤوس الحزب النسطوري
نظير تاودوريوس أسقف كورش وهيبا أسقف الرها وغيرها وبعث بهم الى الملك
طالباً استئناف حكم مجمع افسس الثاني بمجمع مسكوني آخر عام واذ كان رجال
الحكومة منقسمون على ذواتهم وكان بعضهم ممن ينتصرون لنسطور والبعض الآخر
لاوطاخي وكان الملك من الفريق الاول وقع طلب الاسقف الروماني لديه موقع
القبول وأنزل سفارته على الرحب والسعة وأصدر حالاً أوامره الى جميع اساقفة
المملكة يأمرهم بالاجتماع في خلقيدون بقرب العاصمة فاجتمع منهم نحو ٣٣٠ أسقفاً

على رواية و ٦٠٠ أسقفاً على رواية اخرى وتفصيل ما جرى في هذا المجمع كما يأتي .
 بعد ما جلس الآباء وقف نائب الاسقف الروماني في وسط المجمع وقال معنا أوامر
 الاقنوم الطوباوي بابا رومية يأمر بها أن ديسقوروس لا يكون له جلوس في هذا
 المجمع . ولكن احضروه هنا كي يرد الجواب عن فعله . ونحن ملزمون على حفظ
 ذلك . فأمروا ان يخرج والا نطلع نحن . فأجاب القضاة ما الامر الخصوصي الذي
 يعرض على ديسقوروس فليكشف عن الشكاوي المثلوب بها . فأجاب النائب الاخر
 قائلاً ينبغي له ان يحضر ويرد الجواب عما حكم به . كونه اذا لم يكن معه سلطان بهذه
 القضية عقد بافترائه مجعاً بغير دستور الكرسي الرسولي . فقال القضاة الواجب عليكم
 ان تنبؤنا عن ذنب المذكور . فأجاب النائب الذي تكلم في أول الامر . لا نطبق ان
 يصير لنا ولكم هذا الاحتقار ان يجلس هذا الذي انما جاء ليدان . فقال القضاة ان كنت
 بمقام قاض لا يصح لك ان تدعي كالمشتكي . حينئذ قدم اوسابيوس عرض حال مضمونه
 ان ديسقوروس رفيق أوطاني وانه افسد الايمان . وبعد ما قدمه امر القضاة
 والمجلس ان يجلس اوسابيوس بين الالباء . ولما قريء العرض حال قال ديسقوروس
 اسأل عظمتكم ان يفحص اولاً فيما يخص الايمان . فأجاب القضاة ينبغي ان تصبر على
 قراءة الاعمال . وامروا بعبور تاودرتوس معلم نسطور الى المجمع ككون قدس
 لاون رده الى كرسيه والملك امر ان يحضر في المجمع . ولما عبر الى المجمع
 هتف اساقفة مصر واليزيا وفلسطين قائلين ارحمونا يا قوم الآن الايمان قد باد .
 اعلموا ان القوانين تطرد هذا خارجاً فاطردوه اثم عنا . اجاب اساقفة الشرق نحن
 وضعنا خطوطنا في قرطاس أبيض وثبتنا القضية بخط أيدينا فاطردوا الى
 خارج تباع ماني اطرردوا غرماء فلا بيانوس اطرردوا مضادي الايمان اطرردوا خارجاً
 ديسقوروس القاتل ومن يجهل أعماله . قال المصريون الملكة طردت نسطور
 والمجمع لا يقبل معلمه ثم عبر تاودرتوس الى المجمع وانتصب في نصف المجمع
 وقال قدمت عرض حال الى الملوك لاجل أمري وما حدث لي من الشرور والمصائب
 فأمروا بقراءته . ثم بعد جلوس المذكور قالت الاساقفة أكسيوس واذا ذلك أجاب
 اساقفة مصر والذين معهم وقالوا لا تقولوا انه أسقف فاطرردوا عنا من قاوم الله

اطردوا عنا اليهودي . اجاب الشرقيون ذو الايمان المستقيم يستمر وذو السجس والاضطراب اخرجوهم . قال المصريون اطردها الى خارج من قاوم الله اطردها عنا من شتم المسيح هذا الانسان اوجب اللعن على كيرلس وقذف عليه فان قبلناه فانما طردنا ورفضنا كيرلس ومن بعد كلام كثير مثل هذا قال القضاة هذه الاصوات نظير صراخ الشعب ولا تقيد نفعا لاحد الجانبين فاصبروا الى قراءة الاخبار . فقال المصريون ومن معهم يطرد عنا واحد ونحن من السامعين نحن نصرخ لاجل التقوى والايمان الارثوذكسي . ومن بعد ذلك قرئت رسائل من الملك بسبب اجتماع مجمع افسس . فأجاب على ذلك ديسقوروس وقال قد علمتم ان الملك ما جعل لي الامر وحدي بل ولي يوبنايوس وتلاسيوس ومنح لهما التدبير . فحينئذ بما قد حكم به اذعن لنا المجمع بأسره فلماذا ينسبون اليّ وحدي هذه الامور حال كون سلطان الثلاثة متساوياً واستصوب المجمع ما حكم به فاقرروا باصواتهم ووضعوا خطوطهم بأيديهم وأخبرنا الملك بذلك . وهو ثبت بأمر عام كلما حكمكم به المجمع المقدس . فأجاب أساقفة الشرق ومن معهم وقالوا ما أحد ارتضى بذلك من تلقاء نفسه . وبقضية فلابيانوس وأوسابيوس أغضبونا وأرعبونا بالضرب ووضعنا خطاً يدنا في قرطاس أبيض . حينئذ كانوا يرعبوننا بالنفي والاجناد كانوا واقفين مزاحمين بالسيوف والعصي وحيث يوجد سيوف وأسلحة فليس بمجمع لاجل ذلك أثر ديسقوروس ان يخوفنا بالعساكر . فلما نحن بل الاجناد الذين عزلوا فلابيانوس أجاب أساقفة مصر ومن معهم أقالشامة كانوا الاولين في تثبيت القضية فلماذا يصرخون الآن فالمجمع ليس هو اجتماع شمامسة بل اجتماع أساقفة فاطردها الى خارج من ليس له كلام في المجمع ومن ثبت القضية يحضر في وسط المجمع . لاننا نحن الذين ثبتناها من بعد تثبيتهم لها قال أسقف افسس رغماً وضعنا خطوطنا بما حكم على فلابيانوس . قال القضاة من أرغمكم . قال المذكور أرغمنا رجال ديسقوروس وجنوده ورهبان أوطاخي وعدتهم ثلثمائة لم يدعوني ان اخرج من مكتبة الكنيسة الا بعد ما أثبتت القضية المكتوبة من ديسقوروس ويوبنايوس وتلاسيوس قال تلاميذ افسس ادخلوني في المكتبة واستادري كيف دخلت . قال تلاميذ افسس

الهيسورية كانوا يخاطرون بالقتل وخوفونا حتى بقينا خمسة عشر نقرأ وكأنا هراطقة طردونا قال أساقفة الشرق والذين معهم كذلك جرى قال أساقفة مصر ومن معهم المسيحي لا يخاف من أحد الارثوذكسي لا يرتعب من أحد أتوا الى هنا بالنار ونحن نعلم ولو كان الشهداء يخافون من الناس لما فازوا بالشهادة قال ديسقوروس لأنهم قالوا ما سمعوا بما حكمنا وأمرنا في المجمع بل قدم لهم قرطاس وهم كتبوا أسماءهم فيه فما كان ينبغي لهم ان يثبتوا القضية لأنهم ليسوا بعارفين ما قال المجمع وحكمكم به لان الكلام كان لاجل جلالة الايمان ولكن حيث أنهم يتذرون بكتابة أسمائهم في قرطاس أبيض من غير علم فأسأل ان تأمروا ليقولوا من رتب خطابهم والفاظهم قال القضاة تقرأ بقية الاعمال وفي اثناء القراءة قال أساقفة الشرق ومن معهم قد طرد لاون ما احد قبل اسمه وبعد قليل قال اساقفة مصر ومن معهم نسألكم ان تطردوا من ليس له كلام ، المجمع للاساقفة ومن ليس له كلام لماذا يهتف قال تاودوروس المذكور كتبه ديسقوروس الصارخون قال ديسقوروس انما عندي كتابان فقط واثان لا يجعلان سجداً وبعد ذلك أتى ذكر رسالة لاون قال القضاة لماذا لم تقرأ رسالة لاون قال أوسابيوس ديسقوروس اخفاها قال احد الشماسة ما قبلت تلك الرسالة ولا قرئت بل هو اقسم على ذاته سبع مرار امام المجمع وحلف واقسم على نفسه انه سيقراها ثم سئل ديسقوروس فقال قلت مرتين ان تقرأ رسالة قدس لاون وبعد ما كرر عليه السؤال قال قلت اني أمرت بقراءتها مرتين قال أوسابيوس كذبت قال القضاة ليقبل يوبنايوس لم لم تقرأ تلك الرسالة حيث ان ديسقوروس أمر بقراءتها قال المذكور في ذاك الحين قال كبير الكتبة ان معه رسائل الملوك فامروا بقراءتها قال القضاة وبعد قراءة تلك الرسائل ما قرئت فقال المذكور بعد ذلك لا كبير الكتبة ولا غيره قال ان معه رسالة فقال القضاة تقرأ الاعمال وفي ما كان يقرأ ان احد حدد يكون محروماً الخ قال الشرقيون لم ننطق بهذا الكلام من نطق به قال تاودوروس كتبه ديسقوروس كتبوا الاعمال وحدهم فليحضروا لكي يشهدوا على ذلك الكلام ان كانوا كتبوه أم قرأوه أمانا ومن عرفه وثبته قال القضاة لمن هذا الخط المكتوبة به الاعمال ومن كتبها قال ديسقوروس كل من الاساقفة كان له كتبة فكتبت كتبوا نسخي وكتبة

يوبناليوس كتبوا نسخته وكتبه تلاميذوس كتبوا نسخته . وكان كتبة كثيرون للاساقفة الآخرين وكلهم كتبوا الاعمال ليس كتبتهم كتبوا الاعمال لان كل واحد كان له كاتب خصوصي قال يوبناليوس كان لي كاتب فقط وهو كتب مع الآخرين وقال تلاميذوس وأنا أيضاً كان لي كاتب واحد وهو كان يكتب مع الآخرين قال ديسقوروس هان كاتب يوبناليوس كتب مع الآخرين وكاتب تلاميذوس أيضاً وكاتب أسقف قورنثية فلم قالوا عن كتبتهم كتبوا الاعمال . وبعد قليل قال أسقف افسس كتبنا خطوطنا في ورقة بيضاء قال القضاة فلتقرأ بقية الاعمال فقرأ الكاتب وعند ما بلغ القارئ الى قول ديسقوروس اني أفحص في قوانين الالباء الذين اجتمعوا في نيقية وفي افسس قال اوسابيوس ان ديسقوروس هاندا قال انه يفحص وأنا علمت ذلك أجاب ديسقوروس انما قلت اني أفحص لا اني أجدد فان مخلصنا أمرنا ان تفحص الكتب فالذي يفحص لا يجد وفيما كان الكاتب يتلو أعمال المجمع مما يتعلق بتحديد الايمان والحرم قال تودروس المذكور ما أحد نطق بذلك قال ديسقوروس هم يشاؤون ان ينكروا ما كانوا أقروا به فيقولوا الآن أيضاً اننا ما كنا حاضرين أيضاً ولما تلي ايمان اوطاخي وقرئ منه ما هو آت ان كيرلس حدد ان الذي يخالف الايمان او يزيد او ينقص منه شيئاً او يعلم بخلافه يكون تحت القوانين قال اوسابيوس كذب ليس ذلك التحديد كذلك لن يحد قانون بأمر ذلك قال ديسقوروس موجود ذلك التحديد في اربعة مجلدات فهل ما حدد الاساقفة ليس بتحديد لعل عنده القانون ليس بقانون أو ان القانون خلاف التحديد وبعد قليل قال ديسقوروس ان باسيليوس انكر خطابه المحرر في دفتر الاعمال وان كان اوطاخي يذهب بخلاف مذهب البيعة فهو يستحق ليس فقط العقاب بل ايضاً النار اما انا فهمت في الايمان ولست بشأن احد من الناس بل فكري شاخص الى اللاهوت فلا أبالي باحد ولا اهتم باحد سواء بنفسي وبالايمان المستقيم الصحيح وبعد ما قرئ شيء من كلام باسيليوس قال له القضاة اذا كنت تعلم بهذا التعليم فلائي سبب وضعت خط يدك في عزل فلاسيانوس قال المذكور كنت موقوفاً على قضية وحكم مائة وعشرين أم ثلاثين اسقفاً فالتزمت ان اطاعهم في الامور التي فرضوها قال له ديسقوروس الآن كذبت الكتاب القائل من فكك تبرر ومن فكك تدان استحييت

من الناس وتجاوزت عن الصلاح واهنت الايمان لعلك ما سمعت ما كتب لا تخجل من شيء يهلكك قال اساقفة الشرق والذين معهم اخطأنا جميعاً وكلنا نسأل الغفران قال القضاة لهم انتم سابقاً ذكرتم بأنكم رغباً وقهراً اضطررتم ان تكتبوا اسمكم في قرطاس أبيض في عزل فلابيانوس قالوا كلنا اخطأنا وكلنا نطلب الغفران ثم قال تلاميوس وأوسابيوس واسطاسيوس كلنا اخطأنا وكلنا نطلب الغفران وبعد قليل قال أوسابيوس اتضرع اليكم ان تبحثوا لاي وجه منفي ديسقوروس من الدخول . قال القضاة لاي سبب منعه . قال ديسقوروس أسألكم ان تقرأوا شهادة البيديوس فاني ما كنت منعه لو لم يأت البيديوس بأمر الملك ان المذكور لا يدخل وهكذا قال يوپيناليوس . قال القضاة في أمر الايمان لا يقبل هذا العذر . قال ديسقوروس فاذاً تبكتوني كأني تعديت القوانين فهل اتم تحفظون القوانين في دخول تاودرتوس (معلم نسطور) قال القضاة تاودرتوس دخل بمقام المشتكي . قال ديسقوروس ولاي سبب جلس في درجة الاسقفية قالوا ان أوسابيوس وتاودرتوس جلسا في صف المشتكين وبعد ذلك تلا القاريئ رسائل كيرلس واحدة لنسطور وأخرى ليوخنا أسقف انطاكية وفي الانتهاء قال القضاة لاي سبب عزلتم فلابيانوس وأوسابيوس أجاب ديسقوروس اعمال المجمع تظهر لنا الحق فقرأ الكاتب ايمان اسطاسيوس أسقف بيروت وعند ما قال « فانه موجود أيضاً في تلك الرسالة التي أنفذها الى الاساقفة هذا القول ليس ينبغي لنا ان نقهر طبيعتين بل طبيعة واحدة للكلمة التجسد » قال أساقفة الشرق هذا هو قول أوطاخي هكنا يقول ديسقوروس أجاب ديسقوروس وقال لسنا نقول بالاختلاط ولا بالامتزاج ولا بالاستحالة . فقال القضاة ليقبل المجمع ان كان خطاب اسطاسيوس موافقاً لنص رسائل كيرلس . وقبل ان يجاب المجمع قام اسطاسيوس وانتصب في وسط المجمع وبيده كتاب وقال ان كان قولي حائداً عن الحق فهذا الكتاب لكيرلس أحرموه وأنا قد قبلت الحرم مثله ثم قال أساقفة مصر والذين من حزبهم اسطاسيوس نطق بالحق وبعد قليل قال اسطاسيوس اخطأت في حرم فلابيانوس وانتقل هو وباقي الاساقفة الى الجهة الاخرى فقال لهم الاساقفة مبارك قدومكم . فقال حينئذ ديسقوروس أمر واضح ان فلابيانوس نفي لكونه قال بطبيعتين بعد الاتحاد

وأما أنا في شهادات القديسين أناسيوس واغريغوريوس وكيرلس انه لا يجب القول بطبيعتين بعد الاتحاد لكن طبيعة واحدة لله الكلمة المتجسد فانهم ينفونني مع الآباء أنا أقول بقول الآباء ولا أخالفهم بشيء وكتبهم عندي تشهد بذلك)

(٣) الى هنا قد انتهينا من سرد ما حدث في مجمع افسس الثاني ومجمع خلقيدون بحسبها ورد في كتاب تاريخ الانشقاق للاب جراسيموس مسرة الرومي وكتاب تاريخ مجمع خلقيدون المطبوع في رومية سنة (١٦٩٤م) للكاتوليك ولنلاحظ الآن على الدعاوي التي ادعى بها الاخصام على ديسقوروس تاركين الحكم فيها للقاريء اليبس ومفوضين الامر في تبرئة ساحة هذا البطريك المجاهد مما اتهم به وعدم تبرئته لفظنته وذكائه وقد حصرنا هذه الدعاوي في اثني عشر أمراً وخاتمة وهي

« الدعوى الاولى » ان نواب الاسقف الروماني الذين اجتمعوا من ضمن اعضاء المجمع ليحققوا الدعاوي ويحكموا بالانصاف والعدل قد قاموا بمقام اخصام مشتكين وافتروا على ديسقوروس بأنه عقد مجمعاً من تلقاء نفسه . بغير علم أسقف رومية وحكم على فلابيانوس ظلماً وهذا أمر مخالف للسنة المرعية اذ لا يمكن الانسان ان يكون خصماً وقاضياً معاً وفي بيان كذب هذه الدعوى نقول انه يظهر من مراجعة أعمال مجمع افسس الثاني ان نواب الاسقف الروماني كانوا افراد اعضاء المجمع فكيف تصح هذه الدعوى ومع ذلك انه لو فرض وكان لهذه الدعوى من محل فلا ملامة على ديسقوروس أو على مجعته بدليل ان سلطان المجمع أعظم من سلطان البابا وأحكامها تسري بدون ان تتوقف على رضاه أو علمه كما جرى في المجمع الثاني القسطنطيني فانه لو كان أسقف رومية هو القاضي المطلق المتصرف في جميع جزئيات الامور الكنائسية وولاياتها لكانت المجمع عديمة اللزوم وفاقدة الاهمية والحال ان الامر بخلاف ذلك لان الكنيسة لما كان يشكل عليها أمر ويحدث بسببه نزاع لم تطلب النظر فيه وحله من شخص واحد كأسقف رومية بل من عموم الاساقفة المساوي كل واحد منهم للبابا في السلطان الاسقفي ولما كانت المجمع هي صاحبة الشأن في الاحكام وكان أسقف رومية معدوداً فرداً من افراد هيئاتها كان حكمه حكم كل واحد منهم ورأيه رأي أي فرد من افرادهم بحيث يحتمل

القبول والرفض والخطأ والصواب وان قيل ان سلطان الاسقف الروماني الذي لا ينتهي عند حد لا يضر بسلطان المجمع وحريتها فنجيب ان هذا الوهم يؤيد اثبات النقيضين اللذين ينفي أحدهما الآخر واثبات الدور المنطقي فيكون أسقف رومية حاكماً ومتسلطاً على المجمع وتكون هذه حكمة ومتسلطة عليه ولو صح هذا الاعتبار لكانت الكنيسة تستغنى بأحد هذين الوجهين وبالتالي لاستغنت بأقربهما تناولاً وبأقلهما تبعاً ونفقة ومن المعلوم ان طلب رأي شخص واحد لا مناقضة بذاته هو أقرب للوصول وأسهل للحصول من طلب اراء افراد كثيرين مختلفي المشارب والعوائد غير ان الكنيسة لم تعتبر ذلك أبداً ولم تره صائباً في وقت من الاوقات

« الدعوى الثانية » ان أساقفة الشرق الذين كانوا من ضمن اعضاء مجمع افسس الذي ترأس عليه ديسقوروس وخارت عزائمهم عندما عاينوا المعاملة الرديئة التي عامل بها نواب البابا لديسقوروس واحتضنوا تاودريتوس أسقف كورش في أول افتتاح المجمع قد افتروا على ديسقوروس تخلصاً من الظلم الذي لحقه وادعوا عليه انه ألزمهم ان يوقعوا على ورقة بيضاء ولم يعلموا ما كان مزمعاً ان يكتب فيها أو ما يحكم به المجمع فعلاوة على ان حوادث المجمع التي سردناها لم يرد فيها شيء من هذا القيل وهي منقولة بالدقة والضبط والصحة من كتب الكاتوليك فان هؤلاء المدعين ظهر كذبهم امام كل ذي عينين ودحضت دعواهم أولاً بخطاب أساقفة مصر الذين ردوا عليهم قائلين (أفالشمامسة كانوا الاولين في تثبيت القضية فلماذا يصرخون الآن ان المجمع ليس هو اجتماع شمامسة بل اجتماع اساقفة فاطردوا الى خارج من ليس له كلام في المجمع ومن ثبت القضية يحضر في وسط المجمع لاننا نحن الذين ثبتناها من بعد تثبيتهم) وثانياً باقرار أحدهم وتصريحه بخلاف ما ادعوا به بقوله (انهم لم يدعوني ان أخرج من مكتبة الكنيسة الا بعد ما تثبت القضية المكتوبة من ديسقوروس ويوبناليوس وتلاسيوس) وثالثاً باقرار باسيليوس أسقف سلق الذي لما لاهه أرباب القضاء على امضائه على الحكم ضد فلابيانوس أجاب قائلاً (اني كنت موقوفاً على قضاء وحكم ١٢٠ أو ١٣٠ أسقفاً فالتزمت ان أطاوعهم في الامور التي فرضوها) رابعاً من استغفار جميعهم سيما عما ادعوا به انهم وقعوا على ورقة بيضاء بقولهم (أخطأنا جميعاً وكلنا نسأل الغفران) ولما لامهم أرباب القضاء على كذبهم

بهذه الالفاظ (اتم ذكرتم سابقاً بأنكم اضطررتم رغماً عنكم وقهراً ان تكتبوا
أسماءكم في قرطاس أبيض في عزل فلابيانوس) كرروا طلب الاستغفار ولم يجدوا
وسيلة أخرى غير كونهم يقولون (كلنا اخطأنا وكلنا نطلب الغفران)

« الدعوى الثالثة » ان الاخصام المذكورين ادعوا على ديسقوروس بأنه اتخذ لقهرهم
على كتابة اسمائهم في ورقة بيضاء وسيلة مدنية بقولهم (كانوا يرعبوننا بالنفي والاجناد
كانوا واقفين مزاحمين بالسيوف والعصي) فنجيب علاوة على انه لم يحدث ذلك اذ لم تنبئ
حوادث المجمع عن شيء منه قد اتضح كذبهم من ثلاثة اوجه الاول من جواب اساقفة
مصر شركائهم اذ قالوا (المسيحي لا يخاف من احد الارثوذكسي لا يرتعب من احد
احضروا النار الى هنا فعلم فلو كان الشهداء يخافون من الناس لما فازوا بالشهادة)
الثاني من جواب ديسقوروس اذ قال (لانهم قالوا ما سمعوا بما حكمنا وأمرنا في
المجمع بل قدم لهم قرطاس أبيض فكتبوا اسماءهم فيه فما كان ينبغي لهم ان يثبتوا
القضية لانهم ليسوا بعارفين ما قال المجمع وحكم به عليه لان الكلام كان لاجل جلالة
الايمان . ولكن حيث انهم يعتذرون بكتابة اسمائهم في قرطاس ابيض من غير علم
فالسؤال ان تأمروا ليقولوا من رتب خطابهم والفاظهم) الثالث من اقرارهم اخيراً بالحق
والتماسهم الصريح فلو كان لما ادعوه بعزلهم فلابيانوس رغماً عنهم محل لما كان لطلب
الغفران محل ولا لاعتذراهم و التماسهم مكان حين قال لهم ارباب القضاة لأعين (اتم ذكرتم سابقاً
بأنكم اضطررتم رغماً وقهراً ان تكتبوا اسماءكم في قرطاس ابيض في عزل فلابيانوس)
أي قد اتضح كذب ما ادعيت به من شهادة افرادكم المتفرقة فما ذا تجيئون فقالوا
(كلنا اخطأنا وكلنا نطلب الغفران) راجع تزوير الدعوى الثانية

(الدعوى الرابعة) قد افتروا عليه بأنه أخفى رسالة ليون بدون أن تلى في
المجمع فعلاوة على كون المجمع ما كان يلتزم بقبول الرسالة نظراً لكونها موجهة لشخص
بمفرده فقد يتضح من كلام ديسقوروس في ذلك المجمع انه أمر بقراءتها مرتين بشرط
أن تتم قراءة حوادث مجمع فلابيانوس وقد أقر بذلك هنا لما سألهم ارباب
القضاء عن سبب عدم قراءتها واجاب (اني أمرت بقراءتها مرتين) واتضح
صديق جوابه من شهادة يويناليوس أسقف أورشليم قائلاً (في ذلك الحين قال

كبير الكتبة ان معه رسائل الملوك فامروا بقراءتها) ثم لما كرروا السؤال عليه قائلين (وبعد قراءة تلك الرسائل أما قرئت) فأجاب (بعد ذلك لا كبير الكتبة ولا غيره قال ان معه رسالة) ولو فرضنا ان تلك الرسالة قرئت فالمجتمع لا يلتزم ان يحكم بموجبها اذا كانت مخالفة كما هي كذلك لأنه ليس بمقيد تحت حكم شخص راجع تزوير الدعوى الاولى

« الدعوى الخامسة » في اثناء ما كانت تلى حروم المجتمع على من يزيد أو من ينقص أنكر أساقفة الشرق ذلك مدعين أنهم لم ينطقوا به بل ان كتبة ديسقوروس الذين حرروا الاعمال هم وحدهم زادوها فلما سئل عن دعواهم هذه أجاب (كل من الاساقفة كان له كتبة فكتبتي كتبوا نسختي وكتبة يوبناليوس كتبوا نسخته وكتبة تراسيوس كتبوا نسخته وكان كتبة كثيرون للاساقفة الآخرين وكلهم كتبوا الاعمال ليس كتبتي وحدهم كتبوا الاعمال لان كل واحد كان له كاتب خاصي) وثبت صدق ما قاله هذا الاب من شهادة يوبناليوس اذ قال (كان لي كاتب واحد وهو كان يكتب مع الآخرين) حينئذ قال ديسقوروس (ها كاتب يوبناليوس كتب مع الآخرين وكاتب تراسيوس أيضاً وكاتب أسقف كورنثس فلم قالوا عن كتبتي وحدهم أنهم كتبوا الاعمال) فصمت أخصامه

« الدعوى السادسة » انما تلي كلام ديسقوروس وهو (اني أخص في قوانين الآباء الذين اجتمعوا في نيقية وفي افسس) اعترضه أوسابيوس عدوه الالاد متخذاً ذلك عليه حجة بقوله (ها ان ديسقوروس قال أنه يفحص وأنا علمت ذلك) فأجابه ديسقوروس صاعداً أذنيه بالجواب السديد قائلاً (أنا قلت اني أخص لا اني أجدد لان مخلصنا أمرنا ان نفحص الكتب فالذي يفحص لا يجدد

(الدعوى السابعة) ولما تليت حروم المجتمع على من يزيد على الايمان أو ينقص منه قال أحد أساقفة الشرق (ما أحد نطق بذلك) فأجاب ديسقوروس قائلاً (هم يشاؤون أن ينكروا ما كانوا أمروا به فليقولوا الآن أيضاً اننا ما كنا حاضرين) « الدعوى الثامنة » ولما تليت عبارة أضافها أوطاخي الى دستور ايماننا أتى بها من قانون كيرلس وهي (ان الذي يخالف الايمان أو يزيد عليه أو ينقص منه شيئاً

أو يعلم بخلافه يكون تحت القوانين) اعترض هذا الكلام أوسابيوس قائلاً (كذب ليس ذلك التحديد كذلك ان يجد قانون بأمر ذلك) فأجابه ديسقوروس مقدماً ما ادعاه بقوله « موجود ذلك التحديد في أربعة مجلدات . فهل ما حدد الاساقفة ليس تحديد لعل عنده القانون ليس بقانون أو ان القانون خلاف التحديد .

« الدعوى التاسعة » لما شكا أوسابيوس ديسقوروس بكونه منعه من الدخول الى المجمع قالت له القضاة (لاي سبب منعه) فأجاب قائلاً (أسألكم ان تقرأوا شهادة اليديوس فاني لم امنعه لو لم يأتي اليديوس بأمر الملك ان المذكور لا يدخل) واثبت صحة ذلك يوبناليوس لكن لما كان القضاة لا يؤثرون ان يبرروا ساحة ديسقوروس من الخطية ولم يقتنعوا بهذا الجواب قالوا (في امر الايمان لا يقبل هذا العذر) حينذاك رفع ديسقوروس صوته بجوابه السديد مظهراً اعوجاج السيل الذي اتجهجوه المخالف للشريعة الادبية والدينية معاً بقوله (اذاً تكفوني كأني تعديت القوانين فهل أتم تحفظون القوانين في دخول تاودرتوس (احد رؤوس الشيعة النسطورية) فرام القضاة ان يتصلوا من هذه الملامة قائلين (ان تاودرتوس دخل بمقام المشتكي) والحال بالعكس فان المجمع لم ينقسم الى حزين وبيان احدها رأي الآخر الا بسبب دخول رؤوس الاراطقة وجلسهم بصف الاساقفة ولذلك أوضح ديسقوروس لهم تزوير ما ادعوه بقوله (ولاي سبب جلس في درجة الاسقفية) فتمسكوا بالحال قائلين « ان أوسابيوس وتاودرتوس جلسا في صف المشتكين » على أن ذلك غير صحيح والا لما كان المجمع ينقسم الى قسمين .

« الدعوى العاشرة » لما تلي ايمان اسطاسيوس أسقف بيروت المحرر في دفتر الاعمال المتضمن الاعتراف بطبيعة واحدة للابن المتأنس المؤيد بشهادة صريحة من أقوال الاب كيرلس صاح اساقفة الشرق نافرين ونسبوه الى بدعة أوطاخي بقولهم « هذا هو قول أوطاخي هكذا يقول ديسقوروس » نخوفاً من أن يتوهم أحد ان كيرلس أو هو نسج على منوال أوطاخي باعثقاده أجاب رافعاً هذا الوهم بقوله « لسنا نقول بالاختلاط ولا بالامتزاج ولا بالاستحالة » حينئذ لما رأى القضاة أن الحق أخذ يتلأأ ولا سبيل الى اخفائه طرخوا سؤالاً على اعضاء المجمع ليجيبوا

عن اعتقاد اسطاسيوس ان كان صائباً أو مخطئاً بقولهم « ليقبل المجمع ان كان خطاب اسطاسيوس موافقاً لرسائل كيرلس » على ان هذا السؤال لا يخلو من غرض اذ لو كان مرادهم ملاشاة البطل واظهار الحق لطلبوا بأنفسهم رسائل كيرلس وتأملوا فيها ان كانت تؤيد ذلك الاعتقاد ام تدحضه على ان اسطاسيوس أسرع مقدماً كتاب كيرلس امام المجمع وقال « ان كان قولي حائداً عن الحق فهذا الكتاب هو لكيرلس احرموه وأنا أقبل الحزم مثله » أما جواب المجمع فكان مخالف لاختلاف آراء اعضائه فأساقفة مصر ومن جاراتهم بالاعتقاد أجابوا بخلاف ما أجاب به أخصام ديسقوروس فاولئك قالوا « ان اسطاسيوس نطق بالحق » أما هؤلاء فاعترفوا مقرين بالخطأ بعزلهم فلابيانوس وانضموا مع الحزب النسطوري حيث قبلوا بأثم الأكرام فلما تمت الدعاوي والاجوبة عليها قال حينئذ ديسقوروس « أمر واضح ان فلابيانوس نفي لكونه قال بطيعتين من بعد الاتحاد وأما أنا فلي شهادات القديسين اثناسيوس واغريغوريوس وكيرلس انه لا يجب القول بطيعتين بعد الاتحاد لكن طبيعة واحدة لله الكلمة المتجسد فانهم ينفونني مع الآباء أنا اقول يقول الآباء ولا أخالفهم بشيء وكتبهم عندي تشهد بذلك »

« الدعوى الحادية عشرة » في جلسات المجمع الاخرى لم يحضر الاب ديسقوروس ويظهر من حوادثها انه الزم بعدم الحضور ووضع في حبس مغفراً عليه بقوة عسكرية ولما دعي لكي يحضر أمام اعضاء المجمع مراراً وكانت هذه الدعوة بدون طريقة شرعية أبي الحضور فجعل ذوي النيات عدم حضوره من الاسباب التي حكم بموجبها المجمع ضده ومن الوقوف على تفصيل ذلك يظهر كذب هذه الدعوى أيضاً فانه من المبادئ البديهية ان تحصيل الحاصل مما لا يقوم على اثباته بينة وذلك ان استدعاء الخصام لديسقوروس لا يخلو من احد امرين، اما ان يكون لتجديد البحث في الدعاوي التي قرف بها وبمقتضاها شجب فيتوقف النظر في ذلك على براءته وعدمها بحسب كذب الدعاوي او صدقها ويكون حينئذ الحكم الذي صدر ضده لاغياً وباطلاً وتصير تبرئة ساحة فلابيانوس ومن معه كاذبة والحال ان ذلك ممتنع لامرين الاول لعدم وجود القضية المتعلق بهم الغاء ذلك الحكم ولذلك لما

علم ديسقوروس من الوفد بعدم وجود القضاة مع أخصامه أجاب قائلاً « بلقي ان القضاة ليسوا حاضرين وانا اشاء ان يخص عن دعواي امامهم » على انه لما دعوه للحضور اول مرة اجابهم قائلاً « كنت اشاء ان اذهب الى المجمع لو لم يعني مراراً الحرس من الخروج » ولما طلبوا له تفسيراً من الحرس امتنع لعدم وجود من ينصفه كما تقدم والثاني لكون أخصامه لم يضرروا هذا الامر أي ابطال ما بتوه وهو عزله ونفيه ويتضح ذلك من جواب الوفد له لما سأله قائلاً (هل يقصد المجمع ان يبطل ما قضى به علي) فقالوا (ان المجمع لم يدعك ليبتل ما صار في محضر القضاة بل قصده ان تحضر) فاجبهم بما أجاب قبل واما ان يكون للنظر في دعاو جديدة عرضت في حقه فاستدعي ليجيب عنها وهذا امر آخر مضحك للغاية من وجهين أولاً لكون القضاة ليسوا بموجودين ثانياً لان تجديد المرافعة عليه يوجب وقوع الشك والريب في ان تكون سائر الدعاوي التي قرف بها (كما هي كذلك) كاذبة ومزورة ويصح الحكم الاول من ثم منقوضاً وباطلاً وقد نقرر في علم الهندسة ان برهاناً واحداً صادقاً يقوم مقام مئتين من البراهين فلو كانت دعوى واحدة من تلك الدعاوي صادقة لكانت بمفردها تكفي لايحاجب الحكم على المدعي عليه بها بدون توقع صدق أخرى وهذا ما أقصده من قولي ان تحصيل الحاصل محال اذ لو فرضنا انه حضر امام أخصامه وقدم براءة ساحته بمستندات سديدة عن الدعاوي الجديدة لما نال منهم سوى ما نال وزيادة فحقاً ان امتناع الاب ديسقوروس عن اجابة طلب أخصامه كان واجباً لانه لم يكن قصدهم سوى الازدراء به والاهانة ولذلك رفض هذا الطلب مقتدياً بأسلافه الذين كانوا أبوا ان يلبوا دعوة أخصامهم للحضور في المجمع الفاقدة العدل والعدمية الانصاف الذين منهم اثناسيوس الرسولي فانه دعي للحضور في مجمع قيصرية فأبى ثم دعي ثانياً في مجمع صور فحضر فيه ومع كونه قدم احتجاجات وطيدة عن دعاو زور فلم يبرره أخصامه ولذلك ترك المجمع وفر هارباً فحكموا بنفيه ومنهم يوحنا فم الذهب فانه تهم بست وأربعين تهمة ودعي الى مجمع القسطنطينية ليجيب عنها فرفض طالب أخصامه فقطعوا حكماً بنفيه فتوفي اثناء ما كان ذاهباً الى النفي ومنهم كيرلس الكبير الذي حكم مجمع يوحنا الانطاكي بافمس بعزله حالة كونه برئياً فديسقوروس مع كونه

أفهم أخصامه بمستنداته القوية وفسق كل دعوى قرف بها لم يجد له من منصف ولذلك قوصص ظلماً وبناء على رفضه طاعة أخصامه للأسباب التي ذكرناها قد حكموا بخلاف الشريعة بتنزيله من الوظيفة الكهنوتية بزعمهم أنه مخالف لقوانين الكنيسة على أنه في نفس الأمر لم يخالف إلا ما انطوت عليه نياتهم الخبيثة وضمائرهم الرديئة فأين قوانين الكنيسة من أحكامهم التي لم يحسها بارقة من العدل فشتان ما بين هذه وتلك التي تبعد منها بعد السماء عن الأرض ونهاية الأمر أن مرسيان حكم بنفسه فسله لفرقة من الجنود وأمرهم أن يوصلوه إلى (غاغرا) في جزيرة بفلاغونيا حاكماً عليه بالاقامة فيها مؤبداً فذهب مقاسياً تماماً كثيرة من الجنود المتبررين الذين عاملوه معاملة لص قاتل وكان يصحبه من الكليروسه مكاريوس اسقف اتكو وبطرس القس وناويسطس الشماس كاتب سيرته وغيرهم وكان سكان تلك الجزيرة التي استبعدوا إليها يهوداً وعبداء أولئك (كما جرت العادة أن يعين لنفي الآباء أمكنة كهذه فاقدة معرفة المسيح لازدياد مصابهم) فشرعوا ينشرون بينهم نور الإنجيل وفي مسدة وجيزة صيروهم مسيحيين وكانت الآيات والجرائح ترافقهم

« الدعوى الأخيرة والحائفة » أن الطوائف النصرانية تدعي على أن مذهب الكنيسة القبطية هو مذهب أوطنيا وأنبائاً لقولنا نذكر شيئاً من عبارات هذا الادعاء ونلاحظ عليها قال العلامة بطرس البستاني في كتاب دائرة المعارف في ترجمة ديسقوروس (هو بطريرك الاسكندرية خلف القديس كيرلس سنة ٤٤٥ م ثم حرم تيودوريت ادعاء أنه تمذهب بالنسطورية وحطى بغيرة شديدة عن مذهب أوطنيا) وقال أيضاً في ترجمة أوطنيا (هو من أراطقة القرن الخامس ولد نحو سنة ٣٨٠ وتوفي نحو سنة ٤٥٤ صرف عدة سنين في أديرة القسطنطينية كقس وارشندريت وكان تحت إدارته أكثر من ٣٠٠ راهب وتولى رئاسة الحزب المضاد لنسطوريوس الذي ذهب إلى أن في المسيح اقنومين مميزين بجانب خلط طبيعته الإلهية بطبيعته البشرية أما أوطنيا فكان يعتقد وحدانية اقنوم المسيح ويفار على اعتقاده أشد الغيرة فساقه إلى القول بوحدانية طبيعته أيضاً ولذلك سمي أتباعه بما معناه القائلون بالطبيعة الواحدة أو أصحاب الطبيعة الواحدة ووقعت أراؤه موقع القبول لدى كنيسة

الاسكندرية التي شجبت آراء نسطوريوس كل الشجب غير ان ارنقته فجمعت وشجبت في مجمع عقد بالقسطنطينية سنة ٤٤٨ وكان لاوطيخا وأصدقائه منزلة عند ثيودوسيوس الثاني فسمح لهم باستئناف المسألة الى مجمع عام عقد في افسس سنة ٤٤٩ تحت رئاسة ديوسقوروس أحد الاوطيخين المتعصبين فاستظهر أوطيخا هناك بضجيج الرهبان وتهديد الجنود وتعدي الرئيس فخلع أشهر الاساقفة المخالفين غير ان البابا لاون لم يعترف بأعمال ذلك المجمع الذي سمي بالمجمع اللصبي وحرم رئيسه ديوسقوروس وفي المجمع الخلكيدوني المسكوني الذي عقد سنة ٤٥١ شجبت آراء نسطوريوس وآراء أوطيخا معاً . وفي القرن السادس أحيأ آراء أوطيخا يعقوب البرادعي الذي توفي أسقفاً لادسا (الزها) فسميت أتباعه باليعاقبة نسبة اليه ولم يزل لهم الى الآن كنائس كثيرة في مصر وسوريا وبين النهرين وبلاد الحبشة . وحاول الامبراطور هرقلوس التوسط بين أصحاب الطبيعة الواحدة والكاتوليك فأصدر سنة ٦٣٠ أمراً امبراطورياً بتعليم العقيدة المختلف فيها على النسق الآتي وهو ان في السج طبيعتين ومشئئة واحدة ومن ذلك مذهب المونوثليئية أي القائلين بالمشئئة الواحدة وهي آخر فروع الارطقة الاوطيخية)

وورد في كتاب الدرة النفيسة في شرح حال الكنيسة للروم في الكلام على مآثر يوستينانوس الكبير (وقد اعتنى كثيراً في حفظ السلام التام والهدوء في الكنيسة الشرقية رغمًا عن ازعاجها حينئذ من كثيرين من الهراطقة ولا سيما الافثيشيين الذين كانت تعضدهم الملكة ثاودورة وتحامي عنهم) والمراد بالافثيشيين مضادو مجمع خلكيدون كما سيأتي بيان ذلك في موضعه

وورد في كتاب خلاصة تاريخ الكنيسة للكاتوليك في الكلام على الثلاث قضايا التي سيأتي ذكرها في مكانها ما هو (وبعد ما توفي الملك مرسيان تقوى حزب أوطاخي في مصر وارتكبت تبعته فيها فواخس مريعة ولم يجسر احد على مقاومتهم لكثرة عديدهم وشدة سطوتهم فأفرغوا جهدهم في تضعيف سلطة المجمع الخلقيدوني الذي كان حرهم)

وقال الأب جراسيموس مسرة بوجه ٢٣٣ من كتاب تاريخ الانشقاق الجزء الاول

(وأما الشيعة الاوطيحية فعروفة بشيعة الطبيعة الواحدة) وقد سردت هذه الاقوال دحضاً لدعوى بعض ابناء طائفتنا القبطية الذين قالوا ان نسبة مذهبنا الى أوطاخي انما هو من جراء تأليفات (الراهب السرياني) يعنون بذلك الراهب البرموسي وهم لا يدرون ان هذه النسبة الى مذهب أوطاخي قديمة جداً والغاية الآن ان نوضح للقراء اذا كان يوجد محل لدعوى الطوائف هذه أم لا يوجد فنحيب بالسلب وذلك

(أولاً) ان ديسقوروس ومجمعه لم يقبلوا أوطيخا في شركة الكنيسة وبحلوله من حرومه ويردوه الى رتبته الا بناء على الاقرار الذي قدمه المعترف به واضحاً بسر التجسد بعكس ما كان يتم ويظن به فانه نفى فيه الاستحالة والتغير وهاك عبارته بحسب الفينا في كتاب مجمع خلقيدون تأليف الكاثوليك وطبعهم فانه بعد ما ضمن اعترافه سر الثالوث الاقدس ونزول الابن وتجسده وتألمه وقيامته من الاموات قال (أما أولئك الذين يقولون انه كان حيناً لم يكن وقبل ما يولد لم يكن وانه صار من العدم أم من اقنوم آخر أم ذات أخرى أم انه قبل الاستحالة أم التغير هؤلاء تحرمهم الكنيسة الكاثوليكية الرسولية فهذا هو الاعتقاد الذي قبلته من البديء من أبائي وأنا معتقد به واني أحرم ماني وبالتيوس وأبوليناريوس ونسطور وسائر الهرطقة)

(ثانياً) ان ديسقوروس نفى عن ذاته تهمة القول بالامتزاج والاختلاط والاستحالة ورفض أوطيخا ما دام حائداً عن الايمان القويم في بهرة المجمع الخلقيدوني وبعث وهو في النبي رسالة الى شخص اسمه ابريطن مدونة في كتاب اعترافات الآباء دحض فيها أرنقة أوطيخا وأثبت وحدة الطبيعة للابن المتأنس جرياً على اقرار اثنايوس وكيرلس ومما قال فيها (يجب علينا ان نطلع ونخرج عنا كل من يقول ان الله الكلمة تألم بلاهوته أو مات ... وأما نحن فما نؤمن هكذا بل نؤمن ان الله الكلمة صار جسداً بحق وبقي بلا ألم ولا موت بالجلمة بلاهوته لكن قوماً يظنون ويقولون اننا اذا قلنا ان المسيح تألم بالجسد لا باللاهوت توجد في هذا القول موافقين لمجمع خلقيدون ونحن نجيبهم ونقول اذا كان أهل مجمع خلقيدون يعترفون ان الله الكلمة تألم بالجسد لا باللاهوت فانا نوافقهم)

(ثالثاً) ان آباء المجمع الخلقيدوني اجتهدوا كثيراً ان يردوا ديسقوروس الى

المجمع بمعنى ان تنفى الاحكام ضده ولم يخجوا لمقاومة شمامسة القسطنطينية لهم ولم يذكر أحد منهم أوطيخا بنخير وهذا دليل على ان ديوسقوروس لم تكن له علاقة مع أوطيخا البنة

(رابعاً) ان آباء الكنيسة الذين نسجوا على منوال ديوسقوروس رافضين أحكام مجمع خلقيدون وفي مقدمتهم تاودوسيوس الاسكندري وساويرس الانطاكي قد طعنوا نسطوريوس وأوطيخا بالحرم الرسمي في اعترافات لم تزل مسجلة في كتب الكنيسة القبطية

(خامساً) ان الاقرار بالطبيعة الواحدة للمسيح هو غير الاقرار بالاختلاط والامتزاج والاستحالة فالاول هو اقرار الكنيسة دائماً راجع قراءة وجهه (١٢٢) من هذا التاريخ وأما الثاني فهو اعتقاد أوطيخا واثباتاً لذلك نورد هنا عبارة من موسسهيم المؤرخ الانكليزي وهي (ان اتيخس اعتقد بأن طبيعة المسيح الالهية امتزجت بالانسانية حتى صار المسيح بطبيعة واحدة الهية غير انه لا يتضح جلياً أكان ذلك أكيداً أم غير أكيد أما هذه العبارة مع اسم اتيخس فقد تركهما ورفضهما مقاومو المجمع الخلكيدوني الذين اقتادهم زينياس وبطرس القصار ولهذا يسمون ذوي طبيعة واحدة لا اتيخين لان كل الذين يطلق عليهم هذا الاسم اعتقدوا ان طبيعة المسيح الالهية والطبيعة الانسانية اتحدتا وصارتا طبيعة واحدة فقط ولكن بدون تحويل أو امتزاج (قرن ٥ ق ٢ ف ٥ : ٢٣)

(٤) أما الاسباب التي حملت المؤمنين ولا تزال تحملهم على رفض هذا المجمع فهي أولاً الدعاوي الكاذبة التي أصدر المجمع الحكم بموجبها ضد الاب ديسقوروس وقد سبقت الملاحظة على كل واحدة منها وظهر كذبها ثانياً ان أساقفة العالم المسيحي في مصر وفلسطين وسوريا وأرمينيا وما بين النهرين لم يقفوا على ما حكم به وأثبتته ذلك المجمع حتى ثاروا في كل موضع وعقد كل جماعة منهم مجمعاً حكم برفضه ورشق آباءه بالحرم لانهم أصدروا حكماً مضاداً للعدالة ضد الاب ديسقوروس وأثبتوا في دستور اعتقادهم اثنية الطوائف في المسيح من بعد اتحادها وقبلوا في شركتهم رؤوس الحزب النسطوري الذين حكم عليهم المجمع الاول والثاني في افسس بالخروج من

محض الكنيسة وقد حكم برفض هذا المجمع مجمع مركب من خمسمائة أسقف اجتمعوا في العاصمة سنة ٤٦٨ واثباتاً لذلك نذكر ما قاله الأب جراسيوس في الجزء الثاني من تاريخ الانشقاق وجه ٢٦٥ وهو (ان باسيلسكوس بحال ارتقاءه الى كرسي المملكة أعاد بطرس القصار البطريك الانطاكي وتيموثاوس ايلورس البطريك الاسكندري الى مركزيهما وبرأيهما أصدر منشوراً ضد المجمع الخلكيدوني ورسالة البابا لاون وجعل مذهب الطبيعة الواحدة الديانة الاولى في المملكة عموماً وأجبر نحواً من خمسمائة أسقف ان يعضوا على منشوره) وعقب هذا المجمع بخوست سنين انعقد مجمع آخر في العاصمة في أيام الملك زينون رفض مجمع خلكيدون وأصدر الملك حكمه بمنشور ملوكي معروف باسم (كتاب الاتحاد) قبلته بطاركة الاسكندرية وانطاكية وقسطنطينية ووقع عليه نواب البابا كما سنوضح ذلك ثالثاً ان المجمع الخامس عند الروم واللاتين قد تلم صحة مجمع خلكيدون بحكمه ضد الثلاث قضايا كما سنين ذلك في محله رابعاً ان الكاثوليك قد ثلوا صحة هذا المجمع بمخالفتهم لما تضمنه القانون التاسع والقانون الثامن والعشرون من قوانينه اللذان أثبت فيهما ذلك المجمع مساواة سلطان الاسقف القسطنطيني بسلطان الاسقف الروماني فقد قال في الاول (اذا قام خصام بين أسقف أو اكليريوسي وبين ميتروبوليت الابرشية عنها فليرفع الامر اما الى اكسرخوس الولاية او الى كرسي القسطنطينية المتملكة) وقال في الثاني (نحدد نحن ايضاً ذلك التحديد عنه ونصدق عليه في تقدم الكنيسة الجزيلة القداسة كنيسة القسطنطينية عنها رومية الجديدة لان الآباء قد منحوها بلياقة لكرسي رومية القديمة التقدم لكونها المدينة المتملكة وهذا القصد عنه قد حرك الاساقفة المبائة والخمسين الجزيل تورعهم فمنحوها كرسي رومية الجديدة الجزيل القداسة مساواة التقدم اذ رأوا من الصواب ان المدينة التي شرفت بالملك والمجلس الاعلى وحصات على مساواة التقدم لرومية عاصمة الملك القديمة لها ان تعظم مثل تلك في الاخوال الكنائسية ايضاً وان تكون ثانية بعدها)



البابا تيموثاوس البطريك السادس والعشرون سنة ٤٥٠ م — ٤٧٢ م

وحدث ان الملك مرسيان لما نفى الاب ديسقوروس أقام شخصاً يدعى بروتوريوس بصفة بطريك على الاسكندرية وأرسله الى مركزه فرفض أساقفة مصر الاشتراك معه وعقدوا مجمعاً حكموا ضده وضد مجمع خلكيدون ورسالة البابا لاون وكان حضر بقوة من طرف الحكومة ونهب وسلب الكنائس واستولى على مال الاديرة حتى صار ذا ثروة جزيلة ومال وافر فهجمت اللصوص عليه ليلاً طمعاً في الحصول على ثروته وقتلته وسلبت بيته وتركته ميتاً فاتهم المؤرخون ان المسيحيين الاقباط هم الذين قتلوه اما الاساقفة المستقيمون الرأي فلم يكرسوا لهم بطريكاً حتى تحققوا ان ديسقوروس رقد في الرب متمماً جهاد النفي سنة ٤٥٠ م وكان الملك المحامي عن مجمع خلكيدون قد توفي وقام بدله لاون الاول فانهز الاساقفة هذه الفرصة وكرسوا بسرعة تيموثاوس بطريكاً على الاسكندرية فجمع مجمعاً وحرم المجمع الخلكيدوني فغضب عليه الملك لاون ونفاه هو وأخاه اناطولوس الى غاغرة من أعمال بفلاغونيا فاستمر في منفاه سبع سنين الى ان رده الملك لاون الثاني واتحد مع بطريرك القصار بطريك انطاكية وعقد مجمعاً في العاصمة مركباً من نحو ٥٠٠ أسقف حكم برفض مجمع خلكيدون وأقر على التعليم بوحدة المسج الطبيعية ورفع قراراً الى القيصر فقبله وأصدر منشوراً بالتسك به دون غيره فاتحدت كراسي القسطنطينية والاسكندرية وأورشليم وانطاكية معاً واستمر هذا الاتحاد مدة مستطيلة ولما كانت سنة ٤٧٢ م توفي الاب تيموثاوس

البابا بطرس البطريك السابع والعشرون سنة ٤٧٢ — ٤٨١ م

(١) مبادلة رسائل بين هذا البطريك وبين أكايوس بطريك القسطنطينية بطلب الاتحاد (٢) انعقاد مجمع في العاصمة بسبب ذلك وصدر منشور الاتحاد من الامبراطور زينون (٣) رسائل التهاني بين دينك البطريكين (٤) انشقاق في كنيسة الاسكندرية بسبب الاتحاد (٥) الثلاث تقديسات

(١) وحدث انه لما توفي البابا تيموثاوس بادر الاساقفة الارثوذكسيون ورسموا القس بطرس بطريكاً ولم يعد كائناً البطركية حتى عقد مجمعاً حرم فيه مجمع خلقيدون ورسالة البابا لاون فأهاج عمله هذا الملك ونشأ وأقام بدله شخصاً اسمه تيموثاوس الابيض ولما مات تعين خلفاً له يوحنا طالائاس وكان هذا أقسم امام القيصر على انه لا يصير بطريكاً فخط عليه وعزله ورد الاب بطرس من منفاه وكان اكاكيوس أحد معاصدي مجمع خلقيدون ومضادي بطرس البطريك الاسكندري لا يزال بطريكاً بعد على القسطنطينية فوخته سريره وندم على ما فعله مراتباً بحجة ذلك المجمع وناركا مبادئه فأخذ يسعى ويجهد في ان يتحد مع صاحب الترجمة وأرسل له مع يوليانوس الشماس الاسكندري يخلف له بالأنجيل المقدس بأنه عزم بكل نفسه على العدول عن المذهب الخلكيدوني راغباً ان يتحد معه وتمسك برأيه ويرفض ما يرفضه ومن ثم بدأت الرسائل تبادل بين الفريقين حتى انجالت الحقيقة واجمع كلاهما على الاتحاد وتعين لذلك انعقاد مجمع في العاصمة حاكم به ورفع الى الملك زينون تقريراً يحتوي على مبادي الايمان الصحيحة طالباً اليه ان يصدر أمره بتنفيذه ففعل ذلك ومن سوء الحظ ان كتبنا الآن لا تحتوي الا على خبر هذه الحادثة التي لها شأن وأهمية في كنيستنا ما عدا انه مذكور في تاريخ صاحب الترجمة في كتاب تاريخ البطارقة ان صور تلك الرسائل والتقارير الجمعي والمنشور الملوكي موجودة في دير الانبا مقاريوس في وادي الاطرون والباحث في كتب ذلك الدير لا يجد لها أثراً بعدعين فان الدهر الخثون اضاع كتبنا النفيسة وبدد ما فيها من البراهين والمستندات القوية غير أن الفضل في الوقوف على هذه المحررات لجمعية الآثار الفرنساوية في القاهرة فانها وجدت بالغة القبطية في احدى جهات القطر المصري وترجمتها الى اللغة الفرنساوية وطبعها بتينك اللغتين سنة ١٨٨٨ ميلادية غربية في مجلد واحد يشتمل على تواريخ بعض الآباء وبعض مواعظ الاب كيرلس الكبير وغيرها وعلى هذه المحررات وعدتها أربعة عشر رسالة ثمان رسائل من الاب بطرس وست من الاب اكاكيوس تحملها صورة المنشور الملوكي ولما كان الوقوف عليها يهم كل مسيحي على وجه العموم وقبطني على وجه الخصوص قد ترجمتها حرفياً وأدرجتها في هذا التاريخ لئتم فائدتها وهاك هي

الرسالة الاولى التي ارسلها الانبا بطرس الى اكاكيوس

« بدون عنوان في الخارج »

ان الشماس يوليانوس قابلي ليلة في مكان كنت هارباً فيه من هرطقة مجمع خلقيدون الدنسة وبيده الانجيل المقدس فقال لي (اني لما كنت في القسطنطينية أرسل اليّ أكاكيوس شماساً يدعوني الى المكان الذي كان بيت فيه فلما سرت اليه قال لي أيها الشماس يوليانوس هل انت مزعج ان تشترك معي في الصلوة أم لا فأجبت قائلاً لا . لان ذلك من المستحيل فانه لا توجد هنا الارثوذكسية يعني لا تصل . ثم أمرني ان أجلس وكنا كلانا منفردين في ذلك المكان ولما حل الانجيل قال لي هكذا انطلق الى الاسكندرية وفتش على الانبا بطرس وأحلف له كما حلفت لك انا الآن بقولي (وحق الكتب المقدسة اني ارجب من كل نفسي ان أتوب واطرح عني هرطقة مجمع خلقيدون الدنسة فاني بينما كان المعبوط تيموثاوس موجوداً في هذه المدينة بمنزل (باسيليكوس) أرسلت نحوه شماسي (كريزاريون) وبيده كتابي المخطوط بيدي وفيه بت وحرمت مجمع خلقيدون وطومس لاون والأوطاخين وكل هرطقة . غير ان ثيوكتيستيس الوالي المعتقد مذهب أوطاخي المعترف بتعليم باطل لما وجد الشماس في الساحة أخذ من يده الكتاب وقرأه ووجد اني قد حرمت فيه أوطاخي فضرب الشماس وطرده ومزق الكتاب ولم يكن يعلم بذلك تيموثاوس المعبوط لانه كان ساكناً في الدور الأعلى . وقد كنت ظننت ان الشماس طرد بايعاز الطوباني تيموثاوس وبما ان الحزن استولى عليّ بسبب ضرب شماسي لبثت لا أبدي أدنى حركة خائفاً على تكدير سلام تلك الايام وحيث اني الآن أخشى ان تدركني ساعة الموت ويحل بي قضاء الله أطلب اليك وأنا مستعد ان أفعل كل ما يريح فؤادك واني لمتقدم ونائب وحارم لكل هرطقة)

وبما ان شماسي يوليانوس أخبرني بكل ذلك بقسم فقصد أرسلته اليك دفعة ثانية وسطرت لك في هذه الرسالة كل ما قال لي فان كان الامر لا يتخلله ريب وانك قلت له هذه الامور فاكتبها لي

رسالة الاب بطرس الثانية الى اكاكيوس

من بطرس بطريك الاسكندرية الى اكاكيوس بعد ما ارسلت اليك شماسي يوليانوس بثمانين يوم جاءني منه خطاب على يد خادمه ثيودوسيوس ولم ارد ان افرض حقومه ولا ان اقرأه حين رأيت ما هو مكتوب على عنوانه لاني لم ارض بما هو مسطر فيه لان العنوان مكتوب فيه هكذا (يتسلم الى قداسة الأنبا بطرس رئيس اساقفة الاسكندرية من عند اكاكيوس رئيس اساقفة القسطنطينية) فقل لي اذا لماذا تدعوني رئيس اساقفة انت الذي اجهدت ان تعزلي كما توهمت بصوت غير مفهوم ملاحظاً القوة البشرية . اني انا رئيس اساقفة لانه لم يعزلي أحد رضيت بذلك أو لم ترض لاني حفظت ايمان الله ولم انكره ولكن كيف تجسر انت وتدعو نفسك رئيس اساقفة ألا تقيم الحجة عليك سريرك الداخلية وندامتك على ذلك . وبالأجمال (قل لي) حقاً من هو أنت وبكم مقدار سرت في (طريق) الشرور . فانهض اذا وتأمل في ما فعلت فان القاضي مزعج ان يطلب من يدك الحقل المزروع . وهوذا أرسلت لك خطابك محتوماً كما أرسلته لي . لاني لم أقرأه بالجملة

رسالة اكاكيوس الاولى

من اكاكيوس الى بطرس رئيس الاساقفة ان الاطباء الحاذقين من عادتهم ان يقطعوا بسلاح حاد الاعضاء الفاسدة . فهكذا انت أيها الاب الحاذق فاك بسيفك الروحي قطعت فكر العظيمة وأظهرت بدء الصحة بحق . ولذلك ان لي ثقة وأرجو بنعمة الله ان المسيح ابن الله الوحيد يشفي بمرأهمك اللطيفة كل ما هو مستر في من الامراض والاوراجع ويعيد صحة جسم الكنيسة كما كانت (سابقاً) والآن انا تأب وبالك نظير بطرس أول الرسل الذي أنكر المسيح واتوسل اليك ان تقبلني وأنا تأب كما قبل المسيح بطرس . واذا كنت تقضي علي أنا

الحقير ان أكون بمنزلة علماني فأكون معك في الايمان الارثوذكسي فقط واني سأتكبد مفض هذا الالم لكي أنجو بنفسي . حل من هذا القيد النجس الكفري عروس المسيح التي هي الكنيسة فان خيراً لي بالحري على كل حال كما قلت ان أتكبد هذا الالم لكي أرى المسيح الامر الذي التمسته منه الى الآن . استخلفك أيها الاب الاقدس بشفقة الرسول بولس اللطيفة وقل لنا جميعاً (يا أولادي الذين أتمخض بهم من جديد الى ان يتصور المسيح فيكم) . وقد كتبت لك في الخطاب الذي أعدته لي بدون ان نقرأه (والحق معك) ما مضمونه . (يانبراس الايمان الارثوذكسي أشرق على الجالسين في الظلة وظلال الموت لان ظلام الكفر والعماء قد استحوذ على المسكونة فاننا ساجدون في هوة الانكار والموت التام من حين ما تعرينا من الايمان . وحسناً قال داود عنا باستحقاق (الجميع زاغوا معاً وعثروا) لاننا كلنا نحن الخطاة قد تركنا الله وراء ظهورنا على حسب قول النبي مندهشين من هبة الملوك الظالمين وقد اطفأنا شعاع الايمان المستقيم المضيء لكي نحصل على المجد البشري فأشرق علينا يانبراس الارثوذكسية واننا نحن الجالسين في الظلام (بعيداً) عن نور الارثوذكسية تشبه باسطفانوس رئيس الشماسة وأول الشهداء وأصرخ بصوت عال الى الله من أجلنا نحن الذين اضطهدناك وقل اللهم لا تحسب عليهم هذه الخطية

✠ رسالة الاب بطرس الثالثة ✠

من بطرس رئيس أساقفة الاسكندرية الى أكاكوس . انك زدت برساتك وجعاً على وجع نفسي المثقلة بالآلام واني لغاية هذا الحين كنت اجتهد ان أزكي نفسي من ذنوبي الكثيرة لكي استحق ان اقف بدون عيب أمام منبر المسيح . والآن لا ادري ماذا افعل لك بعد ما كتبت لي فان المرض الذي استحوذ عليكم بارادتكم لا استطع ان أشفيه وهوذا قد مضى على انقضاء مجمع خلكيدون واحد وثلاثون سنة الذي بسبب مذهبه الفاسد بددتم قطيع المسيح وقستم جسم الكنيسة المقدس الذي مات المسيح عنه بامضائكم على الاعتراف بالطيغتين وعلى

طومس لاون وقد شابهتم الاسد المفترس بأنيابكم العديمة الامانة فأنكرتم الايمان المستقيم وبكفر قسمتم الله الغير المنقسم : فأني كفر أعظم من هذا وأي حزن أزيد منه فلذلك لا أدري ماذا أفعل معك فان مرضك الارادي لا أقدر ان أشفيه لاني أنا أيضاً رجل خاطيء موضوع تحت حكم الموت فلمل المسيح الذي أنكرته لا يطرحك فصل اليه عساه يلتفت اليك ويرحمك وينقذك . فليذكرك جميع القديسين الذين تعريت من سعادتهم فليذكرك الفردوس الذي أعد لك وعدمته بسبب كفرك فلتذكرك الشمس التي لمسأرات آلام المسيح حجبت نورها والتخفت بالظلام عوض النور مبكته الكافرين في ذلك الزمان وانت الآن فلتذكرك كل الخليقة المنظورة والغير المنظورة فليحزن عليك القوات الذين هم فوق الجميع وليمثل أمام الله المحب البشر طغيمات رؤساء الملائكة وليسجد من اجلك الشاروبيم والسارافيم وذوو الاعين الكثيرة ومصنف الملائكة الذين لا يفرون من تقديس الله المثلث فليصلوا عنك لكي يسمع لك ويرسل نقطة من رحمته عليك وعلى الشعب المظلوم الذي تبسده كاهن مملوء من الغرور . فعلى ذلك لا أكف ان أنصحك بصفتي رجل خاطيء لانك أنكرت الله فلا تتعاس من ان تستغيث اليه بشفاعه القديسين لكي يردك ويرحمك وينقذك

رسالة اكاكيوس الثانية

من اكاكيوس الى بطرس رئيس اساقفة الاسكندرية . الآن اعد نفسي سعيداً لاني رأيت ابويتك المقدسة قد تأثرت جداً واشتركت باوجاعنا الى الله عنا بخوف واهتمام ذلك الذي لم تنكره . الآن تأكد قلبي انك تليد حقيقي للمسيح لانك تصحنا للخير وحسناً تعلمنا الا تكف من الصلوة الى الله الذي أنكرناه لكي يردنا ويضع منا رحمة ويقبلنا فنحن مزمعون ألا نفر من عمل ذلك . غير ان طومس لاون المملوء من الكفر الذي امضى عليه بتفاق مجمع خلكيدون محابياً مع الملك الكافر مرقيان والذي احدث التوقيع عليه انكار ابن الله الوحيد فهذا الطومس المملوء من الكفر قد حرته امام سكان السماء والارض بهذه الرسالة التي خطتها

بيدي هو وجمع خلكيدون وبالتالي انظر يا أبت المحبوب الى الخطر الذي يتهددك من قبل الله. فانك اذا كنت تعلمو ظلماً وتهملنا لهلك وتقابل الشر بالشر ولم تقابل الشر بالخير فظير معترف للمسيح ولم تقبلنا لكي يخلص الشعب بواسطتك وتحل السلامة فسأقيم الحجة عليك أمام كرسي المسيح وأمام جميع الملائكة لاني انا بيدي الخاصة كتبت وحرمت بهذه الرسالة مجمع خلكيدون وطومس لاون وكل من يفرق وحدة المسيح الى طيبتين ولاأترمن السكوت مسلماً حكماً الى الاله المحب للبشر والى قداسك ايها الاب الرحيم

رسالة الاب بطرس الرابعة

من بطرس رئيس اساقفة الاسكندرية الى اسكافيوس . لما ذا أيها الرجل تسحق روحي الذليلة لما ذا تقاضيني والى الآن تنظر الى بصفة كافر وقد كنت اجتهدت ان تعزاني وانتضيت امامي سيوف الملك فلم أخجل من ان أفوه بالحق والآن ترعجني وتضع عليّ أحمالاً ثقيلة فانك تشكيني أولاً امام الله وتضع عليّ خطراً لا أستطيع ان أقوى عليه بقولك (انك مزعم ان نقيم علي الحجة امام كرسي المسيح اذا كنت لا نقبل توبتنا وتقابل الشر بالشر ولم تقابلنا بالخير بدل الشر ولم تكثرث بصالحنا وتركنا لكي نموت في هذه الهرطقة) فاعلم انه لا يمكنني ان أكون بدون اهتمام وان أهملكم والا أقبل الذين تابوا بسبب القضاء الذي أثقلتني به لان الله يحب جميع الناس واني لا أقابل الشر بالشر لكن بالخير اجتهد ان أقابل الشر بالخير ليعطنا الله قوة على ذلك واعرف انك قد حرمت بحرمك لطومس لاون آباءك الذين وقعوا عليه وينبغي ان تعلم أيضاً انك حرمت نفسك وأصبحت غريباً من كل درجة كهنوتية وصرت علمانياً فلا يجوز لك هذا الكلام فاني لا أخشى البتة أمراً فلا أخاف ولا أكف من ان أقول الحق فانه لا أحد يقدر ان يسلبني حريتي التي هي المسيح نفسه ولو نزعته هامتي

رسالة اكاكيوس الثالثة

من اكاكيوس الى الانبا بطرس رئيس اساقفة الاسكندرية . اني قلت مرة ولا ازال اقول كما قلت لقد استك يا ابت احذر الخطر الذي يهددك بسبب المسكونة فان كنت لا تهتم وتدعنا ولم تقبل الذين تابوا بعد ان حرمت طومس لاون وجمع خلكيدون وحرمت نفسي أيضاً ولكني مسرور فاني منذ الآن لا أشفق على ذاتي حتى أربح المسيح . فالآن أيها الاب الاقدس أنا والاساقفة الذين تابوا ربما نكون مطرودين ومتعربين من الكهنوت بالكثيرة ولكن أين هي الينابيع التي تفيض من مراحم الاله وكيف ان الكتاب ينطق قائلاً الحق (قل انت خطايك أولاً لكيما تبرر) فعسى ان توتي لا تعود على كل الدنيا بالمضرة والدمار بدل اصلاحها . فان جملة من الكهنة اذا القوا من المذبح لابد انهم يحزنون ولم يقبلوا الى التوبة غير حريدين ان يتركوا الكنائس وهكذا كثيرون من الشعوب يشكون ويقلقون ولا يمكنهم ان يحملوا ترك رعاتهم فلذلك لا يكون محل لفعل السلامة وتكون كنائس الله موضوع قهقهة الهراطقة الكافرين وتكون الاواخر شر من الاوائل

فاقبل بالحرى ايها الاب الاقدس دعاءنا واجتهد بكل روحك ان تنضرع الى ذلك الذي لم تنكره لكي يمحو عنا نحن الكهنة توقيع يدينا الذي انكرناه به . أمنحنا اكليل الكهنوت الارثوذكسي وكن شبيهاً بموسى الرحيم واصرخ الى الرب قائلاً (ان غفرت لهم اغفر لهم وان لم تفعل ذلك فامحني من كتابك الذي كتبت) فان هرون الكاهن العظيم كان اخطأ ايضاً مع الشعب اذ صنع له العجل الذهب وخالف مع كل الشعب وبصلوة موسى الرحيم احرز حلاً المصالحة مع الله ولم يتغرب من الكهنوت واستمر كاهناً لله الى نهاية أيامه . فكان شبيهاً بموسى أيها الرجل الصالح كما قلت واصرخ مثله الى الرب عنا ونعال الينا وخذ بيدنا المملوطة وانشلنا من جحيم الكفر وأثنا على الصخرة الثابتة الحقيقية التي هي المسيح يسوع كما قال بولس الرسول ان (الصخرة هي المسيح) الذي صار انساناً لكي يخلص الجنس البشري . فصل اذاً الى الله أيها الاب بدون

فتور ان يقبل توبتنا والا يهلكنا الى النهاية . أنظر الخطر الذي يتهددك بسبب المسكونة
ولا تتأخر من قبول توبتنا لكي تصطليح الكنائس وتحد واني الآن أحرم مجمع
خلكيدون وأتوب وأصرخ قائلاً أخطأت يا رب أخطأت اغفر لي فاني خاطيء

رسالة الاب بطرس الخامسة

من بطرس رئيس اساقفة الاسكندرية الى اكاكيوس . اني متضايق في كل
حال فالك يا أخي وشريكي قد نصبت لي بسبب توبتك العظيمة حبائل الموت
في كل مكان فلم أقبلكم ولم أشتريكم بالأمم وأشاطر انزعاجكم وأساهم
عملكم الملكي أتم الذين عقدتم النية على التوبة والخلص فساجد ذاتي ساقطاً في كفر
هرطقة تباع (والنتيوس) الذين لا يقبلون توبة وصامداً امام الذين يرومون ان
يتمسكوا باطراف التوبة باب محبة الله العظيمة من نحو البشر . فالآن اصغ الى تدبير
الرب وقدم توبة بالصوم مدة أربعين يوماً ولا تقابل أحداً (في هذه الاثناء) بدعوى
انك مريض فصم واصنع توبة باجتهاد عنك وعن الشعب باسمه وانا ايضاً سأصوم
واصنع توبة من اجلك فلنقدم كلانا توبة بحال سرية من أجل جسم الكنيسة بأكمله
فلا نتناول الخبز بشهية عظيمة ولا ندهن بزيت ولا نشرب خمرأ ولا جعة (بيرة)
ولنغذ جسدنا الاثيم بنبات الارض ولنترضع الى الله الذي يرحم الجميع بالدموع ليلاً
ونهاراً لكي يلقي التفاته على توبتنا ويزيك من اقرار مجمع خلكيدون بالطبعيتين .
وبعد مضي مدة الاربعين يوماً من الصوم سيعلن الله لنا ويعلمنا ما يلزمنا ان نفعل
وسيرينا حنوه ومراحه

رسالة اكاكيوس الرابعة

من اكاكيوس الى بطرس رئيس اساقفة الاسكندرية اشكر الهنا ايها الاب
الاقديس لانك رضيت ان تشاطرنى اتعابي أنا الخاطيء الذي كنت على
شفا الهلاك اشكر الله الذي نجاني بصلواتك وادخلني الى نوره المقدس الشكر

لله الذي يريد ان جميع الناس يخلصون والى معرفة الحق يقبلون . ان الصوم والقصاص
الذين أمرني بهما الله (قت بواجهما) عن طيبة قلب ومسرة وتمنحي الله قوة
وخصوصاً اني علمت ان أبوتك اشتركت باتعابي واجاهدت معي بهذا العمل فقد صمت
أربعين يوماً كما أمرتني ثاباً وباكياً ومتضرعاً الى الله بحرارة ان يغفر لي انا والشعب
ويطهرنا من ضلال هرطقة مجمع خلكيدون الدنسة التي حرمتها . والآن ايها الاب
الاقديس انظر الى تواضعي بالكمال وارجوك مستغفراً ان تمنحني حرية تامة واجر
صلح الكنائس وارسل لنا ايها الاب الاقديس أناساً قديسين من رهبان البرية ومن
الاديرة ومن المدينة رجالاً خائفين الله ومحبين للعمل ليطالبوا من الملك ليقيم صلح
الكنائس ويرفض مجمع خلكيدون وأنا سأنتقل الى السراي وأفصح الملك وأقمسه
عوضاً عنك انك رافض مجمع خلكيدون كما قلت أنا ذلك لكي يتم تدبير صلح
الكنائس .

رسالة الاب بطرس السادسة

من بطرس رئيس اساقفة الاسكندرية الى اكاكيوس رئيس اساقفة القسطنطينية
اني كما كتبت لاختوتك قد قضيت اربعين يوماً صائماً واستغفرت عنكم لكي يغفر
لك الله ويقبل توبتك كعظيم رحمته وصلاحه والآن قد اقمعتني خيرية الاله ان اقبلك
وأمنحك الحل سيما لانك حرمت معي مجمع خلكيدون وحفظت الايمان الارثوذكسي
الذي استلناه من الثلاث مئة وثمانية عشر أسقفاً ولذلك قد أرسلت الى الملك كما
كتبت لي رهباناً محبين لله من البرية ومن الاديرة وأناساً ذوي تقوى ومحبين للعمل
فالآن اسرع ايها الحبيب واقنع الملك لكي يتم تدبير صلح الكنائس في الايمان
الارثوذكسي وقد ارسلت لك يا أبت الحل كمسرة الله فان صلاح الاله ومحبه من نحو
البشر اعلتاني انه تعالى غفر لك وقبلك واظهر لي انا الخاطيء الغير المستحق سرّاً عظيماً
وقت القداس من اللازم ظهوره لك أيضاً لكي اذا كمل تدبير صلاح الكنائس في
الايمان الارثوذكسي نحمد اسمه المقدس منذ الدهر والى كل الدهور آمين

(٢) ثم انه بعد مامضى الى القسطنطينية شيوخ البرية والمحبون للعمل كتب الملك

منشور الاتحاد هذا

من الامبراطور القيصر زينون النبي الغالب الظافر العظيم جداً الاوغسطس
المحترم الى الاسكندريين والايبيين وأهل الحس مدن الاساقفة والشعب
اننا نعلم ان رأس مملكتنا وقوتها وقدرتها واسلحتها النعمة هي من قبل الامانة
الارثوذكسية المبرورة وحدها التي قررها الآباء القديسون الثلاث مئة وثمانية
عشر الذين اجتمعوا في مدينة نيقيا بقوة الروح القدس وأيدها المئة وخمسون أباً الذين
اجتمعوا في القسطنطينية ونحن نأمر ليلاً ونهاراً بكل صلوة وبكل اجتهاد وناموس
بالتمسك بهذه الامانة بثبات بكل مكان من الكنيسة الجامعة الرسولية لكي تنمو في
الايمان الارثوذكسي الرسولي لانها هي أم مملكتنا الغير المضمحلة الدائمة ولكي يكون
الشعوب الاثنياء مصطلحين ومتحدين ويقدمون الابتهاالات المقبولة عن مملكتنا فانه اذا
قبل عبادتنا وتمجيدنا سيدنا والهننا المسيح الذي أخذ جسداً من العذراء مريم القديسة
وتمجد بذلك تقهر القبائل الثائرة ويمنح الله للبشر السلامة والخيرات والعافية والآنمار
الصالحة وكل ما هو جيد

والآن قد قدم لنا محبو الاله ارشمندريون وشيوخ البرية وأناس آخر أثنياء
رجاء سائلين منا بدموع ان نجري صلح (اتحاد) الكنائس ونجمع الاعضاء التي مزقتها
عدو الخير لتشارك ببعضها

ولهذا بادرنا لاسماع (ذلك) واتمام هذا العمل الصالح فاذاً نعلمكم انه أي بحث
كان أو تحديد ايمان آخر خارجاً عن الامانة التي قررها الآباء الثلاثة وثمانية عشر
فانا نرفضه بل ان كان أحد يتخذ أمانة أخرى خارجاً عن التي سبقنا وأخبرنا عنها فذلك
نحمله غرباً عنا لان أمانة الآباء الثلاثة وثمانية عشر كما قلنا آنفاً نعرفها انها غير معابة
وانها مستقيمة تلك التي أيدها الآباء القديسون المائة وخمسون بالقسطنطينية واتبعها
آباؤنا القديسون الذين اجتمعوا مع القديس كيرلس وعزلوا المنافق نسطوريوس
وقبلوا أيضاً الاثني عشر فصلاً التي للطوباني كيرلس

ونحن أيضاً نحرم نسطوريوس وأوطيخا الخيالي وكل من ظن بأمانة أخرى

خارجاً عن الامانة التي سبقنا وأخبرنا عنها التي للآباء القديسين الثمانية وثمانية عشر
 ونعترف بأن الله الوحيد الجنس الهنا وربنا ومخلصنا يسوع المسيح الذي صار انساناً
 بالحقيقة المساوي لله بحسب اللاهوت وهو مساو لنا أيضاً بحسب الناسوت الذي تنازل
 وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء القديسة نعترف به انه ابن واحد
 لا اثنان . الآلام والعجائب نعرفها انها لواحد هي أعني به ابن الله . ان الذين
 يفرقونه أو الذين يجعلونه اثنين . أو أيضاً يظنون فيه خيلاً أو امتزاجاً لا نقبلهم
 بالكلية لان المولود من العذراء لم يزد ابناً آخر لان الثالث ثبت ثلوثاً من بعد ما
 صار كلمة الله الواحد من الثالث جسداً

واعلموا أيضاً ايها الاحباء انه لا نحن ولا الكنائس قاطبة ولا اساقفة الكنائس
 الارثوذكسين قبل امانة أخرى ولا تحديداً آخر ولا تعليماً آخر خارجاً عن امانة
 الآباء القديسين الثمانية وثمانية عشر لانها هي وحدها الامانة التي يصطبغ بها فلتنفق
 (فلتنحد) اذاً مع بعضنا بعضاً غير خائفين من احد ولا صائرين ذوي قلوب وكل من
 آمن ووطن بنوع آخر ان كان الآن او قبل هذه الايام في المجمع الحلكيدوني أو
 بأي اجتماع آخر خارجاً عن الامانة التي بدأنا بها وقلنا عنها التي للآباء الثمانية وثمانية
 عشر هذا نخرمه ونجعله غريباً عن الكنيسة الجامعة وبالاخص نسطوريوس الذي
 اعترف بطيعة والذين يرتأون مثله وأوطيخا الخيالي نخرمهم .

فاصلحوا اذن مع الام الروحية التي هي الكنيسة الجامعة كأبناء احباء وهي
 تراعيكم مريدة ان تحتضنكم بعظم بركة لكي يسر الله بنا جميعاً وتفرح بكم كافة
 الملائكة

رسالة اكاكيوس الخامسة

من اكاكيوس رئيس اساقفة القسطنطينية الى قداسة الانبا بطرس رئيس اساقفة
 الاسكندرية وأبيها

انه لما حضر الى هذه المدينة المسالكة الاساقفة القديسون والاكليروس وشيوخ

البرية والمحبون للعمل قضى الله ان كل شيء يتم بغاية العمل المحمود لان الملك النبي زينون خصص ذاته بمسرة قلب زائدة لتعذيب الايمان الارثوذكسي وأرسل نحوي مقتشاً ولكي لا أقول لك ما حصل لانك تعرف كل شيء من الرجال المحبين لله الذين حضروا الى تلك المدينة انه أمر بمرسوم الاتحاد (بالانوتيكن) الذي حرم فيه طومس لاون ومجمع خلكيدون وكل هرطقة المؤيد بالايمان الارثوذكسي الذي سلمه الينا الرسل الاطهار . فهوذا مرسوم الاتحاد قد استلمه المحتشم (برجام) من يد الملك ومن يدي ومن أيدي الذين توجهوا اليك والذين أرسلتهم الينا استلمه واختبره ووقع عليه وأبسط نور الارثوذكسية الحقيقي . ومصباح الايمان القويم الذي كاد ينطفئ خذه وانزبه جميع البشر وحلنا من قيود الكفر واستلم كرسيك من الله ومن عروسك الروحية المحبوبة كنيسة الاسكندرية وافرح أيها المعترف بالمسيح لان القاضي المدل وضع على هامتك اكليل الارثوذكسية لانك قبلتنا تأيين وأنقذتنا من خلال مجمع خلكيدون وكل الشعب اختبر رحمة الله المجد للاب والابن والروح القدس منذ الدهور جميعها آمين

رسالة الاب بطرس السابعة

(٣) من بطرس رئيس أساقفة الاسكندرية الى اكاكيوس رئيس أساقفة القسطنطينية اني قبلت بالرب الذين وافوا من المدينة المالكة وهم الاساقفة المحبون لله شركاي والاكليروس وشيوخ البرية ومجدت محبة الله للبشر الذي أقنع بواسطتك الملك العادل (حتى أصدر) مرسوم الاتحاد الذي استلمته من المحتشم (برجام) ولما قرأته علمت بأية قوة حرم طومس لاون ومجمع خلكيدون أيضاً وكل هرطقة ووجدته يوافق الايمان الارثوذكسي الذي للآباء الثلاث مئة وثمانية عشر الذين اجتمعوا في نيقيا والمئة وخمسين الذين اجتمعوا في القسطنطينية والمجمع الذي صار في افسس مع القديس كيرلس ولذلك أنا أيضاً بعد ان شكرت الله وقعت عليه (أي على مرسوم الاتحاد) حارماً طومس لاون ومجمع خلكيدون وكل هرطقة فأشكر الله المحب البشر

وأعجب اسمه المقدس لانه رد الضالين وجمع قطيعه المتبدد وصالح كنائسه المقدسة في الايمان الارثوذكسي الرسولي فليكن اسمه مباركا في جميع الاجيال آمين . قد استلمت برأفته كرسي الذي لمقرس الانجيلي وجلست عليه مع عروسي الطاهرة الروحية الكنيسة المقدسة الجامعة الرسولية في اليوم الثامن عشر من شهر بشنس الذي هو اليوم السادس من الاسبوع

رسالة اكاكيوس السادسة

من اكاكيوس رئيس أساقفة القسطنطينية الى الاب الاقدس المعترف بالايمان الارثوذكسي بطرس رئيس أساقفة الاسكندرية .
اني لا أكف من ان أوليك العجب أيها الاب الاقدس وبالاخص اني أعجب الله الذي منحنا هكذا هذه النعمة العظيمة ان نعرف باعلان لي (ارادته) لانه بالحقيقة قد اقتنعت انك كلما تصعد الذبيحة المقدسة المحيية ترى مجد الرب وباعلان تنظر عظمته وأنا قد رأيت كما كتبت لي سابقاً رأيت أيها الاب الاقدس اسراراً عظيمة يوم الاحد بعد ما أرسلت لك مرسوم الاتحاد لتصطلح الكنائس لاني كنت أتضرع الى الله بدون فتور ان يغفر كل ما فعلت فان نعمته أقتعني كما قلت اني بينما كنت واقفاً أصعد الذبيحة المقدسة في يوم الرب في الساعة الثالثة من النهار في شهر بؤنة في اليوم الخامس عشر منه وحينما كنا نرتل لله ترنية الثلاث تقديسات أضاء حولي نور عظيم لا ينطق به ولم أره قط واكتفني أنا وكل المذبح وقد رأيت ربنا يسوع المسيح كطفل مشتمل بلباس أبيض من الصوف ورأيت رسم المسامير عليه وكان متكئاً على الصينية والكناس الموضوعين على المذبح كما على سرير وبغثة انتزع مني الخوف والجزع وامتلائت من الفرح وكنت أظن اني لست على الارض بالكلية وقد سمعته يقول هكذا الله يعلم ذلك (تقووا يا كهنتي تقو يا شعبي جميعاً فقد نزعتم عنكم عار توقيع الكفر الذي وقعتموه على الطوموس الدنس الذي للاون الملعون وجميع خلكي دون) وبعد ذلك لم أره أبداً ولم أسمع صوته ولم أر هذا النور السعيد فلذلك اني أشكر الهنا الصانع العجائب

العظيمة وقد قصصت على أبوتك هذه الأمور لكي تصلي عني أنا الحقير بدون فتور الى الله الذي يحبك الذي رأيته الذي لم تنكره الذي اعترفت به امام الملوك والرؤساء والذي رأيته أنا أيضاً رغماً عن عدم استحقاقي واني أشكره بدون انقطاع لان له المجد والملك الدائم الاب والابن والروح القدس الآن والى كل الازمان آمين .

رسالة الاب بطرس الثامنة

من بطرس رئيس أساقفة الاسكندرية الى اكاكيوس شريكى في الايمان .
هوذا قد استحققت أيها الاب الاقدس ان ترى الرب وتسمع اقوال الله المتجسد فهوذا ان الرب قبل توبتك ومنح الحرية الكاملة لك ولجميع الشعب أيضاً . وهذا السر رأيته أنا أيضاً منذ البديء كما أعلنه لك الله والآن أيضاً في هذا الشهر الذي أرسلت لي فيه (الامر) في يوم الاحد في الساعة الثالثة من النهار بينما كنت في كنيسة الخصوصية أصنع شركة الذبيحة المقدسة وأرتل لله ترنية الثلاث تقديسات التي للقوات السمايين ظهر لي بمجده متكئاً على الصينية والكاس كما رأيته أنت وسمعت ما سمعت ولم أر وأسمع شيئاً أكثر مما رأيت وسمعت كما يعلم الله الذي لا شريك له وحده احفظ ذلك اذاً بثبات الايمان الارثوذكسي من سيدنا يسوع المسيح الذي ظهر لنا الذي تجسد بدون تحويل بلا اختلاط ولا افتراق وولد بلا تكيف ولا ادراك من أم الله القديسة مريم وتألم وصلب عنا وقام من الاموات في اليوم الثالث وقضى أربعين يوماً يظهر لتلاميذه في أغلب الاحيان آكلاً وشارباً معهم وهكذا صعد الى السماء وجلس عن يمين الاب وفي آخر الزمان يأتي من السموات بمجد رهيب بظهوره الثاني لكي يدين الاحياء والاموات ففساناً بنجد رحمة ودالة ونستحق ان نسمع منه (تعالوا يا مباركي أبي ارثوا الملك المعد لكم منذ انشاء العالم) فليكن لنا جميعاً ان نستحق ذلك بنعمة ورأفة ومحبة البشر التي لسيدنا والهنا ومخلصنا يسوع المسيح الذي من قبله يجب له مع للاب والروح

القدس المحيي المساوي معه كل مجد وكل كرامة وكل سجود الآن وكل أوان وإلى دهر الداهرين كلها آمين

هذا ما جرى بين الاب بطرس بطريرك الاسكندرية والاب اكاكيوس وقد ائقني أثر خطوات هذا الاخير من بطاركة القسطنطينية وأشهروا اتحادهم مع بطاركة الكرسي الاسكندري افراويطاس سنة ١٩٤ و تيموثاوس الاول سنة ٥١١ وأتيموس سنة ٥٣٥ وسرجيوس سنة ٦٠٨ وبيرس سنة ٦٣٩ وبولس سنة ٦٤٣ وبطرس سنة ٦٥٢ وتوما سنة ٦٥٦ وتاودوروس سنة ٦٦٦ ويوحنا سنة ٧١٢

(٤) وحدث ان أساقفة مصر لما أحسوا بأن بطريركهم عقد اتحاداً مع اكاكيوس الذي كانوا يعلمون انه أحد اعضاء تجمع خلكيدون ونصير المؤيدين القول بالطبعين والمقرين على طومس لاون انفصلوا من شركته فانهم ظنوا ان بطريركهم وقع باتحاده مع اكاكيوس على دستور تجمع خلكيدون وطومس لاون واعترف بالطبعين في المسيح وكان منهم الاب يعقوب أسقف صاء ومينا أسقف مينة طامة قندارك البطريرك هذا الامر ودعا أساقفة الجهات الى مجمع في الاسكندرية وعرض عليهم صور المحررات وصورة مرسوم الاتحاد فاقتنعوا غير ان شرذمة منهم آبت الا توقيع الحرم والحكم ضد اكاكيوس فرفض البطريرك طلبهم فانفصلوا من شركته وقطعوا العلاقة معه واستقلوا بأنفسهم وعرفوا بالذين لا رأس لهم

(٥) وكان من المعاصرين للاب بطرس منموس بطرس القصار بطريرك انطاكية الذي كان أحد الذين أمضوا على منشور الاتحاد الكنائسي حتى أصبحت كراسي الاسكندرية وانطاكية وقسطنطينية تعترف باعتراف واحد في وقت واحد وقد اتهم المؤرخون الاب بطرس القصار بأنه زاد على الثلاث تقديسات العبارة الاخيرة منها كما تلوها الكنائس القبطية والارمنية والحبشية والسريانية وهي التي تضمن ولادة المسيح الاله وصلبه وموته وقيامته وأمر الكنائس أن ترتلها على هذه الزيادة ونفياً لهذه التهمة واثباتاً لكون هذه التقديسات لم يطرأ عليها تغيير بزيادة أو نقص كما تلوها نحن وانها قديمة الوضع والترتيب ورسولية العهد وان الواضع لها هو اغناطيوس التاوفورس والآمر بترتلها قبل قراءة الانجيل

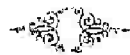
هو بطرس الرسول سلفه وان أول من بدأ بترتيبها هو يوسف ونيقوديموس حين أنزلا جسده المخلص من الصليب نقول اننا ذكرنا في وجه ١٢٧ و ١٢٨ ان نسطور كره عزو الصليب والآلام للاله كما كره تلقيب العذراء بوالدة الاله أيضاً ولما كانت هذه التقديسات تحتوي على هذين الامرين واضحاً وكان وجودها على هذه الكيفية يحول دون البلوغ الى سراده ويمنع اذاعة مبادئه نقص منها العبارة التي تدل على ولادة الاله وصلبه وقيامته واقتصر على أن تكون التقديسات هكذا (قدوس الله قدوس القوي قدوس الذي لا يموت ارحمنا) وأمر جميع الكنائس أن تتلوها على هذه الصفة وكان من الكنائس التي قبلت اوامره واطاعته كنائس بلاد سوريا وكنائس الشرق حيث تربى وحيث تلقى علومه فحدث أنه لما اتحد البطريرك بطرس الاسكندري مع البطريرك بطرس الانطاكي المشهور بالقصار أشار عليه واشترط ان يرد الى الثلاث تقديسات تلك العبارات الناقصة مريداً بذلك ان يحفظ التقليد الرسولي سليماً من شوائب الزيادة والنقصان وينزع منه جرثومة بدعة نسطور الوخيمة فهملنا بإشارة الاب بطرس منغوس أصدر البطريرك الانطاكي منشوراً الى كافة الابريشيات الخاضعة له في بلاد سوريا وغيرها يأمر طغمة الاكليروس ان يراعوا تلك العادة القديمة ففعلوا كذلك وكنائس القسطنطينية قد امتثلت لهذه الاشارة وأصبحت ترتل التقديسات بالعبارة التي تتضمن ولادة الاله وموته . وكان يوجد أخصام كثيرون لبطرس القصار فاحتسبوا ما فعله بدعة وبدأوا يشنعون عليه بكل لسان ويتهمون به بأنه يعزو الولادة والموت والآلام للثالوث الاقدس ومن ثم دعوه صالب اللاهوت ودحضاً لهذه التهمة نذكر ما كتبه المؤرخ موسهيم الانكليزي وهو ان (فيلكس) بابا رومية) ونظراءه عوجوا معنى بطرس القصار معقدين بأنه قصد ان الثلاثة أقانيم في اللاهوت صلبوا كلهم ولذلك سمي الذين استصوبوا تلك الزيادة صالبي اللاهوت . وكانت نتيجة هذا الجدل ان المسيحيين الغربيين رفضوا الترنيمه على هذا الاسلوب لانهم فهموا أنها تشير الى صلب الاقانيم الثلاثة واما المسيحيون الشرقيون فاستمروا يستعملونها دائماً الى وقتنا هذا بدون خطية لانهم يعيدون الترنيمه الى المسيح وحده والى اقنوم واحد في الثالوث فقط (قرن ٥ ق ٢ ف ٥ : ١٨) وأعظم دليل الذين ذهبوا الى ان هذه الترنيمه تشير الى الثالوث الاقدس

تكرار لفظة قدوس ثلاث مرات كل دفعة ممتبرين قدوس الله للاب وقدوس القوي الابن وقدوس الذي لا يموت للروح القدس فعلاوة على كون التواريخ تنكر كون الكنائس المصرية والسورية (ونفس بطرس القصار) اعتبرت هذه الترنمة على هذه الكيفية بالاصالة فان استدلالهم باطل من وجهين الاول هو انه كما لا يخفى ان هذه الترنمة يكررها المرتلون ثلاث مرات وكذلك كل لفظة (قدوس) منها يكررونها ثلاث مرات فقصير عدتها تسعة لان ثلاثة في ثلاثة تساوي تسعة فلو كان كل لفظة قدوس من الترنمة تخص اقنوم لاصبحت بهذا الاعتبار الاقنيم تسعة لا ثلاثة بدليل كون لفظة (قدوس) تكرر تسع مرات . فالكنيسة لم تعتبر هذا الاعتبار أبداً بل انها حكمت ان يكررها المرتلون ويشيرون بها الى الابن المتأسس مؤيدة بها أفعاله الثلاثة الجوهرية وهي الولادة في الاولى والصلب بالثانية والقيامة بالثالثة ولا تستغرب من تكرار لفظة (قدوس) ثلاث مرات بكل ترنمة وتوجيهها لاقنوم واحد فان ذلك من الامور المباحة شرعاً انجيلياً فان المسبح الاقنوم الثاني صلى صلاة وكررها بألفاظها ثلاث مرات مشيراً بها الى اقنوم الاب ولم تكن الصلاة الثلاثية موجهة لاقنوم واحد وكان كل صلاة منها تخص اقنوماً للزم اما أن يكون اقنوم آخر موجوداً خلاف اقنوم الابن الذي كان يصلي مشيراً بالصلاة اليه وهو باطل أو يكون الابن أشار بصلوة منها لاقنومه وهو أكثر بطلاً

الثاني ان فساد الاستدلال يظهر أيضاً من الكنائس التابع التي لا تزال تعتبر الى الآن هذه الترنمة على أصلها وتتلوها في أوقات معلومة فان كنيسة المارونيين وكنيسة السريان الكاثوليك المنشقين من كنيسة السريان الارثوذكسين لا تزال كلتاهما تعتبر هذه الترنمة على أصلها وتتلوها في جمعة (الحاش) أي الآلام وتشير بها الى اقنوم الابن المتأسس وعلاوة على ذلك ان المجمع الخامس أيدها وأجاز استعمالها يوحنا الثاني أسقف رومية وبعد ذلك لغيت من كنيسة اللاتين واليونان .

وقد اعترض على هذه الترنمة كما نتلوها نحن الاب جراسيموس مسرة في الجزء الاول من تاريخ الانشقاق وجه ٢٩٦ بقوله (ان التسبيح المثلث لم يرد فيه ذكر

للتجسد البتة وإنما ورد فيه ذكر الله ثم القوي ثم الذي لا يموت اعني ذكر لاهوت مجرد
فعلى أي الاوجه شرحنا الزيادة لا يخرج المعنى عن ان الصلب وقع على اللاهوت وغالباً
على الثالوث القدوس) والجواب على ذلك ان الاربعة الحيوانات رتلوا التقديس المثلث
بمخلاف زعم المعترض وذلك بقولهم (قدوس قدوس قدوس الرب الاله القادر على كل
شيء الذي كان والسكائن والذي يأتي) (رؤ ٤ : ٩٨) فلا يخلو الحال ان تكون هذه
الترنمة تشير الى المسيح وهو الصحيح والا قرب الى المعنى بدليل قولهم (الذي كان
والسكائن والذي يأتي) الامر الذي لم يطلق في العهد الجديد الا على المسيح فقط ومن
ذلك ما ورد في الرؤيا هوذا يأتي مع السحاب وستنظره كل عين والذين طعنوه وينوح
عليه جميع قبائل الارض نعم آمين أنا هو الالف والياء والبداية والنهاية يقول الرب
السكائن والذي كان والذي يأتي القادر على كل شيء (رؤ ١ : ٧ و ٨) ومن ذلك قوله
(تعالى ها أنا آتي سريعاً واجرتي معي ٠٠٠ أنا الالف والياء ٠٠٠ أنا يسوع أنا أصل
وذرية داوود ٠٠٠ أنا آتي سريعاً آمين تعالى أيها الرب يسوع) (٢٢ : ١٢ و ٢٠)
أو تكون هذه الترنمة يشار بها الى الثالوث الاقدس فان كان الاول فهو المقصود بذلك
وهو كاف لدحض الاعتراض والحكيم بصير وان كان الثاني فلنا في ذلك حجة قوية
أيضاً لان قول الحيوانات (والذي يأتي) الامر الاخير انما يريدون به الابن المتجسد
كقولنا (يامن صلبت عوضنا) وزيد به المسيح لا غير أي أحد الثلاثة أقانيم المتجسد
فيبقى للمعترض ان يقول وان كان قول الحيوانات (والذي يأتي) انما يريدون به
اقنوم الابن لكن لا يفهم منه سوى كونه لاهوتاً مجرداً فنجيبه قائلين ان هذه العبارة التي
قلبت من بعد التجسد لا يراد بها في الانجيل أو خلافة الابن حالة كونه متجسداً فاسمع
ماذا قال الملاك للرسول وقت صعود المسيح الممجد (ان يسوع هذا ارتفع عنكم الى
السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقاً الى السماء) (اع ١ : ١١) والاستدلال
على ذلك كثير فلا حاجة بنا الى أكثر



البابا اثناسيوس الثاني البطريك الثامن والعشرون

« سنة ٤٨١ م — ٤٨٨ م »

وحدث أنه لما توفي البابا بطرس منغوس في اليوم الثاني من هاتور بعد ما مكث ثمان سنين وثلاثة أشهر بطريكاً عقد الاساقفة مجمّعاً في الاسكندرية وكرسوا اثناسيوس الرجل الفاضل القويم الرأي بطريكاً ولم يكن في الاسكندرية بطريك غيره لان الكنائس الرسولية أجمعت على رفض أعمال مجمع خلكيدون وطغنت بالحرم طومس لاون حتى ان نواب فيلكس الثالث بابا رومية لما حضروا في القسطنطينية دعاهم البطريك اكاكيوس الى اعتماد مرسوم الاتحاد فلبوا دعوته ووافقوه على رأيه فخضع من ثم المسيحيون في سائر أبرشيات القطر المصري على اختلاف أجناسهم للبطريك اثناسيوس وحدث مثل ذلك في كنيسة القسطنطينية فانه لما توفي اكاكيوس أخلفه افراويطاس وحذا حذوه مؤيداً مرسوم الاتحاد وراقضاً أعمال مجمع خلكيدون غير أنه لم تطل مدته ولما توفي قام بدله رجل متحزب لمجمع خلكيدون اسمه أوفيميوس فكدر صفاء الكنيسة وطرده المستقيمي الرأي ففضب عليه الملك وعقد مجمّعاً حكم بقطعه وهكذا نفاه وأقام بدله مكدونوس . أما اثناسيوس فلبث على كرسي رئاسة الاساقفة ست سنين وعشرة أشهر وثلاثة وعشرون يوماً وتوفي في اليوم العشرين من توت سنة ٤٨٨

البابا يوحنا الاول البطريك التاسع والعشرون سنة ٤٨٨ م — ٤٩٦ م

ولم يشعر الآباء الاساقفة بان اثناسيوس الثاني رقد بالرب حتى بادروا الى الدار البطريكية وعقدوا مجمّعاً فيها وقرروا رسامة رجل فاضل يدعى يوحنا وكرسوه بطريكاً وكان الملك زينون قد توفي وقام بدله القيصر انسطاسيوس البار فكتب اليه البطريك ساويرس رسالة تحتوي على مبادئ الايمان القويم وكان مكدونوس بطريك

القسطنطينية قد قطع العلاقة مع كنيسة الاسكندرية وكنيسة انطاكية وأثبت أعمال
المجمع الخلكيدوني فاجتمع عليه جميع بأمر الملك في العاصمة أنزله من كرسي البطريركية
فنفاه الملك وأقام بدله رجلاً فاضلاً اسمه تيموثاوس فخالما ارتقى على كرسي البطريركية
عقد مجمعا رفض أعمال مجمع خلكيدون واعلان اتحاده مع كنيسة الاسكندرية
والانطاكية أما البابا يوحنا الاسكندري فاستمر على كرسيه ثمان سنين وسبعة أشهر
وأربعة عشر يوماً وتوفي سنة ٤٩٦ م

الحوادث المدنية في هذا الحيل

وحدث انه لما توفي الامبراطور تاودوسيوس الكبير سنة ٣٩٥ م اقسام ابناء
انوريوس واركاديوس المملكة بينهما فاستقل الاول بملك الغرب وأما الثاني فاستولى
على الشرق ودخلت تحت حكمه مصر وآسيا الصغرى وسوريا وتراكيا وكان هذا الملك
ضعيف الرأي عديم التدبير خاضعاً لأمه افدوكسيا التي كانت على غاية من الهمة
والحزم ولكنها كانت شرسة الاخلاق ومحبة للانتقام ومات اركاديوس سنة ٤٠٨ وكان
عمره يومئذ تسع سنين وكان كأبيه في ضعف العقل وقلة الادراك فنسلطت عليه أخته
بوليكريا التي كانت ضريبة أمها في سائر الاوصاف وقامت بتدبير المملكة بكل حزم
وحدث في زمانه ان قبائل الهونيين أي المجر أغاروا على القسطنطينية وحاصروها وضيقوا
على أهلها بعد أن استولوا على سبعين مدينة ونهبوها فالتزم ثيودوسيوس أن يعقد
صلحاً مع قائدهم تحت شروط مهينة للسلطنة وبعد موت هذا الامبراطور خلفته
أخته بوليكريا وهي أول انثى جلست على سرير السلطنة الرومانية ولما كانت عادة
الرومان لا تأذن بحكم المرأة مهما كانت درجتها خافت من ان يخاعوها من الكرسي
فتزوجت برجل منقدم في السن من أكابر المجلس يدعى مرسيان وكانت لغاية ذلك
الآن بتولاً وراهبة ففسخت شروط الرهينة ونكثت عهدها (اقرأ وجه ١٨٥
من كتاب الكنز الثمين للبطيريك مكسيموس مظلوم المجلد الثالث) ففوضت الى
زوجها أمور المملكة ثم انفرد زوجها بالملك وقد جلب كل منهما على ذاته عاراً وإهانة

كبرى بسبب تعرضهما في مجمع خلكيدون لحزب دون آخر فانهما اغتصبا الاساقفة على ان يوقعا على طومس لاون وهدد بالتني من يعصى أمرها وحكما بقبول رؤوس الحزب النسطوري الذين هم تاودرتوس أسقف كورش وهيبا أسقف الرها وتاودورس أسقف المصيصة ومفنس أسقف عرضشير وطردا أساقفة كثيرين من كراسيم حين أبوا ان يقرروا بمبادي الطومس المذكور ويوقعوا على أعمال المجمع فنجمت عن ذلك قلاقل بين المسيحيين في كل مكان وانشقت كنيسة المسيح وقام كل قسم منها يقاوم الآخر ويعانده حتى بلغ الامر بذلك أغلب الاحيان الى هرق الدماء في أماكن العبادة نفسها وكل ذلك سببه تعرض الهيئة المالكة للامور الدينية والحكم فيها ولذا ذكر حادثتين على سبيل الاعتبار

(الاولى) ان نصارى فلسطين وبالاخص اورشليم رفضوا أعمال مجمع خلكيدون واعتبروا أعضائه لصوصاً وحينئذ لانهم أمضوا على طومس لاون خوفاً من سطوة الملك وبطشه فحدث انه جاء الى اورشليم يوبناليوس أحد اعضاء هذا المجمع الذي كان وقع على الاعتراف بالطبيعة الواحدة في مجمع افسس الثاني وكان أحد المتصرين لهذا التعليم والمؤيدين له وكان برفقته أسقف آخر يدعى سابا فلما علم اكليروس المدينة ان أسقفهم وقع على الاعتراف بالطبيعتين حياء وخجلاً وخوفاً من الملك رفضوا الاشتراك معه وحرضوا كبار المؤمنين على مقاومته وكان في المدينة وال شديد الاعتصام بالمذهب الصحيح اسمه بولس فاتحد مع المؤمنين وقاوموا يوبناليوس والاسقف سابا وألزموها ان يتوبا ويندما على ما اقترفاه من الائم بتوقيعهما على الحكم ضد ديوسقوروس بعد ما كانا من ضمن أنصاره وعلى الاعتراف بالطبيعتين بعد ما كانا يعترفان ويقران بالطبيعة الواحدة أو يخرجان من المدينة اذ كانا خائفين من غضب الملك تركا المدينة وانطلقا الى العاصمة وأخبرا مارسيان بكل ما جرى لهما فعزل الملك الوالي بولس ونفاه وقلد الاسقف سابا ولاية المدينة وسلمه فرقة من الجند وأمره ان يهدد أهل اورشليم بالقتل والتني ويضطرهم على قبول أعمال مجمع خلكيدون والخضوع ليوبناليوس فانطلق سابا الى اورشليم والتى القبض على الوالي بولس وغلله بالقيود وأرسله الى القيصر ففتك به فكان ذلك داعياً الى ان أهل المدينة شقوا عصا الطاعة وتظاهروا بالعصيان

ضد الملك ورفضوا أوامره واحتقروا الوالي ويوبينا ليوس معاً ولم يسمعوا لهما قولاً
فحدث أنه لما كانوا مجتمعين للصلوة يوم عيد العذراء وكان قس يدعى سيلاس وشماس
يدعى سوسنا يخدمان السراير المقدسة دخل الوالي ليقراً على الشعب أوامر الملك
وصورة مذهب المجمع الحلكيدوني فحين بلغ القاريء الى ذكر الطيعتين صاح
الكاهن والشماس بصوت واحد (محروم مجمع خلكيدون وطومس لاون) فقبهما
الشعب وصرخوا من ثم واحد (محروم مجمع خلكيدون وطومس لاون) فلم يسمع
الوالي ذلك حتى أمر الجند ان يكتفوا بالشعب ويقبضوا على الكاهن والشماس
فقبضوا عليهما وقتلوهما وجردوا سيوفهم وقتلوا كل من أدركوه حتى امتلأت الكنيسة
من أجساد الشهداء ودماء المجاهدين ثم بعد ذلك هجموا على الاديرة وطردها الرهبان
وفتكوا بالراهبات وفضحوهن

(الثانية) أنه لما نفى مرسيان ديسقوروس البطريرك الاسكندري هو
والاساقفة الذين لم يعترفوا بدستور الايمان الذي ألفه المجمع الحلكيدوني أرسل
قاصداً الى الاسكندرية حاملاً صورة العقيدة الجديدة مزوداً بأمر الى المسيحيين
أن يختاروا بطريركا لهم بدل ديسقوروس من يوقع على هذه الصورة واتفق أنه
عند ما بلغ الى المدينة وصل اليها أيضاً أسقف مصرى يدعى مكاريوس وكان
منفياً مع البطريرك وأرسله متكرراً حجة تجار مصريين الى الاسكندرية ليثبت
أهلها على سخرة الايمان الصحيحة فلما جمع القاصد الكيروس المدينة ومقبريها
لكي ينتخبوا بطريركاً بشرط ان يوقع على الاعتراف بالطيعتين وعلى مواد طومس
لاون قاومه الاسقف بشهامة ورزاة واخذ يشرح للموجودين حال مجمع خلكيدون
وكيف ان أعماله كانت خرقاً للشرائع والقوانين البيسية وان مذهبه بدعة واختراع
وهرطقة ومخالف لمذهب آباء الكنيسة القديسين ولما رأى هذا الاسقف قساً
يسمى بروتوريوس كان خصماً من قبل ومعانداً لبطريركه ديسقوروس وغير خاضع
له مائلاً لاعتناق المذهب الجديد حباً في ان يرتقي درجة البطريركية وبخه علانية
وأظهر فساد سيرته وشروبه الكثيرة للعموم فغضب الشعب والاكيروس على هذا
القاصد وبروتوريوس معاً ورفضوا أمر الملك وقاوموها فصنع القاصد على الاسقف

وضربه برجله فانقلب على الارض صريعاً ومات شهيداً ثم أقام بروتوريوس بطيريكاً وسله بقوة الجند البطيريكانة فطرده المؤمنون منها فحمل عليهم القاصد بفرقة من الجند كانت معه وهم مجتمعون ليلة عيد القيامة في الصلوة وفرق شملهم وقتل كثيرين منهم واستولى على أمتعة الكنائس وأموالها وسلمها لبروتوريوس البطيريك الدخيل الذي من شدة خوفه على نفسه ترك البطيريكانة واتخذ له منزلاً خارجاً عنها ففتك به لصوص واستولوا على الاموال التي كان اختطفها من الكنائس ثم مات مارسيان نحو سنة ٤٥٧ م وقام بدله على تحت السلطنة ليون الاول وكان ضريب سلفه في التضيق والتشديد على المؤمنين فنفي البطاركة القويمي الرأي ونفي تيموثاوس خليفة ديسقوروس وبطرس القصار بطيريك انطاكية وسفك دماء ثلاثين الفاً من نصارى الاسكندرية بدعوى انهم قتلوا بروتوريوس البطيريك المللكي وبدعوى انهم امنعوا من الاشتراك مع تيموثاوس الابيض البطيريك الدخيل الذي أقامه بدل تيموثاوس الذي نفاه واستمر الملك يعشو ظلم بين المسيحيين الى ان توفي سنة ٤٧٤ م وقام بدله ليون الثاني ابن ابنته وكان قاصراً فأشرك معه في تدبير المملكة رجلاً فاضلاً اسمه (باسيليكوس) وكان قويم المعتقد فرد من النفي تيموثاوس بطيريك الاسكندرية وبطرس القصار وأحضرهما الى العاصمة وعقد مجعاً مركباً من ٥٠٠ أسقف حكم برفض أعمال مجمع خلكيدون وأيد الاعتراف بالطبيعة الواحدة للكلمة المتأنس ورشق بالحروم نسطور وأوطيخا ثم جلس على تحت المملكة زينون الملك البار سنة ٤٧٧ م وكان في أول الامر خلكيديني المذهب فنفي بطرس منغوس من الاسكندرية وبطرس القصار من انطاكية لكنه ردهما من النفي وعتمد بمشورتهم بمشورة اكاكيوس بطيريك القسطنطينية مجعاً في العاصمة حكم برفض أعمال المجمع الخلكيديني فايد حكمه وأصدر به المنشور المعروف بمرسوم الاتحاد ثم أخلفه الامبراطور انسطاسيوس سنة ٤٩١ م وأصله من مدن ايطاليا ومن عائلة خاملة الذكر فارتقى بمهارته الى أن صار من جملة ضباط القصر المللكي فساعدته النقادير وتزوج بالقيصرة اريانة أم زينون فسعت في ترقيته الى المسند القيصري وكان نظير سلفه في احترامه للمذهب القويم وامداده لذويه بعارة كنائسهم وأديرتهم واحسانه الى رهبانهم ودفع المرتبات السنوية لهم

الحيل السادس

البابا يوحنا الثاني البطريك الثلاثون سنة ٤٩٧ م — ٥٠٨ م

ان الكنيسة الارثوذكسية على وجه العموم نظراً لما نالت في ختام القرن الماضي وأول هذا القرن من الحرية التامة والراحة الكاملة قد اتسع نطاقها واستعاضت ما خسرته من الابريشيات والمراكز الدينية فان الملك زينون وخليفته انسطاسيوس قد أولياها نعمة جزيلة وامدaha بالعطايا والحبايا وقد ازدانت بالكواكب المشرقة والانوار المضيئة فكان في الشرق الاب يعقوب أسقف سروج والاب فيلو كسينوس أسقف مابوغ والاب ساويرس بطريك انطاكية وفي البلاد المصرية كان فيها العلماء الفطاحل والخطباء الافاضل والشيخوخ القديسون ولما رقى يوحنا كاندرا البطريكية في شهر بؤنة سنة ٤٩٧ م جاءت الرسائل تترى من رؤساء الاساقفة خصوصاً من الاب ساويرس بطريك انطاكية وتيموثاوس بطريك القسطنطينية يعتمد كل منهما رسامته ويهنئه بوظيفته ويؤيد له الاعتراف الصحيح رافضاً الهرطقات خصوصاً هرطقة نسطور وأوطيخا وأبوليناريوس ومعترفاً بوحدة المسيح الطبيعية فقابل كل واحد منهما بمثل ذلك واستمر يسعى في توسيع نطاق كنيسته مدة احدى عشر سنة وثلاثة وعشرين يوماً وتوفي في اليوم السابع والعشرين من بشنس سنة ٥٠٨

البابا ديسقوروس الثاني الحادي والثلاثون سنة ٥٠٨ م — ٥١١ م

وفي شهر بؤنة من سنة ٥٠٨ اجتمع الاساقفة في النهر الاسكندري وقرروا رسامة أحد كتبة السعيد الذكر يوحنا الثاني بطريكاً وكان على جانب عظيم من الفطنة والذكاء وبحال ارتقائه حرر رسالة الى الانبا ساويرس بطريك انطاكية ضمنها مبادئ الايمان الصحيح وأخبره بوفاته سلفه وبارئقائه الى كرسي الجبرية فخاوبه

برسالة عزاء فيها وضمنها له مبادي المذهب القويم وحرصه على القيام بشؤون وظيفته
حق القيام . ولم تكن مدة حبرية ديستفوروس طويلة ولم يستمر سوى سنتين وأربعة
أشهر وستة وعشرين يوماً وتوفي في اليوم السابع عشر من شهر بابه سنة ٥١١ م

البابا تيموثاوس الثالث البطريك الثاني والثلاثون سنة ٥١١ م — ٥٢٨ م

(١) جهاده عن الايمان ونفيه واضطهاد مؤمني الاسكندرية (٢) نفي
ساويرس بطريك انطاكية الى مصر ومقاومته للهراطقة

(١) وفي شهر بابه اجتمع رؤساء كهنة القطر المصري في مركز
الكراسة المرقية واختاروا الاب تيموثاوس الثالث بطريكاً ووضعوا عليه اليد وكان
علماً فطناً وكاملاً فاضلاً وشديد الاعتصام بمذهب سلفائه وقد اثنى آثارهم في
المحافظة على الوحدة المذهبية وتجديد العلاقات مع الكرسي الانطاكي فكتب تمبراً
للأب المقبوض البطريك ساويرس واتفق انه في حال ارتقائه الى الدرجة البطريكية
توفي الملك القويم الرأي انسطاسيوس وخلفه القيصر يوستينوس وكان خلكيدوني
المذهب فأخذ يسعى في تأييد أعماله فعقد مجمعاً في العاصمة واستدعى اليه رؤساء
الاساقفة وكان ممن استدعاه تيموثاوس البطريك الاسكندري فأبى ان يقبل دعوته
ولبث في مركزه محافظاً على بنيه فسخط عليه الملك وأمر باعتقاله ونفيه فقاوم هذا
الامر فسارى الاسكندرية وتجاهروا بالعصيان على القيصر وأبوا ان يتركوا بطريكتهم
لينطلق الى النفي فأمر الملك الوالي ان يجرد الحسام ضدهم ففعل وقتل منهم عدداً
لا يحصى وتضمن جدول البطارقة انه بلغ عدد من قتل منهم في هذه الدفعة مائتا ألف
نفر وبهذه الوسطة تمكن الوالي من القبض على البطريك ونفاه فأقام في النفي
بضعة سنين وعاد الى مركزه

(٢) ثم ان الملك دعا الى مجمعه الاب ساويرس البطريك الانطاكي فأبى الدعوة
وأعجب معه نخبة من علماء كنيسه وأساقفته ومنهم فيلوكسينوس الرجل العالم الفاضل
الذي انموذج الرهبة ومثلها الحلي أسقف مابوغ . فلما بلغوا المدينة دعاهم الملك

الى الاقرار على أعمال المجمع الرابع بدون مفاوضة ولا مناقشة فأبوا فهددهم بالطرده من مراكزهم فلم يهلمهم ذلك ولم يهلمهم وأصروا على عزيمتهم وثبتوا على رأيهم فأقام شخصاً اسمه بولس خلكيدوني المذهب بطريركاً على انطاكية وعزل الاب ساويرس ووضع مع بعض الاساقفة في سجن والبعض الآخر نفاهم الى اماكن بعيدة فهرب الاب ساويرس من السجن وانطلق الى القطر المصري فترحب بقدمه وبمن معه من الاساقفة تيموثاوس الثالث البطريرك الاسكندري وخوفاً من سطوة الحكومة انطلق الاب ساويرس من الاسكندرية الى مدينة سخا من أعمال الغربية واخفى فيها وسكن عند رجل فاضل اسمه درتاوس كان مشهوراً بالاحسان والصدقة والاعتناء بالآباء الرهبان وبصالح الاديرة ولكن حدثت أمور في القطر المصري استدعت الاب ساويرس ان يخرج من مكان اختفائه ويظهر امام الناس ويكتب تحارير عديدة وذلك ان يوليانوس الاليكرسي من القسطنطينية جدد بدعة أبوليناريوس اللاذقي وأوطاخى وذهب الى ان جسد المسيح غير قابل التأثر والفساد وأمال بدعته عدداً وافراً خصوصاً من طغمة الرهبان في برية الاسقيط وقد قوي امره حين حكمت عليه الكنيسة بالخروج من حضنها فان البطريرك تيموثاوس الثالث قطعه وفصله من شركة الكنيسة فاتخذ مركزاً له برية الاسقيط ونشر اذاليه بين الرهبان فصار كثيرون منهم اعواناً وانصاراً له وجعلوا يقاومون ويعاندون رؤساء الدين وأئمة المسيحيين حتى اضطر الاب ساويرس الى ان كتب تحريراً لرئيس بدعتهم يوليانوس ضمنه مبادئ الايمان القويم وفند له اقواله واقوال اوطيخا الخيالي وهذه الرسالة مسجلة في كتاب اعتراف الآباء وهي تكذب كل من آتهم الاب ساويرس بان مذهبه كان اوطيخياً . اما البطريرك تيموثاوس فاستمر يسوس رعيته مدة ١٧ سنة ورقد بالرب في اليوم الثالث عشر من أمشير سنة ٥٢٨ م بعد ما استمر في الحبرية ١٧ سنة و ٤ أشهر و ٦ أيام



البابا تاودوسيوس البطريك الثالث والثلاثون سنة ٥٢٨ م — ٥٥١ م

(١) قانونية رسامة الاب تاودوسيوس بطريكاً (٢) علاقته مع الاب ساويرس بطريك انطاكية (٣) اضطهاد الملك له ونفيه (٤) غيرة الاب يعقوب المطران العام سيما في هدايته للاوطاحيين (٥) الثلاث قضايا

(١) ولم تمض بضعة أيام على وفاة البابا تيموثاوس الثالث حتى اجتمع وجهاء الشعب المسيحي والاساقفة في الدار البطيركية وقرروا رسامة تاودوسيوس بطريكاً وقد أظهر من الغيرة والثبات والقوة والصبر على احتمال المضائب ما مائل به من تقدمه من الباباوات سلفائه كثناسيوس وكيرلس وديسقوروس وبطرس منغوس وغيرهم وأول مصيبة ابتلي بها هي ان دانيانوس رئيس شمامسة كنيسة في الاسكندرية كان أمضى على تقرير رسامته بطريكاً ولكن قوماً أشراراً خدعوه وأغروه ان يقبل ان يكون بطريكاً فرضي بذلك فكرسوه في بيت قس غني يدعى تاوداراس وسبب ذلك ان تاودوسيوس كان حيناً ارتقى الدرجة البطيركية جمع جمعاً ورشق بالحرم مجمع خلكيدون وطومس لاون ونسطور وأوطيخا وسائر الهرطقة الذين من ضمنهم كان في ذلك الوقت يوليانوس الالكرنسي المقطوع من تيموثاوس الثالث وساورس البطريك بسبب كونه جارياً في تعليمه أبوليناريوس اللاذقي وأوطيخا فجعل يوليانوس يعلق دانيانوس الموما اليه ويحتال عليه حتى قبل ان يكون بطريكاً وكان ليوليانوس صداقة مع يوحنا والي الاسكندرية فرشاه بالمال وأتحفه بالهدايا والعطايا حتى استماله الى ان طرد تاودوسيوس البطريك الشرعي الى ملبج وأقام دانيانوس مقامه فثار القويمو الرأي ورفعوا دعوى الى الملك بوستيانوس ضد الوالي وداكيانوس معاً فلبت دعواهم امرأته تاودورة لانها كانت من الاسكندرية وشديدة الاعتصام بمذهب أهلها ومساعدة للقويمو الرأي ثم طلبت من وجهاء النهر والاكليروس تقريراً يتضمن قانونية رسامة أي البطيركيين فكتبوا التقرير وأمضوا عليه من الكهنة والاساقفة

وعدهم مائة وعشرين واحداً وكان داكيانوس واحداً منهم لانه كان تدم عما فعل وأقر امام الجمهور بخطئه وطلب منهم ان يتوسطوا به لدى البطريك لكي يقبله بوظيفته الاولى فرضوا بذلك ثم رفعوا التقرير الى الملكة فحكمت بوجوب تنزيل داكيانوس وترجيع تاودوسيوس وتسليمه كرسي بطريكيته فلما وصل أمر الملكة الى مصر رجع البطريك الى مركزه باحتفال فائق وكان للقويمي الرأي بموده فرح جزيل

(٢) انه حين ارتقى الاب تاودوسيوس درجة البطريكية كان لا يزال البطريك ساويرس الوحيد في زمانه والفريد في عصره يشغل في مدينة سخا بمحاماته عن الدين اليقين ومقاومته ليوليانوس الاوطاخي الحياي ويهم بنوع خصوصي في صالح رهبان جبل الاسقيط الذين كان أضلهم يوليانوس وقوي بهم أمره واشتد ازره واستولى على الاديرة وأما كن العباد في الحبل الموما اليه وطرده الرهبان القويمي الرأي منها فاستمر الاب ساويرس يحاج هؤلاء الرهبان المنكودي الحظ ويقنادهم بارشاداته وتحاريره حتى انتصر عليهم ورفع برقع الضلال عن أعينهم ومن جهة أخرى أوعز الى درتاوس الذي كان ملتجئاً عنده وكان ارثوذكسي المذهب وغيور على صالح الكنيسة ان ينطلق الى ارسطاماخوس الوالي ويطلب اليه ان يمنح الحرية للرهبان الذين كان يوليانوس أذلهم وطردهم من أما كنهم ويأذن ببناء بيع لهم ففعل درتاوس كذلك وتحصل على أمر بالحرية التامة للرهبان القويمي الرأي وما كاد الاب ساويرس يصدق ان نار هرطقة أوطاخي خمدت في البرية حتى ظهرت في الاسكندرية وفازت بطرد تاودوسيوس الارثوذكسي منها وقيام داكيانوس مقامه وكان تاودوسيوس حين صار بطريكاً كتب للاب ساويرس تحريراً يتضمن الاعتراف الصحيح بالايمن فرد عليه بتحرير مثله وهذا التحرير وذاك مسجلان في كتاب اعتراف الآباء في الكنيسة القبطية فلما أحس ساويرس بانتصار الاوطاخين في الاسكندرية انقذت الغيرة الدينية في رأسه فأخذ يفوّق نحوهم سهامه ويرشقهم بنبله الروحية من جهة ويذكر الاب تاودوسيوس بصبر الآباء الرسل ويوحنا فم الذهب واثناسيوس من جهة أخرى الى ان عاد الى كرسيه بالجملة والاكرام

(٣) وقد نفى تاودوسيوس غير ذلك مرتين المرة الاولى في أيام يوستينوس القيصر وتفصيل ذلك ان هذا الملك استدعى تاودوسيوس الى العاصمة لكي يقر على أعمال مجمع خلکیدون فرفض ذلك امام والي الاسكندرية وعسكره فنفاه الوالي الى الصعيد حيث أقام أربع سنين فلما علم الملك بذلك أقام بطريركاً دخيلاً بدله يدعى بولس وأرسله الى الاسكندرية فرفض المؤمنون الاشتراك معه فغضب الملك وأمر بقفل كنائس الاسكندرية ففعلت جميعها وبقي المسيحيون بدون صلوة مدة سنة فلما سمع البطريرك وهو في النفي بهذه الاحوال المكدره خاف على سقوط كنيسته في أيدي الهراطقة واستدرك أمرها فبدأ يبعث الى المسيحيين بالتحارير المملوءة من النعمة والعزاء الالهي مثبتاً اياهم على صخرة الايمان المسيحي أما الملك فأمر بفتح الكنائس وباستيلاء الحليكيديونيين عليها فلما آيس القويمو الرأي منها عمدوا الى بناء كنيستين خارج المدينة احدهما على اسم دميان والاخرى على اسم قزمان وشرعوا يصلون فيهما وأما المرة الثانية فهي انه لما جلس على تخت المملكة يوستينيانوس وكان أشد تعصباً وأكثر توحشاً من سلفه عزم على ان يستأصل الاعتراف بالطبيعة الواحدة ويفتك بذويه جاعلاً الاعتقاد الذي نظراً لكون الملوك أمدوه بسطوتهم لقب بالملكي هو الاعتقاد العام في سائر انحاء المملكة متهدداً كل من يقر بخلافه بالقصاص المريع فلما يجذب أول مرة القويمي الرأي بلا قسر وبدون عنف استدعى البطريرك تاودوسيوس من النفي بالرفق واللين الى مجمع في القسطنطينية فاستصحب أشهر علماء كنيسته وفضلاء أساقفته وانطلق بهم الى العاصمة فلما وصلوا اليها قابلهم الملك بالاكرام الجزيل وبدأ يتمالقهم ليدعنوا لرايه ويشتركوا مع المجمع في الاقرار على أعمال مجمع خلکیدون وكان أساقفة كثيرون من سوريا وما بين النهرين وجهات مختلفة قد أبوا ان يشتركوا مع المجمع فحنق عليهم الملك ونفى بعضهم وأودع البعض الآخر في السجون فلما قاوم تاودوسيوس وأساقفته ارادة الامبراطور غضب عليهم وجسدهم ونفى البطريرك وكانت الملكة تاودورة وسائر علماء البلاط غير راضين بهذه المعاملة الرديئة والقساوة الشديدة اللتين اتخذها الملك ديدناً له فاعتبروا ذلك ضرباً من التوحش والهمجية وكانوا يعزرون المضطهدين ويقومون بكل ما كان

يحتاجه المسجونون من المؤونة والقوت . ثم ان الملك بعد ما نفى تاودوسيوس قلد
وظيفته لشخص يدعى أبوليناريوس وارسله بفرقة من الجند الى الاسكندرية وأمر
قائد الجيش ان يتخذ لتسليم البطيريكانة والكنائس لابوليناريوس وسيلة قهرية ان أبي
نصارى مصر ان يخضعوا لامره ويؤدوا الطاعة للبطيريك فلما جاء بعسكره الى
الاسكندرية وقرأ عليهم منشور الملك القاضي بقبول أبوليناريوس وبقصاص من
يخالفه أظهر الشعب حساسة وغيره شديدة نابذين الطاعة ظهرياً للدخيل ومقاومين
ارادة الملك ومخالفين لامره وفيما هم على حال القلق والاضطراب اكتشفهم العسكر
من كل جانب مجردين سيوفهم وقتلوا كل من ادركوه حتى سالت دماء الشعب في طرقات
المدينة وأزقتها وشتتوا شمل من لم يدركوه وبهذه الوسيلة استولى البطيريك الدخيل
على البطيريكانة وعلى سائر الكنائس

(٣) وهكذا نفى الملك سائر رؤساء الاساقفة كاتيموس من القسطنطينية وسرجيوس
خليفة ساويرس من انطاكية وغيرها وأشغل مراكزهم بأنصار الاعنقاد الملكي وألقى
القبض على سائر رؤساء الكهنة وعلماء الارثوذكسين فهرب من لم يدركه منهم الى
الحيال والبراري والاديرة وتحصنوا فيها وغيرهم هجروا البلاد وتوجهوا الى بلاد
النوبة والحبشة والهند ثم أصدر منشوراً الى الولاة بالتشديد في طلب الكهنة القويمي
الرأي وبقصاص كل من ظهر مخالفاً لاعمال مجمع خلكيدون وبهذه الوسيلة كاد
ينتصر الانتصار التام على الارثوذكسين غير ان شخصا يدعى يعقوب من سوريا ذهب
ليفتقد رؤساء الكهنة المسجونين في العاصمة وبمساعدة الملكة تاودورة تحصل على ان
يرتسم منهم سراً مطراناً عاماً ويكون مركزه في ايدسا فلما رقى هذه الدرجة طاف كل بلاد
الشرق بأقرب وقت وانعش فيها الايمان الذي كاد وقشذ يضمحل وجذب سائر
الفرق والمذاهب الى الوحدة المذهبية وهدى تباع أوطيخا وجعلهم يتركون مذهبهم
الفساد ويتمذهبون بمذهب الكنيسة القويم وقد شهد المؤرخون على ان هذا الرجل
كان نقياً وقادراً في فصاحته وعلمه وانه لو لم يهتئ الله وجوده لما كان قام للقويمي الرأي
المعتدين بالوحدة الطبيعية للمسيح قائمة ومن ذلك ما قاله المؤرخ الشهير موسيم الانكليزي
مثبتاً ما نحن في صددده من الاضطهاد العنيف الذي وقع على الارثوذكسين وهو

(لما كاد ذوو الطبيعة الواحدة يأسون وبقي قليل جداً من أساقفتهم اذ مات بعضهم والبعض أسروا استنهض حالتهم الساقطة رجل مجهول يعقوب البرادعي أو ززالس فهذا الراهب المسكين الجلد الذي لا يكل ولا يعمل اذ رسمه بعض القسوس المسجونين طاف كل الشرق ماشياً ونظم عدداً وافراً من الاساقفة والقسوس وأنعمش في كل مكان ذوي الطبيعة الواحدة المذلين وكان قادراً جداً في فصاحته واجتهاده المدهش حتى انه حين مات سنة ٥٧٨ هـ في الرها حيث كان أسقفاً ترك شيعته نامية أحسن نمو في سوريا وما بين النهرين وارمنية ومصر ونوبية والحلب وفي بلدان أخرى ولاشئ نحو كل المنازعات التي كانت فيما بين ذوي الطبيعة الواحدة (قرن ٦ ق ٢ ف ٥ : ٦) وقال الاب جراسيموس مسرة (ولكن يعقوب الزنلي المعروف بالبرادعي قام بغيرة عظيمة وأخذ في توحيد كلمتهم وقد سيم أسقفاً على ايدسا (ارفا) واشتغل مدة ٣٣ سنة في ضم طائفته الى واحدة وكان لابساً بردة أي ثوب شحاذ يطوف تحت الاخطار والاهوال من بلد الى بلد ومن قرية الى قرية يشرطن أساقفة وقسوسا ويضم الشيع المتفرقة الى مراكز معلومة ويوفق بين المتخاصمين الى ان جدد لهم مركز البطيركية في انطاكية فأكرمه أصحاب المذهب بتسميتهم يعاقبة من اسمه وهكذا استقر المذهب في كثير من جهات آسيا الصغرى وما بين النهرين وسوريا وقبرص وفلسطين وبلاد الارمن ومصر والحلب (الجزء الاول وجه ٢٩٥)

(٤) وفيما كان يوستينانوس يرتكب هذه الجرائم الفظيعة المغضبة لله وللناس معاً ضد القويمي الرأي أملاً في تأييد أعمال مجمع خلكيدون قابله ثيودورس أسقف قيصرية الذي كان يعتبره ويشق بكلامه ويقبل مشورته وكان ارثوذكسياً عارفاً باختلال مجمع خلكيدون وما تحلله من الاغراض والغايات وكيف كانت أعماله خرقاً للشرائع ومخالفة للعدالة ففاوض القيصر وأيدله بالدليل الراهن عدم صحة ذلك المجمع وكيف انه احتضن رؤوس الشيعة النسطورية بغش وخداع وحيلة ومكر وبدون ان يرشقوا نسطور وما كتبوه من المؤلفات والتحارير تأييداً لمبداه بالحروم واللغات فصنى الملك لكلام ثيودورس والتفت الى قوله باذن واعية وطلب اليه ان يوضح له من هم أولئك الارائقة الذين احتسبهم المجمع بغير حق ارثوذكسيين فأجابه قائلاً هم

عياً أسقف الرها الذي كان حرمه مجمع انطاكية الاقليمي وجمع افسس وناوديريتوس أسقف كورش التي طارت مؤلفاته التي أيد بها مذهب نسطور في الافاق وما زالت عثرة للقويمي الرأي في كل مكان وزمان وزد على ذلك ان ناوديرتوس المبسوسي أسقف المصيصة مع كونه مات نسطوريا من قبل انعقاد مجمع خلكيدون بعدة سنين قد اعتبره المجمع الموما اليه ارثوذكسياً فلما وقف الملك على ذلك ارتاب بصحة المجمع وسكت عن اضطهاد المسيحيين وأخذ يشتغل في البحث عن قانونية ذلك المجمع ولما وقف على صحة ما قيل له أصدر أمراً ضد الاشخاص الثلاثة الموما اليهم مكتفياً بالحكم ضد مؤلفاتهم وهي مؤلفات ناودورس المبسوسي وكتابات ناوديريتوس ضد كيرلس والرسالة المنسوبة الى الاسقف ايبا خطاباً الى مارس الفارسي وطلب ان يمضي هذا الامر الاساقفة وتهدد المقاومين بالعزل ثم عقد جمعاً برئاسة البطريك ميناس الذي كان أقامه بدل اتيوس القويم الرأي الذي كان نفاء فثبت المجمع حكمه على الفصول المذكورة سلفاً غير ان أساقفة الغرب لم يرضوا بهذا الحكم واعتبروا انه يشلم صحة مجمع خلكيدون وكانت الملائكة ناوذرة القويمية الرأي قد دعت ويجيلوس بابا رومية الى حرم مجمع خلكيدون ومساعدة البطاركة اتيوس وسائرس وناودوسيوس والقول بقولهم فاجاب دعوتها وثبت المعتقد بالطبيعة الواحدة وحكم على مجمع خلكيدون وطومس لاون وحرم من يعتقد ان في المسيح الخالص طبيعتين ولا يعترف بجوهر واحد فقط والذي يقول انه صلب من حيث هو انسان ولا يعترف ان ابن الله نفسه صلب وحرم رؤوس الشيعة النسطورية الذين قبلهم مجمع خلكيدون فوبخه أساقفة الغرب على ذلك وقاوموه فندم ثم دعاه القيصر الى العاصمة وأمره ان يثبت الحكم ضد الفصول الثلاثة فاني فهدده الملك فثبته فسخط عليه أساقفة الغرب فحاول ان يسحب امضاءه من الحكم فلم يستطع ذلك فأمر اكليروس القسطنطينية ان لا يخضعوا لامر الملك وهدد من يخالف وصيته بقصاص كنائسي ولما أمضى ميناس البطريك في مجمع آخر على ذلك الحكم قطعه وكذلك قطع ميناس ويجيلوس وهكذا قام النزاع في كل مكان فلكي ينهي الملك هذه القلاقل أمر بالانعقاد مجمع مسكوني فانعقد في القسطنطينية وكان مركبا من ١٦٥ أسقفاً خلكيديونياً أوجب

جميعهم الحكم ضد مؤلفات رؤوس الشيعة النسطورية وكان أغلب آباء هذا المجمع من أساقفة الشرق ولم يحضره من أساقفة الغرب الا نفر قليل وكان البابا ويحليوس يومئذ في المدينة متمارزاً ولما أعرضت عليه أحكام المجمع ليوقع عليها رفضها فنفاه الملك ثم ندم وأيد تلك الاحكام فردده الى كرسية فانفصل من شركته أساقفته اعلمهم انه ازدرى بمجمع خلكيدون وأهان أحكامه

البابا بطرس الرابع البطريرك الرابع والثلاثون سنة ٥٥٩ م — ٥٦١ م

كان الملك عين بطريركاً دخليلاً اسمه أبوليناريوس ضبط الكنائس واستولى على أملاكها بقوة الحكومة وأذل المؤمنين اذلاً غنياً حتى صاروا لا يستطيعون ان يتظاهروا ويحفظوا بالصلوة الا في الاماكن المستترة وفي الكنائس البعيدة فلما توفي البابا تاودوسيوس في اليوم الثامن والعشرين من بؤنة بعد ما استمر في الرئاسة الاسقفية واحد وثلاثين سنة وأربعة أشهر وخمسة عشر يوماً قضى منها ٢٨ سنة في النفي استدعى الشعب ثلاثة أساقفة من القويمي الرأي وانطلقوا بهم الى دير الزجاج خارج الاسكندرية وبعد مسافة تسعة أميال عنها واختاروا انساناً فاضلاً من الرهبان ووضعوا عليه الايدي وكرسوه بطريركاً وجعلوا مركزه في هذا الدير خوفاً من سطوة بطريرك الملكية فلما أحس هذا بأن أخضام مجمع خلكيدون كرسوا لهم بطريركاً رفع دعوى عليهم امام الملك لكنه توفي قبل ان يصل خطابه الى البلاط وفعل ارثوذكسيو انطاكية كما فعل ارثوذكسيو الاسكندرية فانهم استدعوا الاساقفة القويمي الرأي الى دير خارج انطاكية اسمه دير القديس أمونيوس وانتخبوا شخصاً يدعى تاوفيلس وكرسوه بطريركاً ومن ذلك الحين ثم افتراق الكنائس عن بعضها فصار الملكيون يقيمون لهم بطاركة مخصوصين والقويمو الرأي يقيمون لهم بطاركة مخصوصين أيضاً وما زالوا كذلك الى الآن . وكان الاب بطرس الرابع فاضلاً جداً ووجيهاً وكانت رعيته نالت راحة تامة من بعد ما قاست الاتعاب الشديدة وزالت من بينها كل الاختلافات بمساعي الاب يعقوب الفيور واجتهاده سيما من بين الرهبان فكانت الديرية على كثرتها وشهرتها

واختلاف جنسية أهلها من قبط ويونان وسريان جميعها تقر بإقرار الإيمان القويم وترفض أعمال مجمع خلقيدون وقد مكث الأب بطرس في الحبرية سنتين وتوفي في اليوم الخامس والعشرين من بؤته سنة ٥٦١ م

البابا دميانوس البطريرك الخامس والثلاثون سنة ٥٦٣ م — ٥٩٨ م

(١) تعقب دميانوس آثار الهرطقة وتفتيته للكنيسة منهم (٢) أصل

البرشوفيين

(١) كان البابا بطرس الرابع انتخب من دير طور تابور راهبا يدعى دميانوس وجعله كاتم سره وكاتب يده فصار يشتغل بهذه المهنة الى ان تمرن على سائر أشغال البطريركية فلما توفي البطريرك قدمه الاساقفة بطريركاً في شهر أيب سنة ٥٦٣ م بعد ما خلى الكرسي البطريركي سنتين فلما رقى الكائندرا وجه عنايته فحو ضم شمل المسيحيين المتفرقة الى حضن الكنيسة ووحدتها فكان بين الرهبان قوم من حزب مليطس الاسيوطي الذي مر ذكره في ختام الجيل الثالث راجع وجه (٦١) ومن أمر هؤلاء القوم انهم كانوا يتناولون خمراً ويشربون منها مراراً كثيرة اثناء الليل الى الصباح اذا غزموا ان يقدسوا السرائر بدعواهم ان المسيح والرسل شربوا خمراً قبل العشاء الذي من بعده كان العهد الجديد بدم القادي فطرد البطريرك هؤلاء القوم من الاسقيط وحذر الرهبان من قبولهم الى ان يتوبوا ويرجعوا ناديين هذا من داخل واما من خارج فقد اعتنى كثيراً في انتشال بطرس بطريرك انطاكية من الهرطقة بتعليمه الوخيم الذي علمه في اللاهوت الاقدس وتفصيل ذلك ان دعائم الاتحاد بين الكرسي الانطاكي والكرسي الاسكندري كان يعززها ويزيد ثباتها من زمان الى آخر تجارير السلام التي كان يرسلها كل بطريرك أحد الكرسيين الى الآخر كما أشار الى ذلك المؤرخ موسيم بقوله (ان طيش اليونانيين ورغبتهم الحقاء في اثبات الحق وطدت ذوي الطبيعة الواحدة على اس متين ومنذ ذلك كانت جماعتهم تسام من

اسقفين أو بطيركين الواحد أسقف الاسكندرية والآخر أسقف انطاكية ومع ان السوريين والمصريين يختلفون في بعض قضايا يعتقدون جداً على ابقاء الالفه بعضهم مع بعض بالمكاتيب وبقضاء بعض مصالح حية (قرن ٦ ق ٢ ف ٥ : ٧) فحدث ان بطرس بطريك انطاكية خاطب عند ما ارتقى الى كرسي الحبرية دميانوس البطريك الاسكندري بتحرير متضمن تعليم وخيم في اللاهوت وهو قوله ان الاعتقاد بسر الثلوث هو في غير محله وان لا ضرورة تستدعي الى القول ان الله هو ثلاثة أقانيم أب وابن وروح قدس لان اقنوم الله واحد كما ان جوهره واحد أيضاً فلما وقف دميانوس على هذا التعليم الفاسد انقد بنار الغيرة وخاف على سقوط الكنيسة السورية فبادر الى بطرس بتحرير نصحه فيه ان يترك مبدأه الاثيم ويقر كما تقر الكنيسة الجامعة ويهدده ان أبي قبول نصيحته بالقطع والحرم وقد قيل أن بطرس كان قاصداً بهذا الاعتقاد ان يبطل بدعة كونون أسقف طرسوس وفيلوبونيس الفيلسوف الاسكندري اللذين زعما ان في الله ثلاث طبائع متميزة عدداً متساوية تساويها تماماً غير متحدة الاتحاد الجوهرى . غير ان بطرس رفض تحرير دميانوس ولم يرعو لنصيحته ولم يندع من ترهيبه ولم يكثر تهديده وأصر على عناده ودام يقول بقوله وأرسل محريراً الى البطريك شديد اللهجة فلما وقف دميانوس على اصراره وعدم اذعانه جمع مجعاً حكام بطرس الانطاكي وكان ذلك سبباً لانفهام عرى الوحدة بين المصريين والسوريين مدة عشرين سنة

(٢) أما حزب الذين لا رأس لهم الذين كانوا انفصلوا من جسيم الكنيسة من أيام السعيد الذكر البابا بطرس منقوس بسبب اتحاده مع كرسي القسطنطينية وبقي منهم نفر قليل ولم يبق من أساقفتهم وكهنتهم سوى أربعة قسوس فتشاوروا معاً واتفقوا على ان يكون أحدهم (ورشوفة) أسقفاً فوضعوا عليه الايدي وتلقبوا باسمه وكان منهم جماعة ساكنين في الجهة الغربية من مصر فلما أحسوا بتقدمة ورشوفة أسقفاً غضبوا جداً وافترقوا عنهم وأقاموا لهم أيضاً أسقفاً وكانت حالتهم بالتنازل من يوم الى آخر الى ان بادوا عن آخرهم . وقد استمر دميانوس يسهي في ما يعود بالصالح على رعيته

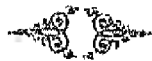
مدة ٣٥ سنة واحدى عشر شهراً و ٢٨ يوماً و رقد بالرب في اليوم الثامن عشر من شهر بؤنة وتوفي سنة ٥٩٨ م

الحوادث المدنية في هذا الحيل

انه لما توفي الامبراطور انسطاسيوس الارثوذ كسي سنة ٥١٨ خلفه يوستينوس وأصل مولده في بلاد الرومي وكان أولاً يرعى المواشي ثم انتظم في سلك الجندية وارتقى الى أعلى الرتب في أيام ليون الاول ثم استولى على سرير المملكة بالحيلة والحداع وفوق ذلك أنه كان خلكيدوني المذهب وشديد الكراهة والبغضة للارثوذ كسين فلما قبض على صولجان الملك وضع شريعة ضدهم وهي أن لا يقام بطريك الا اذا وقع على أعمال جمع خلكيدون وطومس لاون وان كل بطريك أو أسقف لا يقر باقرار ذلك المجمع يطرد من أبرشيته وأول من نفذ مفعول هذه الشريعة ضده هو اتيموس بطريك القسطنطينية فنفاه الملك وأقام بدله ميناس وكذلك طرد ساويرس من انطاكية وأقام بدله شخصاً يدعى بولس وطرد تارودوسيوس من الاسكندرية وأقام بدله بولس التنيسي وفك بأهل المدينة الذين لم يرضوا ان يشتركوا مع الدخيل وقفل كنائسهم مدة سنة ولما توفي سنة ٧٢٧ م خلفه يوستيانوس ابن اخيه وكان قائد جيشه بليساريوس على غاية من المعرفة في فن العسكرية وتدبير الحرب فكان ينتصر في كل مكان يتوجه اليه ومن ذلك انه استخلص بلاد افريقيا من أيدي الفندال واسر (جليم) ملك قرطاجنة وأتى به الى القسطنطينية فقتل هناك في محفل حافل ثم زحف على ايطاليا وأخضعها مع سيسيليا وقهر ملك الغوثين وأتى به مقيداً بالزناجير ولما غزا قباذ بن فيروز ملك الفرس بلاد الروم ذهب ذلك القائد لمصادمته بجيشه المظفر فجرى بينهما عدة وقائع تارة انتصر فيها الفرس وأخرى الروم فاستمر الحال كذلك مدة مستطيلة بدون أن يتعين النصر لاحد الفريقين ثم انهما تهادنا أخيراً مدة خمسين سنة ولم ينته بليساريوس من هذه الحرب حتى عصت امة الغوث المملكة في ايطاليا ونادت بأسقالاتها فزحف عليها وفي أثناء

غيا به وشى به حساده الى الملك فاستدعاه الى العاصمة وأرسل مكانه القائد ناريس
فحارب الغوثيين وانتصر عليهم وطردهم من البلاد . ونهض قوم من الباغاريين
واتحدوا مع قبائل بلاد السرب وتقدموا بجمعهم الى مكدونية وثراكيا فهاجموها
ونهبوها وامتدوا في غزوهم الى ان اقتربوا من القسطنطينية فخرج لقائهم القائد
بليسايريوس وشتت شملهم وكانت هذه الحرب آخر انتصاراته فان الملك ورجال
الحكومة كرهوه بعد ذلك فعاش الى الممات بالذل والهوان ومع كل سطوة المملكة
وشهرة عظمتها ومجدها من خارج فان احوالها الداخلية كانت غير مرضية فكانت
القلقل الدينية قائمة على قدم وساق في كافة انحاءها والمصائب تدهمها من كل جانب سيما
بوقوع الزلازل في مدينتها وعلى الخصوص مدينة انطاكية فهلك منها اثنا الزلازل نحو ٢٥٠
الف نسمة وحدث وباء عام دام وقتاً طويلاً كان يموت به من القسطنطينية نحو خمسة
آلاف نسمة كل يوم وعشرة آلاف بمض الايام واستمر كذلك مدة ثلاثة أشهر
حتى قل عدد الجنس البشري . ومن مآثر يوستينيانوس تأليف القانون المدني المعروف
باسمه الذي هو الآن قاعدة الاحكام المدنية الحاضرة وقد ساعده على تأليفه تريبونيان
الفقيه ولمسا توفي سنة ٥٦٥ م خلفه ابن اخيه يوستينوس الثاني وكانت له زوجة تدعى
صوفية أحببت شاباً يسمى طيباريوس فحملت زوجها على ان يتبناه ويجعله ولي عهده
قاصدة ان تزوجه بعد موت زوجها فتبناه وجعله مستشاراً وشريكاً في السلطنة وفي أيامه
ارسل اليه ملك النثر الهبارة سفارة لعقد معاهدة بين الدولتين فرفض هذا الطلب ثم عقد
تحالفاً مع ملك التركان على حرب كسرى أنوشروان ملك الفرس بسبب بلاد ارمينيا
التي كانت شقت عصا الطاعة على الروم ودخلت تحت حكومة الفرس فحاربهم
الامبراطور ولم تنته الحرب الا بموته ومن مآثره انه عند ما تولى زمام الاحكام أصدر
أمراً بحرية الاديان فقال المستقيم الرأي بهذا الامر حرية تامة ولمسا مات سنة ٥٧٨ م
خلفه طيباريوس السالف الذكر وعند جلوسه أقام حرباً مع هرمن بن أنوشروان
وأرسل لقناله قائداً من خاص قواده يدعى موريس فانتصر على الفرس في عدة مواقع
فكافأ الملك هذا القائد بالمواهب الجزيلة وزوجه بابنته وعهد اليه بالملك وبعد موت
طيباريوس سنة ٥٨٢ م تبوأ تحت السلطنة موريس المتقدم ذكره وفي أيامه حدثت

ثورة في بلاد الفرس الزمت هرمز ملكها ان يفر منها ويأتي اليه مستغيثاً به فترحب به
وأكرمه وامده بالحيوش وارسله الى بلاد الهجيم تحت اسم البريز خسرو الثاني . ثم
حول موريس التفاته الى حرب التتر الهبارة الذين كانوا اتوا من اسيا وسكنوا في بلاد
المجر فارسل لقتالهم قائداً من قواده وأحبه بجيش عديد فانتصر عليهم في خمس
وقائع وكان ملك التتر قد اسر من عسكر الروم في تلك الحروب اثني عشر الف
فارس فاعرض على موريس اقتداء الاسرى المذكورين وجعل على كل واحد ديناراً
واذ كان هذا القيصر بخيلاً لم يقبل ذلك فطلب منه ان يدفع عن كل واحد نصف
دينار فرفض الطالب ايضاً فاغتاظ ملك التتر من فرط بخله وذبح جميع اسرى الروم
فلما اشتهر هذا الامر نفرت طباع الناس من ملكهم وابفضوه وحقده عليه الجند
وعصمه وملكوا بدله رجلاً من رعاع الجند يدعى فوكاس وذلك سنة ٦٠٢ م



الحيل السابع

البابا انسطاسيوس البطريك السادس والثلاثون سنة ٥٩٨ م — ٦١١ م

(١) اغتصاب البطريك الملكي لكنيستي قزمان ودميان (٢) اعادة اتحاد الكرسي الاسكندري بالكرسي الانطاكي

(١) كان قس في كنيسة الانجيليين (وهي كنيسة كانت مبنية على اسم متى ومرقس ولوقا ويوحنا) وكنيستي قزمان ودميان اسمه انسطاسيوس مشهوراً بالقوى والعلم والفضل فلما توفي السعيد الذكر البابا دميانوس اجتمع الاساقفة وانتخبوا القس السالف الذكر وكرسوه بطريكاً في شهر أبيب سنة ٥٩٨ م فلما رقى كأندرا مار مرقس قدم في حقه شكاية الى الملك أولوجيوس البطريك الملكي الذي كانت ولاية بطريكته لا تتجاوز بعض الاكليروس والشعب من الاسكندرية لان سائر اساقفة ابرشيات القطر المصري والنوبة والحس المدن القريبة والحبشة كانوا أحنوا رؤوسهم وخضعوا لبطاركة الاسكندرية القوي الرأي وكانت شكاية اولوجيوس متضمنة الافتراء على انسطاسيوس بأنه حاساً صار بطريكاً رشق المملكة الآخذة بناصر تعليم مجمع خلقيدون وتأيد اعماله بالحروم واللعنات فغضب الملك وبدون تحقيق أرسل الى الوالي في الاسكندرية يأمره بأن يسلم لاولوجيوس كنيستي قزمان ودميان اللتين يجتمع فيهما أخصام مجمع خلقيدون بكثرة وان يطرد انسطاسيوس من المدينة فلما نفذ الوالي أمر القيصر حصل هياج عظيم وشغب وفتن بين المسيحيين كان ذلك فرصة لليهود فانهزوها وقتلوا كثيرين من النصارى أما البطريك فحزن جداً لانه فقد أشهر كنائسه وأعظمهن فانطلق الى الاسقيط وحمل مركزه فيه

(٢) وبعد ما مضى على انفصال كنيسة انطاكية من كنيسة الاسكندرية نحو عشرين سنة تقريباً بسبب بدعة بطرس البطريك الانطاكي قام على الكرسي الرجل

الفاضل القويم الرأي المشهور بالقداسة الاب اناسيوس فلما صار بطريركا اجتهد في تجديد الاتحاد واعادة الصلح والسلام بين السوريين والمصريين فكتب تحريراً مستقيماً الرأي الى انسطاسيوس يعترف فيه بعصبة المعتقد ويطلب تجديد العلاقات بين الكرسيين فرد عليه انسطاسيوس بانه يود الاتحاد ويرغبه ويتمناه من صميم قواذه فلما قبل اناسيوس تحرير البطريك الاسكندري جمع الاساقفة وانطلق بهم الى مصر ليعقدوا مجمعاً يؤيد أمر الاتحاد وكان انسطاسيوس يومئذ في الاسقيط فلما علم بتقدم اساقفة بلاد سوريا وفي مقدمتهم البطريك الانطاكي جمع اساقفته وأشهر علماء كنيسته وانطلقوا الى شط البحر وقابلوهم بما يليق لهم من الأكرام الجزيل والاحفاء العظيم ثم ذهبوا الى دير على ساحل البحر وعقدوا المجمع فيه وبعد مفاوضات كثيرة في أمر الإيمان استغرقت شهراً واحداً أجمعوا على الوحدة وختموا جلسات المجمع برفع السرائر الربية واشترك جميعهم فيها ثم انطلق البطريك الانطاكي الى كرسيه مسروراً بنجاح سفره وأما انسطاسيوس فقد ألف اثني عشر كتاباً وكان يؤلف كل سنة واحداً منها واستمر على كرسي الحبرية اثني عشر سنة وستة أشهر وعشرة أيام وتوفي في اليوم الثاني والعشرين من شهر صفيح سنة ٦١١ م

البابا اندرونيقوس البطريك السابع والثلاثون سنة ٦١١ م — ٦١٧ م

(١) استيلاء الفرس على مصر واضطهادهم للرهبان (٢) تعليم الزوم واللاتين
عشيئة واحدة للمسيح (٣) ظهور صاحب الشريعة الاسلامية ومبادئ تعليمه

(١) ولم يعلم الاساقفة بوفاة الطيب الذكر البابا انسطاسيوس حتى اجتمعوا في الثغر ووقعوا على انتخاب اندرونيقوس أحد شمامسة كنيسة الانجيليين بطريركاً فوضعوا عليه الايدي وكان من عائلة في الاسكندرية عريقة في المجد وشريفة جداً وكان أخوه رئيس ديوان الاسكندرية ولذلك ألبث في الثغر يباشر شؤون وظيفته ولم

يخش كغيره سطوة الملكين غير ان الجولم يستمر صافياً له لان الفرس كانوا غزوا بلاد الشرق وجازوا نهر الفرات واستولوا على حلب وانطاكية وأورشليم وقتلوا من النصراني وأسروا خلقاً كثيراً وكان اليهود يشترون منهم الاسرى ويعذبونهم ثم يقتلونهم وبلغ عدد القتلى من أورشليم نحو ٨٠ ألف نفر وأشعلوا النار في كنيسة القيامة وأخذوا أوانيها وأخذوا خشبة الصليب وذهبوا بها الى بلادهم وبعد ما أتموا فتح بلاد سوريا جاؤا الى القطر المصري واستولوا عليه وأخربوا من ضواحي الاسكندرية نحو ست مائة وعشرين ديراً كان يسكنها رهبان وراهبات ودعوا ذات يوم شبان الثغر الى مكان خارج المدينة على وعد ان يحفوهم بالمطايا والمنع الجليلة واحتالوا عليهم بذلك وقتلوه عن آخرهم وكان عددهم ثمانين ألفاً وكان كسرى ملكهم شديد الطمع كثير الجشع فنهب أموال الاهالي وضيق عليهم وظل يعضو ظمأ في الاهالي مدة ست سنين ثم حارب هرقل ملك الروم وظفر به وطرده من البلاد

(٢) وكان هرقل يود اتحاد الكنائس وقد استعمل لذلك جملة وسائل فلم تأت بالفائدة المقصودة فحدث انه بعد ما انتهى من حرب الفرس وجه كل التفاته نحو حسم نزاع الكنائس وقلاقلها التي ما كان يعود على المملكة منها الا الانحطاط والفقهر فاستحضر لديه اناسيوس البطريك الانطاكي القوم الراي وكثيرين من أساقفة بلاد سوريا وطلب اليهم ان يتحدوا مع الكنيسة الملكية فأبوا وأظهروا من الثبات ما لا مزيد عليه واحتجوا عن مذهبهم القويم ومما قالوا له انك أيها الملك الجليل اذا اعتقدت بان المسيح طبيعتان فمن اللازم ان تعتقد ان لكل طبيعة فعل خاص قائم بها وانها تفعل على حدها بدون اتحاد الطبيعة الاخرى واشتراكها على الفعل فيكون المسيح على حسب هذه المقدمات واحداً بالاسم فقط دون الفعل والحقيقة لكون الفاعل فيه ليس واحداً بل اثنين . فلما سمع هرقل هذه الأقوال قصد ان يتفاوض في أمر الاتحاد مع سرجيوس بطريك القسطنطينية ثم ترك بلاد سوريا وجاء الى العاصمة وسأل البطريك عما اذا كان الفاعل في المسيح واحداً أو اثنين فقال سرجيوس ان الفاعل واحد لان المشيئة واحدة والارادة واحدة غير منقسمة فاتفق الملك بذلك وأراد ان يتحد المسيحيون على

هذا المبدأ وهو ان المسيح واحد وفعله واحد ومشيته واحدة بدون أن يأتوا بذكر
 للتعليم الواحدة أو الاثنين وبعد ان تفاوض مع أساقفة كثيرين من أساقفة اليونان
 أصدر دستور ايمان معروف بالأكثيسيس حتم فيه بقبول المشيئة الواحدة وكان قبل ذلك
 أقام على الاسكندرية واليأيدعى كورش وسلمه زمام البطيركية أيضا فجمع مجمعا حكم بالمشيئة
 الواحدة والفعل الواحد للمسيح وفعل كذلك سرجيوس بطريرك القسطنطينية ودعا
 البابا انوريوس الى قبول هذا التلامي فقبله وعلم به وهكذا أصبحت جميع المراكز الدينية
 تعلم تعليمًا واحدًا غير ان راهبًا يدعى سفرونيوس كان حاضراً في المجمع الذي عقده
 كورش في الاسكندرية فقاوم البطريرك فلما انحل المجمع طاف أماكن كثيرة وعلم
 بالمشيئتين للمسيح ولما صار بطريركاً على اورشليم عقد مجمعا وحكم فيه بالمشيئتين
 وهكذا ثارت الفلاقل من جديد في كل مكان فلما ينهي الملك هذا النزاع عقد بمجمعاً في
 العاصمة كان الرئيس فيه البطريرك سرجيوس فأثبت التعليم بالمشيئة الواحدة ونسج على منوال
 سرجيوس من البطارقة خلفاءه يرس وبولس وبطرس وتوما وتاودروس ويوحنا
 غير ان خلفاء انوريوس أنكروا عليه تعليمه بالمشيئة الواحدة وحرموه وكذلك
 القيصر قسطنطين اللخاني جمع مجمعا سنة ٦٨٠ معروفاً عند الملكيين بالمجمع السادس
 أثبت فيه التعليم بالمشيئتين وحرّم انوريوس البابا وبطاركة القسطنطينية الذين علموا
 بالمشيئة الواحدة ثم ألغيت أعمال هذا المجمع سنة ٧١٢ بمجمع آخر ثم تأيدت بعد
 ذلك الى ان زال التعليم بالمشيئة الواحدة من الكنائس الخلكيدونية ولم يبق كنيسة
 منها تعلم به خلاف كنيسة الموارنة في جبل لبنان فان يوحنا مارون من رهبان دير
 مارون الشهير عند نبع نهر الماصي دافع عن التعليم بالمشيئة الواحدة فتبعته الطائفة
 المعروفة الآن بالمارونية من اسمه وقام هو أول أسقف عليها وقد حافظت على هذا
 التعليم الى أيام الصليبيين فتبعت كرسي رومية سنة ١١٨٢م

وأرى ان القائمين بالمشيئتين قد غلطوا كما قد غلط من قبلهم الذين قالوا بالطبيعتين
 ومن المستغرب انهم في حين نراهم ينازعون على اثبات هذا التعليم ويؤيدونه لا تلبث
 قليلاً حتى نراهم ينفونه فهم فيه بين سلب وإيجاب ونفي وإثبات وشاهدي على ذلك
 أولاً دستور المجمع السادس الذي حكم ضد القائمين بالمشيئة الواحدة فانه ورد فيه ما

هو . وليست المشيئتان متضادتين حاشا بل المشيئة البشرية تتبع بلا مقاومة ولا مناكفة وتخضع للمشيئة الالهية القادرة على كل شيء (الجزء الاول من تاريخ الانشقاق وجه ٣٢٥)

(ثانياً) كتاب الايمان الصحيح الذي ألفه أسقف روماني يجتذب به كنائس القبط والحبش والارمن والسريان الى القول بالطبيعتين فانه بعد ما أورد فيه المؤلف ما يؤيد مذهب القائمين بالطبيعة الواحدة أثناء ما كان يحاول اثبات القول بالطبيعتين وذلك بقوله (ان الكنيسة الرومانية تعتقد وجود طبيعتين في المسيح ثم تطعن بالحرمان من لا يعتقد ان المسيح هو طبيعة واحدة للكلمة المتجسدة كما تدون في الجمع اللاتراني المتعقد بأمر القديس مرتينوس البابا سنة ٦٤٩م في القانون الخامس بهذه الالفاظ (من لا يعتقد بموجب رأي الآباء القديسين انما موجودة طبيعة واحدة متجسدة لله الكلمة في المسيح خاصة وحقاً دلالة على ان المسيح الاله أخذ جوهرنا كله كاملاً ما عدا الخطيئة فليكن محروماً وجه ١٤٢ و ١٤٣) ورد فيه أيضاً ما يؤيد مذهب القائمين بالمشيئة الواحدة أثناء ما كان مؤلفه يحاول اثبات القول بالمشيئتين وذلك بقوله (ونحن نعلم ان كثيرين باقتناعهم من شهادات الانجيل والآباء القديسين ومن القياس والبرهان يعتقدون حقاً بمشيئتين في المسيح لكن بنوع ان الواحدة موافقة للآخرى ولا يمكن القول انهما اثنتان بل واحدة فبالحقيقة ان الكنيسة الرومانية تقر وتعتقد ان هاتين المشيئتين متفقتان في المسيح كأنهما واحدة فقط (وجه ١٩٩) وقوله أيضاً (ان مشيئته الانسانية لم تضاد أو تخالف قط المشيئة الالهية القادرة على كل شيء بل خضعت لها دائماً لانه كان يجب ان تحرك مشيئة الجسد لكن بنوع ان تخضع للمشيئة الالهية كموجب رأي اناسيوس الكلبي الحكمة لانه كما ان جسده يقال جسد الله الكلمة وهو حقاً فهكذا مشيئة جسده الطبيعية يقال خاصة لله الكلمة وهي حقاً (وجه ٢١٣)

(ثالثاً) كتاب مختصر المقالات اللاهوتية للاب يبروني اليسوعي المترجم الى اللغة العربية بيد الخوري يوسف الدبس فانه بعد ما أورد فيه مؤلفه ما يثبت القول بالطبيعة الواحدة أثناء احتجاجه عن القول بالطبيعتين رداً على شهادة الآباء بقوله عنهم (فان

أريد انهم يعلمون ان الطبيعة المتجسدة صارت واحدة بعد الاتحاد فسلم أو انهم يقولون ذلك في الطبيعة بالاطلاق فنكر (الجزء الثالث وجه ١٧١) أورد فيه أيضاً ما يؤيد القول بالفعل الواحد أيضاً أثناء احتجاجه عن التعاميم بالفعلين وذلك بقوله (وعلى الاعتراض السادس ممزاً فسلم ان المسح أظهر فعلاً واحداً أو بالآخرى فعلاً جديداً تياندرىكا بسبب الاتحاد العجيب بين الطبيعتين واجتماعهما على الفعل أما انه فعل ذلك بسبب وحدة المبدأ فنكر (الجزء الثالث وجه ١٨٣)

قلت ومن هذه النصوص يعلم ان المسألة موضوع عناد ومكابرة وان عدم التسليم بالقول اليقين والحق المين سببه المحاولة لا أكثر .

(٣) ان محمداً مشرع الشريعة الاسلامية ولد في شبه جزيرة العرب في الحجاز بمدينة مكاء من قبيلة عرب قريش نحو سنة ٦٩٠ هـ ومن أمره انه لما صار له خمس سنين من العمر مات والداه فاعتنى بتربيته عمه أبو طالب وعامه التجارة والسفر فسافر في سن الرابعة عشر سنة مع قافلة من عرب قريش الى الشام وعند رجوعه اخذته أرملة غنية تدعى خديجة فصار يتجر لها ثم تزوج بها وكان ذا ذكاء طبيعي وعقل نير وأفكار متوقدة وكان في أثناء تردده الى بلاد فلسطين والشام يخاطب اليهود والنصارى ويعاشرهم حتى وقف على مبادئ دين كل فريق منهما ولما بلغ الأربعين سنة من عمره خطر على باله ان يمحو عبادة الاصنام من بلاد العرب فبدأ يدعو أهل مكة وقريشاً الى الاقرار بالله جل ذكره وينصحهم ان يتركوا العبادة الوثنية بدعوى انه رسول ونبي مرسل من الله لهدايتهم فشق عليهم تعليمه واستعظموه وجزعوا منه واقترحوا عليه ان يقيم الدليل بالمعجزات لاثبات دعواه فاحتج عن ذلك كما جاء في القرآن بقوله : وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل ان الله قادر على ان ينزل آية ولو لكن أكثرهم لا يعلمون « الانعام آية ٣٧ » وقوله : واذا لم تأتكم بآية قالوا لولا اجتبيتها قل انما أتبع ما يوحى الي من ربي هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون « الاعراف آية ٢٠٢ » وقوله : ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آية من ربه انما أنت منذر ولكل قوم هاد « الرعد آية ٨ » وقوله : وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الاولون (بني اسرائيل آية ٦١) وقوله : لولا أنزل

عليه آيات من ربه قل انما الآيات عند الله وانما أنا نذير مبين أولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم (العنكبوت آية ٤٩ و ٥٠)

ثم ان عرب قريش أضمروا له السوء فلما شعر بما خامر قلوبهم هجر مكة وسافر الى مدينة يثرب ومن ذلك الحين ابتداء تاريخ الاسلام وكان ذلك سنة ٦٢٢ م ثم أخذت نيران الحرب تعقد بدون انقطاع بينه وبين عرب قريش فكان تارة ينتصر عليهم وأخرى ينتصرون عليه وما زال كذلك حتى قهر جابرتهم وكسر فرسانهم وحطم أولئهم وهكذا بدأت تمتد سطوته ودعواه في حياته وبعد وفاته الى ان خضعت كافة قبائل العرب وتدينوا بدينه

وفي السنة السادسة للهجرة كتب محمد كتاباً الى هرقل يدعو به الى الاسلام وكتب مثل ذلك الى سائر امراء العرب وملوك العجم ومصر وكان يومئذ المقوقس بن قرفت اليوناني والياً من قبل هرقل على مصر فأرسل الى محمد أربع جوار بيض هدية ومنهن ماري القبطية أم ابراهيم ابنه فكان ذلك داعياً لفتح مصر وقد توفي محمد سنة ٦٣٢ م و ١٠ هـ

أما مبادئ تعليمه فقد تضمنها كتاب القرآن الذي أملاه على الصحابة أعني تلاميذه فكتبوه على قطع من أوراق النخيل وعظام الحملان وكان يقول لهم ان جبرائيل الملاك أوحى به اليه ولما قام أبو بكر من بسده جمع ما احتوته تلك القطع في مجموع ومبادئ تعليمه هي (١) أنه يوجد الله منفرد بالذات والاقنوم وأن محمداً رسوله ونيه (٢) ان النفس خالدة وأن الله مزمرع أن يعيد الاجساد كما كانت وتعود كل نفس الى جسدها (٣) ان الله مزمرع أن يجازي الاشرار بالشر ويكافي الاخيار بالخير (٤) ان مكافأة الاخيار موضوعها ما في الجنة من الثمار والمياه والاطعمة الفاخرة والنساء الجميلات (٥) ان شرب الخمر حرام بالاطلاق العام على المسلمين (٦) ان أكل الميت والدم والمخنوق ولحم الخنزير حرام أيضاً (٧) ان من الواجب صوم شهر رمضان لان فيه أنزل الله القرآن فيصام مسافة النهار عن الاكل والشرب والنكاح الى المساء ومق غابت الشمس يسمح بكل ذلك الى انبثاق الفجر (٨) انه يسمح للرجل بزواج أربع زوجات وبطلاقهن متى

شاء ولا ان يتزوج عدة غير محصورة من الجوار (٩) ان الحج الى مكة قانون واجب على كل مسلم في العمر مرة واحدة (١٠) ان المسيح لم يكن ابداً بل نبياً وكلمة الله جعل به من روح الله وولد من بتول وانه لم يصلب بل صلب شخص آخر عوضه أما هو فعرج الى السماء وجاء في الحديث أن المسيح مزبج أن يأتي ثانياً لكي يؤكده تعليم محمد ومحققه

(١١) ان محمد أنذيراً أو بشيراً للناس ولم يرسل لأجبارهم وكرههم كما قيل في القرآن : لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم (البقرة آية ٢٥٧) وقيل : ولقد للذين أوتوا الكتاب والأمين أسلمتم فان أسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد (آل عمران مدنية آية ١٩) وقيل : وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل نبأ مستقر وسوف تعلمون (الانعام آية ٦٦) وقيل : قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ (الانعام آية ١٠٤) وقيل : ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظاً وما أنت عليهم بوكيل (الانعام آية ١٠٧) وقيل : ولو شاء ربك لأمن من في الارض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وما كان لنفس أن تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون « يونس آية ٩٩ و ١٠٠ » وقيل : قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل (يونس مكية آية ١٠٨) وقيل : ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاعهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً (الاحزاب آية ٤٧) وقيل : ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين « النحل آية ١٢٦ » وقيل : وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك الا مبشراً ونذيراً « بني اسرائيل مكية آية ١٠٦ » وقيل : انا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل « الزمر مكية آية ٤٢ »

(١٢) ان الكتاب المقدس الذي هو العهد القديم والعهد الجديد ثابت لا ريب

فيه وهو هدى ونور للناس وان الناس ليسوا على شيء ما لم يتقيوه وذلك بما جاء في القرآن بقوله (ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مريية من لقائه) سورة السجدة آية ٢٣) وقوله : فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك « سورة يونس آية ٩٤ » وقوله : وما أرسلنا قبلك الا رجالاً نوحى اليهم فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون « سورة الانبياء آية ٧ » وقوله : قل يا أهل الكتاب استم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم « المائدة آية ٧٢ » وقوله : وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للذقين ولحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون « المائدة آية ٥٠ » وقوله : ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل اليكم والها والهمك واحد ونحن له مسلمون « العنكبوت آية ٤٥ » وقوله : وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين « المائدة آية ٤٤ » وقوله مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً بشئ مثل انقوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين « الجمعة آية ٥ » وقوله : وما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون « التوبة آية ٩٧ »

« ١٣ » ان الجهاد في سبيل الله أمر واجب وان دعوة الناس الى الاسلام بالرهبة والاكرام فرض وسنة كما قيل : وقتلوهم حتى لا تكون فتنه ويكون الدين لله « البقرة آية ١٨٨ » وقيل : فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم « التوبة آية ٥ » وقيل : فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق « محمد آية ٤ » وقيل : قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون « التوبة ٢٨ » وقيل : ودوالو تكفرون

كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فإن تولوا
نخذلوهم واقبلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم ولياً ولا نصيراً « النساء آية ٨٨ »
وقيل : يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس
المصير « التوبة آية ٧١ » وقيل : فقاتل في سبيل الله ولا تكلف الـ نفسك وحرص
المؤمنين « النساء آية ٨٣ »

البابا بنيامين البطريك الثامن والثلاثون سنة ٦١٧ م — ٦٥٦ م

(١) اختفاء بنيامين بسبب الاضطهاد وشهادة اخيه مينا (٢) رجوعه بأمر
عمرو بن العاص بحرية تامة (٣) سرقة رأس مار مرقس واعادتها (٤) عمارة اديرة
الاسقيط وتكريس كنيسة انبا مقار يوس

ان البابا اندرونيقوس استمر على كرسي الجبرية ست سنين وستة عشر يوماً وتوفي
في شهر كيهك سنة ٦١٧ م فلما علم الاساقفة ووجهاء الطائفة بوفاته عقدوا مجمعا لكي
يختاروا من يخلفه فوقع اختيارهم على القس بنيامين احد كهنته وكرس في شهر طوبة
ومن امره انه ولد في مريوط من عائلة عريقة في المجد وغنية فلما بلغ اشده اعتزل
العالم وذهب الى دير قرب الاسكندرية يدعى دير قبريوس وترهب عند شيخ يسمى
تاونا وابتدأ يمارس أعمال الفضيلة الشاقة ويطالع الكتب المقدسة حتى بلغ درجة
الكمال المسيحي وطار صيته الى أذني السعيد الذكر البابا اندرونيقوس فاختاره ان
يكون كاتم سره وبدأ يمرنه على أعمال الوظيفة البطريركية ثم بعد قليل رقيه الى
درجة شماس ثم كاهن ولما توفي خلفه في كرسية وكان حكيماً وكثير الحذر
ومستيقظاً جداً على حراسة الرعية فلما قهر هرقل الفرس وطردهم من مصر
أرسل الى الاسكندرية شخصاً يدعى كورش وجعله بطريكاً ووالياً معاً عليها فخاف
البطريك سطوة هذا الوالي فكتب منشوراً الى الاساقفة يأمرهم ان ياجأوا الى
الاديرة هرباً من وجه ذلك الطاغى وجمع كهنة الاسكندرية وأوصاهم ان يسهروا

على الرعية وسافر من طريق مربوط الى الاسقيط وكان ذلك عقيب الدمار الذي دهم هذه البرية فلم يجد فيها الا نفراً قليلاً فتركهم وانصرف الى الصعيد ثم بلاد تيباس وسكن فيها أما الوالي والبطريك كورش فتبع أثر الاب بنيامين ولم لم يستطع ان يدركه قبض على اخيه الارخن مينا وهو حينئذ في النغروارسله مقيداً الى هرقل فاخذته الملك ولاطفه كثيراً ولم يذعن لرأيه طرحه في النار حتى كاد يحترق ثم اخرجته منها وضربه متوالياً على فكيه الى ان قلع اسنانه ثم ملأ تليساً من الرمل ووضع فيه وامر ان يطرح في البحر ما لم يرفض الاقرار بالطبيعة الواحدة ويثبت أعمال مجمع خلقيدون فرفض الطلاب فغرقه في لجة المياه ثم ان كورش طرد الكهنة المستقيمي الرأي من الكنائس وأقام بدلهم واضطهد الاساقفة فانكر بعضهم المذهب القويم ومنهم كورش أسقف نقيوس وبقطر أسقف الفيوم

(٢) وفي هذه الاثناء قلد القيصر المقوقس ولاية الاقطار المصرية ولم يلبث والياً ومناحى غزا العرب مصر تحت قيادة عمرو بن العاص وفجوها عنوة واستولوا عليها ففقر عمرو منه رؤساء الاقباط وانس منهم وأحسن معاملتهم ورفع مقام واحد منهم يسمى سانوتيوس فلما صار هذا الوجيه ذا كلمة مسموعة وآراء نافذة وصار معظم الامر وانتهي بيده عهد الى اصلاح شؤون الكنيسة التي كانت منقسمة الى فرق كثيرة وكانت مظالة النظام عديمة الترتيب نظراً لانحطاط حال الطقعة الاكليريكية وتفرق شتاتهم وعدم تمكن البطريك من النظر في صالحهم فطالب سانوتيوس الى عمرو أن يصدر أمراً الى البطريك بالعود الى كرسىه آمناً ويفوض اليه الحرية الدينية والتصرف المطاق وكان البطريك الملكي حين استولى العرب على الاسكندرية قد هرب منها واخفى فلما استدعى عمرو البابا بنيامين أقسم له وتعهد براحته ومنحه الحرية وسلطه على كافة الكنائس التي كان اغتصبها منه البطريك الملكي وأمره ان يدير حركتها وان يتصرف في أحوالها كما يريد وقد استطابت قلوب المسيحيين واحتسبوا ما صنعه عمرو ابن العاص في جانب انبا بنيامين معروفاً جزيلاً فاحلوه في قلوبهم عزيزاً وأوسمواله الصدور وأخذت ألسنتهم تليح بافضاله وشروا يتصرفون مع العرب تصرف اخوة مع

بعض وكل من الطرفين يحافظ على حقوق دينه وشرائع مذهبه ولما بنى الاسلام
الفسطاط بنى النصارى فيها أيضاً منازل وكنائس ولم يقدر أحد أن يمتهمهم عن ذلك
ومن ذلك الحين ارتفع شأن الاقباط أي ارتفاع في القطر المصري بواسطة عدالة عمرو
ابن العاص واستقامة أحكامه وقد قرب اليه كثيرين منهم ووظفهم بوظائف عالية
فكان منهم الحكام والرؤسا والكتاب وجباة الخراج فقاموا بإدارة الاحكام وسياسة
الاحوال وتولوا تدبير كافة امور الحكومة الداخلية والخارجية بغاية الامانة والصدقة
ونظموا دخلها وخرجها وضبطوا أحكامها ورتبوا مالياتها

ولما تمتع البطريق بالحرية التامة بدأ يجمع شمل المسيحيين المتفرقة الى الحظيرة
المسيحية

اننا لما كنا لانرى بين الكتب التاريخية المتداولة بين أيدي العموم ذكراً
للمعاهدة التي عقدت بين الاقباط وبين المسلمين قبل افتتاحهم للديار المصرية وبعده غاية
ما رأينا في تلك الكتب انهم اجتمعوا على عهد بينهم واصطلحوا على ان يفرض على
جميع من بمصر أعلاها وأسفلها من القبط ديناران ديناران عن كل نفس شريفهم
ووضعهم ومن بلغ الحلم منهم ليس على الشيخ الفاني ولا على الصغير الذي لم يبلغ الحلم
ولا على النساء شيء وعلى ان للمسلمين عليهم النزل لجماعتهم حيث نزلوا ومن نزل
عليه ضيف واحد من المسلمين أو أكثر من ذلك كانت لهم ضيافة ثلاثة أيام وان
للقبط أرضهم وأموالهم لا يعرض لهم في شيء منها ويقاثل المسلمون من ناوى الاقباط
في شيء من أرضهم أو أموالهم أو دماهم فأحصوا عدد القبط يومئذ خاصة من بلغ
منهم الجزية وفرض عليهم الديناران رفع ذلك عرفاؤهم بالايان المؤكدة فكان جميع
من أحصى يومئذ بمصر فيما أحصوا وكتبوا أكثر من ستة ملايين نفس فكانت
فريضتهم حينئذ اثني عشر مليون دينار في كل سنة وقد وقفنا في كتاب ألفه (لافريدون)
بك جزء أول صفحة ٣١ و ٣٢ عن ملخص نص المعاهدة التي كتبها نبيهم الى عموم
الاقباط والمعاهدة التي كتبها عمر بن الخطاب الى صفرونيوس بطريرك الشام فأحببنا
نشرها لما لهما من الاهمية وهالك صورة الاولى منهما

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب كتبه محمد بن عبد الله الى كافة الناس اجمعين . سولاً مني . ونديراً
ووثقناً على ودبعة الله في خلقه لئلا يكون للناس حجة في الرسل وكان الله عزيزاً حكماً .
كتبه لاهل ملة النصارى ولمن تنحل دين النصرانية من مشارق الارض ومقاربها قريبها
وبعيدها فصيحها وأعجمها معروفها ومجهولها جعل لهم عهداً فمن نكث العهد الذي
فيه وخالفه الى غيره وتعدى أمره كان لعهد الله ناكثاً وليثاقه ناقضاً وبدينه مستهزئاً
وللعنة مستوجباً سلطاناً كان أم غيره من المسلمين وان احتفى راهب أو سائح في
جبل أو واد أو مغارة أو عمران أو سهل أو رمل أو بيعة فأنما أكون من ورثتهم
أذب عنهم من غيره لهم بنفسي وأعواني وأهلي ومالي وأتباعي لأنهم رعتي وأهل
ذمتي وأنا أعزل عنهم الاذاء في المؤمن ولا يحمل أهل العهد من القيام بالخراج الا
ما طابت لهم نفوسهم وليس عليهم جبر ولا اكراه على شيء من ذلك ولا يغير أسقف
من أسقفته ولا راهب من رهبانيته ولا حليس من صومعته ولا سائح من سياحته
ولا يهدم بيت من بيوت كنائسهم وبيعهم ولا يدخل شيء من مال كنائسهم في بناء
مساجد المسلمين ولا في بناء منازلهم فمن فعل شيئاً من ذلك فقد نكث عهد الله
ورسوله . ولا يحمل على الرهبان والاساقفة ولا من يتعبد جزية ولا غرامة وأنا
أحفظ ذمتهم أين ما كانوا في بر أو بحر في المشرق أو المغرب أو الجنوب أو الشمال
وهم في ذمتي وميثاقي وأمان من كل مكروه وكذلك من يفرد بالعبادة في الجبال
والمواضع المباركة لا يزمهم مما يزعمونه لاخراج ولا عشر ولا يشاطرون لكونه
برسم أفواهم ولا يعاونون عند ادراك الغلة ولا يلزمون بخروج في بحر وقيام بجزية
ولا من أصحاب الخراج وذوي الاموال والعقارات مما هو أكثر من اثني عشر
درهما بالجملة في كل عام ولا يكلف أحد منهم شططاً ولا يجادلون الا بالتي هي أحسن
ويحفظونهم تحت جناح الرحمة يكف عنهم أذية المكروه حينما كانوا وان صارت
النصرانية عند المسلمين فعليهم برضاها وبمكناها من الصلوة في بيعتها ولا ينال بينها وبين

هو دينها . من خان عهد الله واعتمد بالصد في ذلك فقد عصى ميثاقه ورسوله
ويعاونوا على سرمة بيعهم ومواضعهم وتكون تلك مقبولة لهم على دينهم وفما لهم بالعهد
ولا يلزم أحد منهم نقل سلاح بل المسلمون يذبحون عنهم ولا يخاف هذا العهد أبداً
الى حين تقوم الساعة وتنقضي الدنيا

وهناك صورة العهدة الثانية أي التي كتبها عمر بن الخطاب الى صوفرونيوس
بطريك الشام وذلك في ٢٠ ربيع أول سنة ١٥ هـ بحجة النبوة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أعزنا بالاسلام وأكرمنا بالايمن ورحمنا بانيه محمد (صلم)
وهدانا من الضلالة وجعلنا بعد الشتات وألف قلوبنا وانصربنا على الاعداء ومكن
لنا من البلاد وجعلنا اخواناً متحابين . وأحمدوا الله عباد الله على هذه النعمة هذا
كتاب عمر بن الخطاب لعهد الله وميثاقه أعطي الى البطريك المجلد المكرم هو
صوفرونيوس بطرك الملة الملكية في طور الزيتون بمقام القدس الشريف في الأشرف
على الرعايا والقسوس والرهبان والراهبات حيث كانوا وأين وجدوا وان يكون علمهم
الامان وان الذي اذا حفظ أحكام الذمة وجب له الامان والصون منا نحن المؤمنين
عنه ومن يتولى بعدنا ويقطع عنهم أسباب جوارحهم كحسب ما قد جرى فيهم من
الطاعة والخضوع وليكن الامان عليهم وعلى كنائسهم ودياراتهم وكافة دياراتهم
التي بيدهم داخلا وخارجا وهي القيامة وبيت لحم مولد عيسى عليه السلام وكنيسة
الكر أو امعارة ذات الثلاث أبواب القبلي والشمالي والغربي وبقية أجناس النصارى
الموجودة هناك . هم الكرج والروم والحلب والذين يأتون للزيارة من القبط
والأرمن والسريان والآرمن والنساطرة واليعاقبة والموارنة والتابعين للبطريك
المذكور ويكون مقدما عليهم لانهم أعطوا من حضرة النبي الكريم والحبيب المرسل
من الله وشرّفوا بحتم يده الكريم وأمر بالنظر اليهم والامان عليهم كذلك نحن المؤمنين
نحسن اليهم اكراما ان أحسن اليهم ويكونون معافين من الجزية والحقارة والمواجب

ومسلمين من كافة البلايا في البرور والبحور وفي دخولهم الى القيامة وبقية دياراتهم لا يؤخذ منهم شيء . وأما الذين يقبلون الى الزيارة يؤدي النصراني الى البطريرك درهماً وثلاث من الفضة وكل مؤمن ومؤمنة يحفظ أمرنا هذا سلطان أو حاكم أو وال يجري حكمه في الارض غني أو فقير من المسلمين المؤمنين والمؤمنات وقد أعطى لهم مرسومنا هذا بحضور جم الصحابة الكرام عبد الله وعثمان بن عفان وسعد ابن زبير وعبد الرحمن بن عوف وبقية الاخوة الصحابة الكرام فليعتمد ما شرخنا في كتابنا هذا ويعمل به ويبقى في يدهم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه والحمد لله رب العالمين حسبنا الله ونعم الوكيل وكل من قرأ مرسومنا هذا من المؤمنين وخالفه من الآن والى الدين فليكن لعهد الله نا كناً ولرسوله مبغضاً اه بحروفه

(٣) وكان العرب في اثناء دخولهم الاسكندرية أنهم نهبوا الكنائس والمعابد وهدموها وهدموا كنيسة مار مرقس الرسول الكاندرائية الكائنة على ساحل البحر الابيض المتوسط بعهد ان سلبوا سائر أمتعتها وأوانها وما يجاورها من الديارات وفي خلال ذلك شاهد أحد العربان الثابت الموضوع ضمنه جسد القديس مرقس وظن انه ملاّن من النقود ففتحها ولم يجد فيه سوى العظام المقدسة نزع ما فوقه من الستور الثينة وتركه فشاهده آخر وخال به ما خال الاول ففتحها فلم يجد فيه شيئاً غير ما ذكر فاخذ الجعجمة منه وسار بها الى مركب فأخفاها فيه . فحصل بعد ذلك بمدة ان المراكبية ارادوا ان يحولوا مراكبهم الى جهات أخرى فلما عزم صاحب تلك المركب التي داخلها الرأس المقدسة ان يحول مركبه استمرت المركب راسخاً في مكانها ووقفت متصلة فوجهها نحو المدينة فسارت فحول مقدمها الى خارج فوقفت فشاخ خبرها في المدينة بين كثيرين وعلوا أن ذلك أمر الهي ففتشوا المركب فوجدوا فيها الرأس المقدسة وأعلموا مقدمي النصراني وهؤلاء دعوا الاب بنيامين وعرفوه بما جرى فحضر الى المركب وصحبته ليفي الاكليروس فحملوا الرأس وساروا بها وهم يرتلون الى الكنيسة المرقسية وكان لما أخرجوا الرأس المقدسة ان المركب تحركت وسارت

ولما ملك الفرس مصر أخبروا الديارات سيما ديارات وادي النطرون فدمروا المعابد وشنتوا الرهبان فمضى الاب بنيامين في تصليح وترميم تلك الاماكن المقدسة

فبنى دير الاب أبي بشوي وأعادته الى رونقه الجليل وجمع اليه الرهبان المشتتين في البلاد فسكنوا فيه ونموا وازدادوا حتى ازدهى بهم الجليل فحملت فرقة منهم بأنفسهم على دير أبي مقار وانقضوا على اطلاله فرموا الدير وبنوا فيه كنيسة عظيمة وعند آمامها دعوا الاب بنيامين فابي دعواهم وذهب الى الدير المذكور وكرس تلك الكنيسة باحتفال الهي وشاهد تلك الصوامع والمعابد وقدعادت الى فخرها الاول وأصبحت كابر الجمام ملائكة من شبان حارين في العبادة وشيوخ تسبح عند نظر هيئتهم العقول وتسبي لدى رؤية قداسهم القلوب وكان في عزم الاب بنيامين ان يبني كنيسة الرسول مرقس الكاثرانية فلما لم يتنجز فرصة لذلك أوصى تلميذه القس أغاثو الذي خلفه بالرئاسة ان يوجه كل عزمه الى بناء تلك الكنيسة وقد مكث البابا بنيامين على كرسي الجبرية تسعة وثلاثون سنة مكث منها ثلاثة عشر سنة مختفياً وتوفي في اليوم الثامن من طوبه سنة ٦٥٦ م وله منشور رعائي ضد من قال ان المسيح تألم بلاهوته مسجل في كتاب اعتراف الآباء

البابا أغاثو البطريك التاسع والثلاثون سنة ٦٥٦ م — ٦٧٣ م

ولم يعلم الاساقفة القويمو الرأي بوفاة الطيب الذكر البابا بنيامين حتى بادروا الى الثغر وعقدوا مجمعا أقرروا فيه على رسامة القس أغاثو أحد تلامذة البطريكخانه وقدموه بطريركا في شهر أُمشير سنة ٦٥٦ م ومن أمره انه كان من عائلة شريفة في مربوط فلما بلغ حد الرجال صار تلميذاً لسلفه ثم قدم كاهناً على احدى كنائس الثغر فلما اختفى البطريك استمر يعظ مؤمني المدينة ويثبتهم على الايمان المستقيم بطريق الخفية وكان يطوف الشوارع والاسواق في النهار بصفة نجار ومتى جن الليل كان يتزيا بزي كاهن ويطوف البيوت واعظاً ومرشداً واستمر على هذه الحال الى ان فتح العرب الاسكندرية وعاد البطريك من الاختفاء وكان من حسن صفاته الغيرة على خلاص الانفس وبذل الجهود في سبيل انقاذها من الهلاك فحدث ان العرب كانت سطوتهم قد امتدت وقويت شوكتهم وفتحوا عدة ولايات وجزر للروم ومنها جزيرة صقلية فنهبوا وسبوا أهلها وأتوا بهم الى مصر فكان البابا أغاثو يبتاع منهم الرجال والنساء

بالفضة والذهب خوفاً من ان يسلموا ويأتي بهم الى بيوت المسيحيين . وقد اصابته مصيبة في اثناء خلافة يزيد بن معاوية وهي ان شخصاً يدعى تاودوسيوس ملكي المذاهب تحصل على ان يكون عاملاً على جانب عظيم من الوجه البحري بواسطة الخداع والمكر وبذل الاموال الى الخليفة فلما تولى هذا المنصب اضطهد البطريق اغاثو وغيره غرامات جسيمة وحاول ان يطرده من الاسكندرية . اتمكن من ان يقيم بدله بطريقاً ملكياً غير ان المنية عاجلته قبل ان يدرك مناه أما البطريق فقد أكمل شيخوخته بسعي صالح وسيرة ممدوحة وتوفي في اليوم السادس عشر من بابه سنة ٦٧٣ م وكانت مدة رئاسته سنة عشر سنة وتسعة أشهر وثلاثة أيام

البابا يوحنا الثالث البطريق الاربعون سنة ٦٧٣ م — ٦٨١ م

كان قس في البطريق كنائنه اسمه يوحنا قد اشتهر بالعلم والعمل والفضل والحكمة واكتسب صيتاً حميداً وشهرة فائقة فاختاره الاساقفة لارضية البطريقية بعد ما توفي البابا اغاثو ووضعوا عليه أيديهم في شهر بابه سنة ٦٧٣ م ومن أمره انه كان أحد رهبان دير انبا مكاريوس في الاسقيط وكان مريضاً بمرض معضل فشفاه الله منه بطريقة غير محسوسة ولما قصد ان يتفرد مع تلميذين له للعبادة في أحد أديرة الفيوم استدعا الطوباني البابا يوحنا الثالث ووظفه في اعمال البطريق كنائنه فاستمر يشغل في هذه الوظيفة حتى حرز ثقة الآباء الاساقفة واستحق ان يخلف معلمه في كرسي الجبرية وكانت الكنائس في الثغر حين تولى تدبير شؤون الكرازة المرقسية قد وضع عليها الايدي تاودوسيوس العامل من قبل الدولة الاموية على الاسكندرية وسلم معظمها الى الملكيين فحين استولى عبد العزيز على مصر أقام عليها عاملين أحدهما يدعى اثناسيوس من (ايدسا) في سوريا والآخر يدعى اسحق من (شبرا) في مصر وكان هذان الوجهان من حسن الطالع ارثوذكسين فكتب اليهما البطريق رسالة يسألهما فيها ان يسعيا في الحصول على أمر من الملك الى العامل في الاسكندرية بتسليم الكنائس المقتضية ففعلاً كذلك وحدث انه

لما حضر عبد العزيز الى الاسكندرية خرج لاستقباله الأعيان والوجوه ماعدا البابا يوحنا لأنه لم يشعر بحبيته فوشى الى الملك بحجته جماعة من الملاكين وفي مقدمتهم زوج اخت تاودوسيوس المشار اليه سلفاً وقالوا له ان يوحنا لم يعتن ولم يحتفل بقدمك نظراً لكونه معتمداً على كثرة أمواله وكبريائه فسخط عليه وطمع في الاستيلاء على أمواله وأمر أحد خصيائه بالقبض عليه وحتم بالأن يخرج من مكانه الا بدفع غرامة مقدارها مائة ألف دينار دفعة واحدة فاستصعب الأمر واعتذر فلم يقبل الملك له عذراً بل أحضر له ثياب رجل يهودي وهدهد بلبسها والسير بها مختطاً شوارع المدينة وأزقتها ووجهه ملطخ بالرماد فلم يرتعب البطريك من توعدات الملك وتهديداته وكانت امرأته قد تعذبت من أجله في حلم الليل وأرسلت اليه تطلب ان يهلقه تخفف الغرامة الى ان صارت مقدار عشرة آلاف دينار فلما سمع بذلك وجهاء المسيحيين انطلقوا الى الملك وضمنوا له هذا المبلغ وقسطوه على أنفسهم أما الملك فطلق سبيل البطريك وكان ذلك يوم الخميس الكبير فانطلق الى الكنيسة واحتفل بصلوة (اللقان) وقدم القربان المقدس وعيد مع أولاده بالفرح والابتهاج وبعد ذلك شدد الملك على المسيحيين وضيق عليهم فدخل أما كن العباد وكسر جميع الصور والصلبان ووضع مكانها رقعة مكتوبة بهذه العبارة (محمد رسول الله وعيسى رسول الله والله لا يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد)

البابا اسحق البطريك الحادي والاربعون سنة ٦٨١ م — ٦٨٤ م

(١) تاريخ هذا القديس قبل ان يصير بطريكاً (٢) بطريكيته وأهم

أعماله فيها

(١) ، ولم ينتشر خبر وفاة البابا يوحنا الثالث حتى هرع الى الاسكندرية الاساقفة وعقدوا مجمعاً قرروا فيه تقديم اسحق أحد رهبان دير أبي مقار بطريكاً ومن أمره انه ولد في شبرا من أعمال الغربية وكان والداه على غاية من الغنى والثروة

الجزيلة والشرف الباذخ ولم يتقدم قليلاً في العمر حتى أدخل المدرسة واستمر فيها مدة كان فيها مثلاً للتقوى والطهارة والكمال والاجتهاد وفاق جميع أقرانه بالذكاء والمعرفة وتقدم تقدماً بليغاً في معارف ذلك الزمان ثم أخرج من المدرسة وتمين توظيفه كاتب في الديوان فحرز ثقة الكبار والصفار بما أظهره من النشاط والاجتهاد وصار محبوباً وممدوحاً من كل من كان يعرفه نظراً لسيرته الحميدة وثقواه وعفته واقناعه بالعيشة البسيطة فكان يلبس على بدنه من داخل لباساً شعراً ويلتزم فوقه برداء فاخر وكان يتناول من الطعام والشراب ما يسد به جوعه ويروي عطشه وبعد مدة حاول والداه ان يزوجه ليقيا منه نسلاً فأبى وقدم استعفاءه من الوظيفة وهرب سراً الى بركة الاسقيط ولجأ الى دير أبي مقار وسكن تحت ارشاد الانبا زكريا ايغومانس الدير الموما اليه الذي ارتقى بعد مدة كرسي الاسقفية في مدينة (سياس) وكان الشاب اسحق جميل الصورة حسن المنظر معتدل القامة تظهر على هيئته الهيبة والجلال فلما وقف الشيخ على حقيقة أمره خشي من سطوة أهله فأرسله الى الطرانة ليحك فيها عند أحد الكهنة الافاضل ريثما يعلم ماذا يكون من أمره

اما أهله واقرباؤه فلما خرج من عندهم مخفياً بدون علم احدهم سعوا يفتشون عليه في كل مكان من الدير وغيرها وطلبوا من البابا يوحنا الثالث ان يفتش عليه ففعل ولكن بدون جدوى فلما لم يقفوا له على اثر لبسوا بحزن زائد وغم لا مزيد عليه وكان في اثناء ذلك ان الاب زكريا دعا الشاب وان له شكل الرهبنة وسلمه لشيخ يدعى الانبا ابراهيم وامره ان ينطلق به الى جبل (باما هو) الى ان تهدأ القلاقل بسببه ففعل كذلك وأقام معه في الحيل المشار اليه مدة سنة أشهر وفي ختامها خطر على بال الاب اسحق فكر وهو ان يفتقد أهله لينزع منهم الغموم والاحزان ويجعلهم يتعززون بملقائه ولا يعودون يفتشون عليه فأقنع شيخه الاب ابراهيم بهذا العزم وسافر معه الى بلده ولما قربا منها مالا الى مكان خارج البلد من ملك أهله عند غروب الشمس ودخله ليبيتا فيه فوجدوا راهباً متقدماً في السن فسأله اسحق عن أحوال أهله وعمه اذا كانوا نالوا العزاء والصبر عن فقد ولدهم أم لا يزالون يغممون ويكثثبون من أجله فأجابه الراهب الشيخ عن كل شيء بالتفصيل فالتزم الاب

اسحق من ثم أن يعرفه بذاته وطلب اليه ان يدعو له شماساً من أقربائه يدعى فيلوثاوس كان ملائماً من خشية الله وتقواه فلما حضر الشماس سر بلقاؤه فأمره ان يخبر أهله بمجيئه على شرط ان يضمن له العود الى دير فقبل ذلك وانطلق الى والدي اسحق وحافلهما بمنح الحرية لابنهما اذا وجداه فملا ذلك ثم أخبرهما عن مكان وجوده وقادها اليه ولما التقيا بهما وكثيرون من أهله وأهل بلده سروا سروراً بليفاً وطلبوا اليه ان يمكث عندهم شهراً ففعل كذلك ثم عاد الى شيخه الانبا زكريا ايغومانوس دير أبي مقار وظل يسير في طريق العبادة الكامل حتى اشتهر شهرة عظيمة فاستدعاه البطريرك ان يكون كاتم سره فابى الدعوة بعد محاولة كبرى وعناء شديد

(٢) ولما توفي البطريرك وقع نزاع بين الاساقفة ووجوه الامة بسبب انتخاب خليفة له فان بعض الاعيان اخثاروا شماساً يدعى جورجي لهذه الوظيفة واستمالوا فريقاً من الاساقفة لذلك فرسموه قساً في وسط الاسبوع على قصد ان يتمموا رسامته في اليوم التالي فلما حاولوا ان يفعلوا ذلك قاومهم رئيس الشماسية واحتج بان شرطونية الاساقفة ورؤساء الاساقفة في وسط الاسبوع هي خرق للشريعة ولا ياذن بها القانون فاضطروا من ثم ان يؤجلوا وضع الايدي الى نهار الاحد وفي هذه الاثناء حضر باقي الاساقفة الى الثغر وأخذوا يبحثون في أمر ذلك الشماس فوجدوا عللاً كثيرة تحول دون ارتقاؤه الى الدرجة البطريكية فعمدوا الى الاب اسحق ووقعوا على انتخابه قنار النزاع بين هؤلاء وأولئك وأدى بهم الامر الى ان يرفعوا المسألة الى الملك عبد العزيز ليفصل فيها فصاروا الى العاصمة وهي مصر العتيقة الآن ومثلوا امام الملك فنظر الى الاصوات وحكم بأغليبيتها بان الوظيفة ينبغي ان تكون لاب اسحق ولما حاول الشماس ان يدفع أموالاً يستميل بها الملك الى حزبه قطعه الاساقفة من درجته ثم عادوا الى الثغر ووضعوا الايدي على الاب اسحق باحتفال حافل في اليوم الثامن من شهر كيهك سنة ٦٨١ م ولما ارتقى الكاندرن شرع يقوم بأعباء وظيفته ويكمل مواجبتها وقد أنعم الله عليه بموهبة العجائب فكان يشفي المرضى ويخرج الارواح الشريرة ومن مآثره الكنيسة التي ابتناها في حلوان حيث كان سراي الملك وقد نالت مصائب كثيرة بعضها من الوجبة انابسيوس حاجي خراج مصر لكنه اصططح

معه حين شفى له ابنه الذي كان وقع في خطر الموت والبعض الآخر من الملك عبد العزيز الذي كان يعزله معززة شديدة ويأخذ بالجلوس معه وسبب ذلك هو ان نزاعاً وقع بين ملك الحبشة وملك النوبة وأفضى بهما أحياناً الى الحرب وهرق الدماء وكان المتعدي منهما ملك النوبة فكتب له البطريك تحريراً يلومه وينصحه ويعظه ان يعدل عن خطئه فسمع قوم من مبغضي البطريك بكتابة هذا التحرير ووشوا بخرقه عند الملك فغضب عليه واستحضره من الثغر مقيداً فاحتج له وطلب ان يقف على معنى ما كتبه لملك النوبة قبل ان يصدر حكمه ففعل كذلك ولما وقف الملك على مضمون التحرير ورأى ان المسألة بسيطة أطلق سبيل البطريك بكرامة جزيلة وقد استمر على كرسي حبريته سنين واحدى عشر شهراً وستة أيام وتوفي في اليوم التاسع من هاتور سنة ٦٨٤ م

البابا سيماون البطريك الثاني والاربعون سنة ٦٨٤ م — ٦٩١ م

- (١) انشقاق بسبب انتخاب البطريك ورسامة البابا سيماون (٢) خيانة بعض القسوس بهذا البطريك (٣) اجتراحه للمعجزة اقامة ميت (٤) اضطهاد الملك له (٥) انعقاد مجمع اقليمي في الثغر

(١) حدث انه لما توفي البابا المغبوط اسحق ثار النزاع بين كهنة كنيسة مار مرقس الكاثدرائية وبين اكليروس كنيسة الانجيليين وكان عدد الفريق الثاني مئة وأربعين كاهناً فاختاروا للبطريركية الايغومانوس بقطر رئيس دير (بقرس) وأما الفريق الاول فكان أقل عدداً فاختاروا الايغومانوس يوحنا رئيس دير الزجاج وقدمال متوظفو الحكومة الاقباط الى رأي كهنة بيعة الانجيليين نظراً لكثرتهم غير ان مسرة الله لم تكن تبع رأي هذا الفريق أو ذلك الفريق فلما اجتمع مشاهير الاساقفة اجتمعوا على تقديم راهب اسمه سيماون من دير الزجاج ووضعوا عليه الايدي في شهر كيهك سنة ٦٨٤ م ومن أمره انه كان من بلاد المشرق سرياني الجنس أرثوذكسي المذهب وكان والداه نذراء

وهو صغير سيدة كنيسة القديس ساويرس البطريرك الانطاكي الشهير وكانت هذه الكنيسة مبنية في دير الزجاج على قبر القديس المشار اليه وكانت موضوع شفاء لكل مريض فلما جاء هذا النذير الى الدير شرع يقرأ العلم على شيخه الايغومانوس يوحنا الذي سبق ذكره وأدرك في زمن قليل درجة عالية من العلم وكان فاضلاً وعاقلاً وكاملاً غير مذهبوم السيرة فلما طار صيته وشاع أمره وذاع ذكره اختاره مجمع الاساقفة ليخلف البابا اسحق الكريم الذكر في كرسي الحسبة وكرسوه باحتفال حافل في كنيسة الانجيليين ولم يرق الكائندرا حتى أخذ يسهى في تمكين عروة اتحاد الكنيسة المصرية مع الكنيسة السورية فحذر رسالة الى يوليانوس البطريرك الانطاكي يطلب تجديد الاتحاد فأجابه بمثنى وهناك بوظيفته

(٢) ومن صفات هذا القديس انه كان يميل الى الوحدة والانفراد وكثيراً ما كان يستمر عدة أيام لا يقابل بها أحداً من الشعب أو من الكهنة واذا قابلهم كان يحرضهم على النسك والامانة والنقشف ويلومهم على العيشة الرخوة المرة بعد الاخرى فتقمقم عليه بعض الكهنة العائشون رسماً في الديانة دون الفعل فكرهوه أشد الكره وآمروا على قتله فعمدوا الى أحد السحرة ودفعوا له جانباً من النقود وطلبوا اليه ان يركب لهم دواء ساماً قاتلاً فأجاب التماسهم فأخذوا السم والقوة في اناء كان معتاداً البطريرك ان يشرب الماء فيه غير ان الذي قال عن الرسل (يحملون حيات وان شربوا شيئاً مميتاً لا يضرهم) (مر ١٦ : ١٨) قد حفظ صفيه من هذه التجربة ونجاة فلم يدعه ان ينال ضرراً من ذلك الدواء القاتل

فلما رأى أولئك الحاسنون ان مساعهم الوخيم خاب من النجاح وان شركهم الذي أخفوه للاب تمزق عادوا الى فعل الشر فأخبروا الساحر بعدم تأثير السم الذي اعطاه لهم فركب لهم سمّاً آخر وأمرهم ان يضعوه داخل تين أخضر ويناولوه لحصمهم وهو صائم . وكان من عادة الاب ان يتناول السرار المقدسة دواماً كل صباح فاحتالوا على قيم كنيسته ليلة ما ومنعوه من عمل القربان وذهبوا صباحاً الى البطريركخانه ويدهم هدية تين وطلبوا من التلاميذ ان يأذنوا لهم بالمثل امام البطريرك فأذنوا لهم فدخلوا على الاب وقدموا له التين والتمسوا ان يتناول منه فأبى فألحوا عليه

فأخذ منه جانباً وأكله ثم خرجوا من عنده فحركت عليه أحشاؤه بعد برهة بالأم
ثم لزم الفراش سرياً واستمر كذلك ٤٠ يوماً وكان عزرا مكرماً محبوباً لدى العامل
فعرض أنه حضر إلى الاسكندرية واستفسر عن حال البطريك من كتاب النصارى
فاخبروه عما جرى له وعن أولئك الخائنين الذين القوا له السم في الطعام فاستشاط بالغيظ وأمر
للحال أن يحضروا امامه فاحضروا وأقروا بذنبهم فأمر بحرقهم وهم أحياء فسمع بذلك
البطريك وشفع بهم فعفى الأمير عن البكينة وأما الساحر فخرقه حياً وجهه
عبرة لمن يعتبر

(٣) ولم يخرج الأب سيمون من هذه المحنة حتى وقع في غيرها فان قساً يدعى
ميناً كان أقامه وكيلاً على الوقف وجعل له التصرف المطلق وسلمه جميع ما تمتلكه
البطريركانة والكنائس من نفوذ وعقارات وحجج إلى غير ذلك وحدث بعد مدة أنه
ساء التصرف وأخذ يبذل مال الوقف ويهلك أملاكه معتسفاً طريق الاساءة والحيانة
وعاشاً بغير القانون المسيحي ولكيما يستميل إليه قلوب وجهاء الشعب أخذ يطمعن
بالأب سيمون ويرشقه بالثائب إلى أن انقضت على رأسه صاعقة العدالة الالهية على حين
غفلة ونفذ به سهام القصاص المريع فانهقد لسانه وصار لا يقدر أن ينطق ببنت شفة ثم
اعتراه مرض فلزم الفراش ليلاً ونهاراً ووقع في خطر الموت فلما سمع الأب سيمون بهذه
المصيبة التي حلت به رثى له وحزن عليه حزناً بليغاً وخاف على ضياع مال الوقف
فتأمر على الصلوة إلى السيد المسيح طالباً إليه أن يعيد ذلك القس الخائن إلى حالة الصحة
إلى أن يتوب ويوفي ما في ذمته من مال الوقف ويسلم حججه إلى البطريركانة وفي أثناء
ذلك أرسل أحد تلاميذه ليسأل امرأة القس أن كانت تعلم شيئاً عن أمر مال الوقف
وعن مكان وجوده ووجود مستنداته فلما اقترب الرسول من المنزل سمع أصوات
البكاء والنحيب والمويل فلم أن القس قد توفي فدخل ليقف على حقيقة الأمر
وحلما دنى من الميت عادت نفسه إلى بدنه وقام صحيحاً وهو ينطق بعبارات الشكر للفادي
ومعترفاً بما للاب سيمون من الوجهة العظمى والدالة الكبرى لدى منبر المسيح فسار
التلميذ إلى البطريك فرحاً وبشراً بما كان ثم أن القس حضر عند البطريك وأقر
بذنبه وتاب على يديه بالبكاء وسلمه جميع ما في ذمته من أملاك الوقف

(٤) ان نصارى بلاد الهند وخاصة اقليم مايبار كان بعضهم هاجر من بلاد سوريا الى تلك الجهات والبهض الآخر كانوا من كرازة مار توما الرسول ونطبعوا بأطباع نصارى الشرق بواسطة معاشرتهم لهم وصاروا يساسون من بطارقة انطاكية كما تساس الحبشة من بطارقة الاسكندرية فلذلك كانوا معتادين ان يطلبوا كل مدة مطراناً سورياً ليدبر حركة أمورهم الدينية فاضطروا في هذا القرن ان يبعثوا وفداً الى بطريرك انطاكية يطلبون مطراناً فلما لم يتمكن الوفد من ان يتوغل في داخلية بلاد سوريا لما كان في طريقها وقتئذ من الموانع والاعطال والعوائق مال الى الاسكندرية وجاء الى الاب سيمون الذي كان وقتئذ جالساً على مسند الخلافة المرقسية وكان سوري الجنس وسرياني المذهب فطلب الوفد منه ان يرسم له مطراناً للهند فأجاب الوفد قائلاً انه لا يستطيع ان يفعل ذلك بغير تصريح من حكومة مصر فحاول الوفد اقناعه فلم يذعن له وألح عليه أن يذهب الى عبد العزيز والي مصر ويأتي له بتصريح منه فخرج الوفد الهندي من عنده على قصد ان يتوجه الى العامل وحينما كان رجال الوفد ذاهبين التقى بهم اناس من الطائفة الملكية وأقنعوهم ان يتوجهوا عند بطريركهم فصاروا معهم فترحب بهم البطريرك الملكي ورسم لهم أسقفاً وكاهنين مساعدين وسلمهم للوفد وسيرهم الى الهند بنير معلومية الحكومة . لكن في ما هم سائرون قبض عليهم قوم من العرب وأوثقوهم واحضروهم الى الخليفة مروان في دمشق فاقصص منهم وأرسلهم مقيدين الى ابنه عبد العزيز عامل مصر واتهره وعنفه لعدم التفاته الى سائر حركات بلاده الداخلية والخارجية أيضاً فتأثر عبد العزيز من كلام أبيه وانفعل وفي أول حركة من سخطه اتى القبض بدون تحقيق على الاب سيمون ظاناً انه هو الذي اجري ذلك الامر بغير اطلاعه وغير قلب والده عليه فهدده بالقتل ودعاه الى الاقرار فانكر ذلك واعترف بالحقيقة فلم يصدق الامير كلامه فطلب منه الاب مهلة فامهله ثلاثة أيام وتوعده في نهايتها بالقتل . فهرب الاب سيمون الى الحصن المتبع الذي بقي من يحتمي به الا وهو الصوم والصلوة وفي ختام تلك المدة حضر عند الاب شخص من الوفد الهندي على غير توقع كان هرب من العرب عندما ألقوا القبض على رفقاءه فقدم الاب الشكر لله تعالى

وأخذ ذلك الشخص وسار به الى الامير فبرأ الرسول الاب امام المامل مما اتهم به واعترف له بالحقيقة فأطلق الامير سبيل الاب

(هـ) وفي مسدة هذا الباب اجتمع مجمع اقليمي في الثغر وسببه ان قوماً من النصارى اتحاوا طريقة للزواج فتركوا زوجاتهم واتخذوا نساء بخلافهن نظير باقي الامم فقاومهم الاساقفة أشد المقاومة وأمرهم ان يتركوا النساء ويعودوا الى زوجاتهم لان الطلاق محرم في النصرانية بغير علة موجبة ولما لم يذعنوا لذلك فصلوهم من الكنيسة وحرموهم فانقدوا بنيران الغضب وشكوا الاساقفة الى الملك وادعوا عليهم أنهم أمرهم بترك نسائهم وأباحوا لهم بالزنى فغضب الملك من هذا الامر وأمر ان يجتمع الاساقفة في الثغر فاجتمع من الارثوذكسيين أربعة وستون أسقفًا وحضر معهم ثاوفيلسطين من مذهب أوطاخي وثاودورس من مذهب ورشوفة فبعد مفاوضات طويلة في أمر الزواج حكموا ضد أولئك القوم وقطعوهم من الكنيسة لما يتركوا النساء الغربيات . وقد استمر البابا سيمون ٧ سنين وثمانية أشهر واثنين وعشرين يوماً وتوفي سنة ٦٩١ م

الحوادث المدنية في هذا الحيل

وحدث انه لما ملك (فوقا) غزا الفرس الولايات الشرقية التي منها سوريا ومصر واستولوا عليها فحمل عليهم فوقا بجيش جرار وحاربهم فانكسر بعدة مواقع وخسر خسارات جسيمة فلما رأى الروم ذلك بغضوه وعمدوا على خلعه وكان هرقل والياً على أفريقيا فكتبوا له رسالة واستدعوه ان يحضر لتخليص القسطنطينية من يد فوقا فلما وصلت له الرسالة جهز عمارة عظيمة وشحنها بالمهمات والعساكر وأرسل ابنه (طليعة) امامه ثم صار بنفسه الى تلك المدينة فعند وصوله اليها قبض الروم على فوقا وأتوا به اليه فحرمه ونحر اخوته

أما الفرس فبعد ما شنوا الغارة على الولايات الشرقية ومضت مصر في أيديهم

تدفع له مالا مقرراً اعترأ أمرهم وقويت شوكتهم فظالوا يتقدمون بفتوحاتهم حتى
افتتحوا بر الاناضول وملكوا بروسة الواقعة على بوغاز القسطنطينية ثم تصالحوا مع
قبائل التتر التي كانت منتشرة في تلك البلاد فأصبحت من ثم عاصمة المملكة بخطر محاصرة
من كل جانب . فلما نظر هرقل انه ضعيف لا يستطيع ان يصمد قوة العدو لقلعة
ما عنده من الرجال والاهبة عزم ان ينقل تحت ملكه الى تونس حيث كان والياً فنه
البيطريرك القسطنطيني الحالي وشد ازره بخزائن الكنيسة وأنهمض همته للدفاع عن مملكته
ففقوى بذلك وصالح التتر مقرراً ان يدفع لهم مبلغاً معلوماً ثم جرد جيشاً وزحف به الى
كيليكية حيث كان الفرس ونصب خيامه في موقعة اسكندر المقدوني مع
داريوس الفارسي فالتحمت جنوده بجنود الفرس وبعد حروب كثيرة انتصر على
الفرس ورجع عاصمته ظافرا ولما كانت جيوش الفرس لا تزال تشن الغارات على
ولايات الشرق زحف ثانياً عليهم فعبى البحر الاسود وقطع جبال أرمينية وبلغ نينوى
وعسكر فيها بجيشه فوافقه جنود الفرس فحمل عليهم ومزقهم تمزيقاً وانتصر عليهم
انتصاراً جازماً واتفق بعد ذلك ان كسرى قتله ابنه وجلس مكانه فبعد صلحاً مع
الروم وقيل ان هرقل رد خشبة الصليب من بلاد الفرس ودخل بها الى اورشليم

الدولة العربية . الخلفاء الراشدون

وحدث ان محمداً بنى الاسلام توفي سنة ١١ هجرية و ٦٢٤ م قبطية وخلفه أبو
بكر الصديق فسار على خطة سلفه في الفتوحات وتغلب على جانب عظيم من بلاد
الحجم وأطراف بلاد سوريا ولما توفي سنة ١٣ هـ و ٢٦ م خلفه عمر بن الخطاب وكان
ذا خلق حسن موصوفاً بالعدل والاستقامة والدعة وهو أول من سمي أمير المؤمنين
ومما ذكر عن صفاته الحميدة انه لما فتح القدس كتب للنصارى أماناً على أنفسهم
وأولادهم ونساءهم وأموالهم وجميع كنائسهم ومعابدهم وكان مرة ما جالساً في
وسط سخن القيامة فلما آن وقت الصلوة خرج خارج الكنيسة وصلى فسأله الناس
عن سبب صلوة بعيداً عن الكنيسة فقال اني لو صليت داخل الكنيسة لآخذها

المسلمون من النصارى بعد حين بدعوى أن غمراً صلى فيها ثم ترك كنيسة القيامة وما يابها
للنصارى واتخذ هيكل سليمان بن داود معبداً له ولقومه وكانت انظاره موجهة الى
الغزوات والحروب ففتح كل بلاد العجم وبلاد سوريا وبلاد فلسطين . فلما رأى هرقل
سرعة امتداد شوكة الاسلام في سوريا وغيرها من ولايات الشرق خاف على الباقي
منها ومن شدة خوفه عقد معاهدة مع عمر بن الخطاب مآلها ان يدفع جزية سنوية
لخزينة الاسلام عوض اغضائه عن فتح مصر وقد التفت هذه المعاهدة لتأخر دفع
الجزية بكميتها وفي الزمان المقرر لها وكان عمرو بن العاص قائد الحيوش الاسلامية
سار الى مصر قبل ان يعتق الدين الاسلامي وشاهد عظمتها ومجدها وكثرة غناها
فلما أسلم تذكر ما كان شاهده في مصر وطمع في الاستيلاء عليها فصار يحجب ذلك الى
الحليفة ويلج عليه من يوم الى آخر حتى أقنعه وأخذ منه نصريجاً بالذهاب الى مصر
باربعة آلاف نفر من نخبة العرب وعند قيامه قال له الحليفة (سراني مستخير الله في
سيرك وسيأتيك كتابي سريعاً ان شاء الله تعالى فان أدركك كتابي آمرك فيه
بالانصراف عن مصر قبل ان تدخلها أو شيئاً من أرضها فانصرف وان انت دخلها
قبل ان يأتيك كتابي فامض لوجهك واستعن بالله واستغفره) فسار عمرو بهذا الجيش
الى مصر ولما بلغ قرية بين الشام والعريش أدركه رسول من الحليفة وأعطاه الكتاب
نخاف عمرو ان يكون هذا الكتاب متضمناً الامر بالانصراف عن مصر فلم يفض
ختمه وجد بالسير حتى وصل العريش ففتح الكتاب وقرأه واذ هو يقول (ان أدركك
كتابي هذا وانت لم تدخل مصر فارجع عنها وان بلغك وانت فيها فامض) ثم التفت
الى من حوله وقال لهم أين نحن فقالوا له نحن في العريش من مصر فزحف بجيشه
ودخلها وكان ذلك سنة ١٨ هـ أي بعد وفاة محمد بثمان سنين ثم أخذ عمر يخرق بلاد
مصر جنوباً حتى أدرك الفرما فصادقه هناك جنود الروم فقاتلهم وانصر عليهم وصار
من هناك حتى بلغ بليس حيث كان جنود الروم معسكرين فاخرق صفوفهم وهزمهم
وكانت في بليس ارماتوسة بنت المقوقس فأحسن اليها عمرو وأعزها وأكرمها وأرسلها
الى ابيها بجميع مالها مريداً أن يجذب بمعرفه هذا عواطف ابيها اليه والى قومه فسر
المقوقس بهذا الفعل الجميل واعترف بفضل عمرو

ثم سار عمرو ومجيئته حتى اجتاز الجبل المقطم وأشرف على الحصن المدعو ببايلون الكائن على الضفة النيل الشرقية فضرب خيامه بين ذلك الحصن والجبل فلما أحس المقوقس بمجيئ العرب وهو اذ ذاك في عاصمة حكومته وهي (منف) الكائنة على الضفة الغربية من النيل جهز حامية وسلم قيادتها لاحد رؤساء جيشه وأمره ان يتحصن في ذلك الحصن

أما عمرو فأخذ يهاجم جنود الروم واذا أبطأ عليهم فتح الحصن طلب امداداً من الخليفة فأمدّه بأربعة آلاف من نخبة رجاله فاشتد بهم عمرو وشدد الحصار فأحاط بالحصن من كل جانب ما عدا جانب النيل وكان الروم يحفروا خندقاً حول الحصن وجعلوا له أبواباً ورموا في كل باب منها حديد فلم يستطع العرب ان يهاجموا الحصن فحاصروه من كل جانب وفي خلال ذلك طاب عمرو من الروم ان يسلموا له الحصن وان يدخلوا تحت طاعنه فلم يقبلوا ذلك على ان المقوقس لمسأى من بسالة العرب واقتحماءهم الاخطار ما لقي العرب في قلبه وقلوب رجاله الخصيصين به ترك الحصن وخرج من بابه المتجه نحو الغرب وعبر على الجسر الممتد على النيل الى (منف) تاركاً في الحصن أنصاراً قليلين فلما طال الحصار تمكن أحد قواد عمرو من الصمود الى سطح الحصن وتبعه العرب فلما أحس من كان داخله فروا هاربين الى الجزيرة غرب النيل ثم قطعوا الجسر فحال النيل بينهم وبين العرب

فلما رأى المقوقس انكسار قومه تخبر مع عمرو في أمر الصلح فطلب منه عمرو احد ثلاثة امور وهي : اما أن يدخل هو وقومه في دين الاسلام . أو ان يدفعوا الجزية أو ان ينزلوا مع العرب في ميدان الكيفاج . فاختار المقوقس وقومه دفع الجزية للمسلمين فعهد عمرو للمصريين بالامان على أنفسهم وأموالهم ومنازلهم وكنائسهم وتصلح الاقباط مع العرب على شرط ان يدفع كل نفر منهم دينارين ماعدا الشيخ والولد والمرأة وأحصى من دفع الجزية تلك السنة من الاقباط فكان عددهم ٦٠٠٠٠٠ نفرًا ولما تم الصلح بين الاقباط والعرب على هذه الصورة كتب المقوقس الى ملك الروم يخبره بجميع ما أجراه فاستقبح هرقل فعلاه ههنا وكتب اليه والى الاروام ان يدافعوا عن مصر فأبى المقوقس ان يتفرض المعاهدة أما الاروام فهاجروا الى

الاسكندرية وحسنوها واستعدوا بالعدة والرجال لقتال العرب أما عمرو فبعد ما رست قده في (منق) وما يليها عزم على السير الى فتح الاسكندرية فترك حامية في حصن بابلون وبينما كان رجاله يحاون الحيام المضروبة بين الجبل المقطم والحسن وجدوا عش حمام فوق خيمة عمرو فجاءه واحد وقال له (أن خيمة الامير قد فرخ فوقها حمام) فقال له عمرو (لقد احقت بحوارنا حرام علينا ان نخون بها وقد استجارت بحسانا وتحصنت بحمانا اتركوا فسطاطي منصوبة لها الى أن يطير فراخها) فوضع رجلاً ينفر فسطاطه وأوصاه بالحمام ولما رجع من الاسكندرية بعد فتحها بنى مكان الفسطاط جامعاً وبنى العرب حوله منازل حتى صارت مدينة فدعواها الفسطاط

ثم أخذ عمرو رجاله الابطال وساروا وكان يتقدمهم رؤساء الاقباط يسهلون لهم الطريق ويجهزون ما يحتاجونه من الاطعمة وفي اثناء مسيرهم صادفوا في كوم شريك شرذمة من الروم متحصنة فهزموها وفئة أخرى فكسروها

أما مدينة الاسكندرية فكانت على جانب عظيم من القوة اذ كانت عاصمة القطر المصري فكان فيها من الروم ما ينوف عن ٢٠٠٠٠٠٠ نفرأ جميعهم مستعدون للدفاع وعلاوة على ذلك ان الطريق بينها وبين القسطنطينية كان مفتوحاً . أما عسكر عمرو فكان لا يتجاوز الثلاثين الفا لكن حكمة الله التي لا تدرك اقتضت ان تغلب هذه الكمية القليلة مناعة الروم وقوتهم لتجبرهم واعتسافهم طرق الجور والظلم فما زال عمرو يتقدم حتى بلغ أسوار المدينة المنيعه فحاصرها فلما طال أمد الحصار خطب خطبة حماسية على قومه فأشعل في قلوبهم نيران الجهاد والقتال في سبيل الدين فهجموا على الاسوار كالاسود الضواري فخرقوها فدخل عمرو المدينة ومعه اثنان فقبض عليهم الروم واستاقوهم الى امام الحاكم فمكاد عمرو ياتي بذاته في الخطر وذلك انه جاهر امام الحاكم ودعاه الى التدين بدين الاسلام أو دفع الجزية فتداركه عبده وردان بكونه لكمه على فكيه وانتهره لانه كان يعرف اللغة اليونانية ففهم من كلام الحاكم وقومه أنهم اعتقدوا ان المتكلم معهم بهذه الجراءة هو من كبار العرب وانهم عمدوا على قتله ففعل ما فعل حتى اختلف بذلك ظنهم واخلو سبيل جميعهم فخرجوا من المدينة وهم يكادون غير مصدقين بنجاتهم وفي خلال ذلك مات هرقل فتأخر مجيء المدد فضعفت

أيدي الروم وانحلت قواهم أما العرب فشددوا الحصار ويوم الجمعة بدء شهر محرم سنة ٢٠ هـ جرة سنة ٢٦٠ هـ للشهداء دخلوا المدينة فأزبن فأقام عمرو احتفالاً عظيماً تذكراً لنصرته وقيل مات من العرب في خلال هذا الحصار نحو ٢٣٠٠٠ نفرًا

وكان في الاسكندرية مكتبة عظيمة من عهد البطالسة بدأ بجمعها بطليموس فيلودلفيس وزادها خلفاؤه عظيمة وشهرة حتى طار صيتها في الآفاق . فلنقرب من عمرو أحد فلاسفة ذلك العصر المدعو يوحنا النحوي وطالب منه ان يستولي على بعض تلك الكتب الثمينة لينفع بها فاجابه الى ذلك غير انه أمهله الى أن يستفيء أمير المؤمنين بشأن تلك المكتبة وما احتوت عليه من الكتب ويستشير في أمرها فأجابه عمر ان يفحصها أولاً فان وجد فيها ما يوافق نص القرآن فلا حاجة بها وان كانت مخالفة له فاعدامها أولى فلما وقف عمرو على خطاب الخليفة أحرقها بتسامها أنظر وجه ١٥٩ من الجزء الأول من كتاب خطط الشيخ المقرزي وقد ناقض كثيرون من مؤرخي العرب هذا الخبر وأقاموا لذلك أدلة لكن جميع تلك الأدلة مجرودة لا يقتنع بها المؤرخون ولم ياصفا لعمرو الجور واستراح من قتال الروم عاد الى حصن بابلون فوجد فسطاطه ملاًئاً من الطيور فاخطط مدينة حوله دعاها الفسطاط وجعلها عاصمة حكومته ثم أخذ في تطمين خواطر الاهلين واستمالة قلوبهم الى الثقة به فسعى فيما يعود على البلاد بالراحة والسكينة وأقام على كل كورة منها حاكماً من الاقباط فكان ذلك داعياً لراحتهم وراحة الاهالي عموماً وأخذ المصريون من بعد تلك الضيقات والفتاقل الدينية يشربون كؤوس الأمن والسلامة واعتبروا عمراً حق الاعتبار وخضعوا لأوامره خضوع العبيد لمولاهم وخضوع الاولاد لوآلدهم . ومن أغلاط بعض المؤرخين أنهم يهتمون الاقباط بالحياة في حق ولاية الامر وانهم مكنوا العرب من طرد الروم وجعلوهم يستولون على مصر بدون مقاومة ولا حرب استناداً على ما قيل من ان جيش العرب الفاتح كان لا يتجاوز ثمانية آلاف نفرًا والحال أن هذه التهمة هي في غير محلها لاسباب نذكر بعضها وهي أولاً أن العرب فتحوا مصر بعد ما فتحوا أغلب ولايات الروم الشرقية فاذا كان يوجد محصل للقول ان أهل هذه الولايات خانوا مملكتهم ومكنوا العرب من الاستيلاء عليها فيبقى

محل الادعاء بأن الاقباط خانوا مملكة الروم وتثبت تهمه بعض المؤرخين عليهم كما ثبتت على غيرهم ولا أحد منهم يقول بذلك ثانياً أن مملكة الروم حين قدم العرب الى مصر كانت أخذت تنقهر وتخط شوكتها وأوشكت على السقوط والاضمحلال ويشهد بذلك المعاهدة التي عقدها هرقل ملك الروم مع عمر بن الخطاب وهي أن يدفع الاول الى الثاني جزية عوض أغصانه عن فتح مصر فلو كان في الروم قوة أن تدب عن مصر لما اضطر هرقل الى هذه المعاهدة المهينة لشرف مملكته ثالثاً أن المعاهدة التي عقدها رؤساء الاقباط والمقوقس مع عمرو لم تجر الا بعد أن رأوا في حصار العرب لحسن بابلون مدة سبعة أشهر واستيلائهم عليه من قوتهم وبشهم وخوف الروم وجبنهم ما جعلهم يأسون من خلاص مصر من أيديهم الا بالاتي هي أحسن ناهيك عما رأى الاقباط من امتداد سطوة العرب واذلالهم للروم في كل ولاية تطاها أقدامهم فاذا كان تعزى الاقباط الخيانة لانهم طاهدوا العرب فلماذا لا تعزى هذه الخيانة لباقي الولايات الرومية أو بالحري لصفرونيوس بطريرك القدس لانه ممكن العرب من الاستيلاء على أورشليم بواسطة معاهدة مع عمر بن الخطاب رابعاً أن اتحاد الاقباط واتفاقهم مع المقوقس على هذه المعاهدة إنما هو من قبيل الامور المدنية الآلة لصالح البلاد وخير العباد ولا علاقة له في أمر الدين البتة وشاهدنا على اثبات ذلك هو أنه لو كان المقوقس الذي كان بيده في ذلك الوقت أمور البلاد وخيرها وشرها ونافعها وضرها يدين بدين الاقباط ويربي لهم ويهمم خيرهم وصالحهم وانه عقد وياهم تلك المعاهدة مع العرب انتقاماً من الروم وتشفياً بهم لرأى على الأقل صالح بطريركهم البابا بنيامين الذي ظل مخفياً وهارباً من امام الروم الى أن جاد الله على عمرو بفتح الاسكندرية خامساً أن العرب الذين دخلوا مصر هم على وجه التحقيق أكثر من ثمانية آلاف نفر وهذه العدة لا يذكرها بعض المؤرخين الا لان عساكرها كانوا منتظمين أكثر من غيرهم وقد قال بعضهم ان عدد العرب الفاتحين لمصر كان سبعين ألف نفرأ وهو قريب من الحق لان قبائل العرب كانت تنضم الى تجريدة عمرو أثناء زحفها على مصر فترى من هذه الاسباب وغيرها لم يبق محل من الصحة اتهمه بعض المؤرخين

١ الدولة الأموية ٢ الحوادث المصرية

(١) وفي سنة ٦٣٧ م وسنة ٢٣ هـ هجم عبد فارسي يدعى فيروز يلقب بأبي لؤلؤة على الخليفة عمر وهو يصلي في المسجد وضربه بخنجر في خصره فقتله فبايع العرب بالخلافة عثمان بن عفان من الصحابة سنة ٦٣٩ م و٢٦ هـ عزل الخليفة عمرًا من أمانة مصر وولى مكانه عبد الله بن سمد وفعل مثل ذلك في جهات أخرى عزل فيها ونصب فتفعل الناس بالشر من أعماله هذه وتغصب عليه العرب وثاروا طالين عزله حاصروه مدة أربعين يوماً وفي ختامها هجم عليه محمد بن أبي بكر وطعنه برمح وقتله بالقرآن بيده وذلك سنة ٦٤٨ م و٣٥ هـ خلفه علي بن أبي طالب فعزل جميع من كان حاكماً على ولاية وولى مكانه آخر من أقربائه وأنحابه فكرهه كبار العرب وكان منهم في مصر متشيعاً أسلفه فقاموا يطالبون الاخذ بثأره وقتلوا ابن أبي حذيفة العامل بمصر وكان منهم معاوية بن أبي سفيان والي الشام ولمساعد الى ولايته حرض أهلها على التشيع له فاجابوه لذلك وقام بناصره عمرو بن العاص فلما شعر الخليفة بتفرد معاوية امر بعزله وولى مكانه ابن حنيف فلم يقبله أهلها وطردوه وبايعوا معاوية بالخلافة استنجد من ثم امره وارسل عمرًا الى مصر والياً عليها ففتحها وقتل محمد بن أبي بكر اليها فلما احس بذلك علي ابن أبي طالب سار لقتال معاوية واقتلا عند نهر الفرات مدة ٣٢ يوماً ولم يتعين النصر والفوز لاحدهما فافترقا على غير صلح فذهب علي الى كوفة واما معاوية فسار الى مكة والمدينة فتحهما وفتح اليمن

فسببت هذه الانقسامات هرق دماء كثيرين وهاج من جرائها أئمة الاسلام في مكة غيرها وتوافقوا على قتل كبار الشيع فعينوا لتنفيذ هذا الامر ثلاثة اشخاص احدهم مثوا به الى علي بن أبي طالب ففتح به بالسيف وأخر الى معاوية فضربه بالسيف أخطأه فتوصل اليه أن لا يقتله وبشره بموت علي فلم يعف عنه وأما الذي ذهب ليقول عمرو بن العاص فلم يدركه فقويت بموت علي شوكة معاوية وبايعه الكل بالخلافة فجعل حكومته دمشق الشام أما اقرباء علي فماتوا جميعاً وحلى الجوع لمعاوية فكافأ

نصيره عمرو بن العاص اذ سلمه جيشاً وأرسله الى مصر ففتحها وأقام بها بسبع سنين يدير أحكامها ويجرع أهلها مياه الراحة

أما الخليفة الجديد فاحذ يهاجم القسطنطينية فغزاه خمسة أعوام متوالية فلم يقو عليها وقيل أن روميا اخترع حراريق نارية مركبة من النفط والقطران والكبريت فكان اذا وضعها على خشب أحرقه واذا مسست عسكراً أبادته فأهلك بهذه الصناعة جميع مرابط معاوية وجيوشه فالتزم أن يعالج ملك الروم وأن يدفع له خراج ٣٠ سنة *

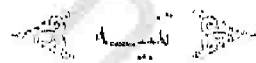
وحدث أنه لما قتل علي بن أبي طالب بايع العرب لابنه الحسن في المدينة سنة ٤٠ هـ و ٦٥٢ م فسار معاوية لقتاله بجيش عرمرم واحتشد الحسن الجنود وزحف من الكوفة لقتال معاوية فخافته جنوده ولما رأى ذلك تنازل عن الخلافة حقناً لدماء المسلمين فاستقل معاوية من ثم بخلافة المسلمين ولما كانت سنة ٥٦ هـ و ٦٦٩ م أقام ابنه يزيد والياً للعهد ثم توفي سنة ٦٠ هـ و ٦٧٢ م فاستخلفه ابنه يزيد أما أهل مكة فلما توفي معاوية اعتصبوا عصبة واحدة وبايعوا شخصاً يسمى عبد الله بن الزبير فبث اليهم يزيد بجيش كثير تحت قيادة مسلمة بن عقبة المرسي الى مكة سنة ٦٣ هـ و ٦٧٥ م فحاصرها ولما لم تدعن أهلها دخلها عنوة ونهبها وأحرق البيت والكعبة وفي خلال ذلك مات يزيد واستقال ابن الزبير بأمر الخلافة في مكة فقهر الجنود الشامية وطردهم من مكة أما أهل الشام فبايعوا بالخلافة معاوية الثاني ابن يزيد سنة ٦٤ هـ و ٦٧٦ م وكان يحب الانفراد والاعتزال عن الناس فكره منصب الخلافة واستقال منه بعد أن استمر فيه ثلاثة أشهر خلفه مروان بن الحكم وكان الخليفة عبد الله ابن الزبير ولى على مصر عبد الرحمن بن جندب فاحتشد مروان جيشاً سنة ٦٥ هـ و ٦٧٧ م وزحف على مصر وحارب أميرها وانتصر عليه وولى مكانه ابنه عبد العزيز ثم رجع على عاصمة ملكه ولم تطل مدته فتوفي في هذه السنة وخلفه ابنه عبد الملك وكان الخليفة في مكة عبد الله بن الزبير فاشتغل عبد الملك في القتال معه وحاول الروم أن يستخلصوا الشام من أيدي العرب فصالحهم عبد الملك على شرط أن يؤدي لهم ألف دينار كل جمعة واستمر يحارب ابن الزبير ثم مصعباً أخاه من بعده حتى انتصر الانتصار الحازم واستقل بالخلافة الاسلامية العامة سنة ٧٣ هـ و ٦٨٥ م

ومن بعد خلافته بسنتين ضرب المصكوكات وكتب عليها اسم الله تعالى وسببه أنه وجد دراهم ودنانير تاريخها قبل الاسلام بأربعمائة سنة مكتوب عليها باسم الاب والابن والروح القدس ولما توفي سنة ٨٦ هـ و ٦٩٨ م خلفه ابنه الوليد الملقب بأبي العباس .

(٢) قد ذكرنا سابقاً ان معاوية لما استقبل أمره جهز عمرو بن العاص بجيش الى مصر فحصلت عدة وقائع فرت فيها رجال محمد بن أبي بكر العامل من قبل الخليفة علي بن أبي طالب فقبض عمرو على محمد وأتى به الى معاوية بن حديج فقتله وأرسل رأسه الى معاوية بن أبي سفيان بدمشق وكان ذلك سنة ٢٨ هـ و ٦٥١ م ثم تولى عمرو بن العاص على مصر واستقر والياً عليها الى ان توفي سنة ٤٣ هـ و ٦٥٦ م خلفه عتبة بن أبي سفيان أخو معاوية من أبيه فاستمر سنة واحدة ومات فولى معاوية مكانه عقبة بن العاصر الجهني ثم عزله وأقام بدله مسلمة بن مخلد الانصاري سنة ٤٥ هـ فاستمر خمسة عشر سنة والياً ولما توفي سنة ٦٢ هـ و ٦٧٤ م ولي الخليفة يزيد بن معاوية مكانه سعيد بن يزيد الازدي وكان عبد الله بن الزبير الخليفة في مكة قوي أمره فأرسل والياً على مصر عبد الرحمن بن جحدم فقبلاه أهلها ولما تولى مروان بن الحكم الخلافة في الشام زحف بجيش على مصر وفتحها وطردها وأقام عليها ابنه عبد العزيز فبنى قنطرة الخليج الكبير في طرف الفسطاط وبني مقياساً للنيل في حلوان وهو أول مقياس بناء الاسلام وبني في حلوان الدور والمساجد وغرس نخلاً وكرومها حتى صارت مدينة شهيرة وقد استمر والياً مدة عشرين سنة وكسور وتوفي سنة ٨٦ هـ و ٦٩٧ م أما حكمه فكان ظمناً وجوراً على العباد فانه زاد الضرائب ولم يعف أحداً منها وفرض على كل كاهن أو راهب ديناراً واحداً كل سنة وولى ابنه الأصمعي على جمع الخراج فعامل المسيحيين بكل ما استطاع من المعاملة الرديئة وتقصى عليهم جداً حتى أسلم منهم أناس كثيرون هرباً من سخطه ونجاة من غضبه ومن جاتهم بطرس والي الصعيد وتاودورا أخوه وتاوفانس بن عمدة مريوط وعلاوة على ذلك فانه تشدد على الرهبان فسار الى وادي هيب وأحصى رهبانه وألزم كل راهب أن يدفع ديناراً واضطهد الاساقفة وفرض على كل واحد منهم غرامة مقدارها الف دينار وكان

عزم ان ينكى بالنصارى زيادة لكن حالت دون مرامه القيسة وذلك انه دخل الكنيسة
في حلوان يوم سبت النور مزدرياً ومتهكماً بها فأخذ يجدف على ديانة المسيحيين
ويتهزأ على طقوسهم ويستهن بالصور ويهتق عليهم فعرض انه لساناد الى بيته
رأى في المنام ليلاً رؤية أزعجته والقت الرعب في قلبه فاستيقظ مرتعباً ومن شدة ما
حاق به من الوجع والخوف بدأ جسمه ينغضي شيئاً بشيء الى أن مات عقيب ذلك
بقليل .

*(انتهى الجزء الاول وبالله الجزؤ الثاني بعون الله تعالى) *



اعلم أيها القاري أن تاريخ الحوادث المدنية الى ظهور المملكة الاسلامية هو على
مقتضى الحساب المسيحي الغربي وما عدا ذلك فهو على مقتضى التاريخ المسيحي القبطي
والتاريخ الهجري

